

لنبن منظومتنا الأخلاقية

طبعة منقحة

الدكتور
ماهر جميل بايزيد

2024

لِنَبِّنِ مَنْظُومَتَنَا الْأَخْلَاقِيَّةَ

الكتاب: لِنَبِّنْ منظومتنا الأخلاقية
التأليف: د. ماهر بايزيد
الحقوق جميعها محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى- تبوك- 1432 هـ - 2012م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
رقم الإيداع: 4353/1433
ردمك: 9-9955-00-603-978
الطبعة الثانية 1446 هـ - 2024م
موافقة وزارة الإعلام السورية على الطباعة
رقم/122846/تاريخ 2024/09/18
فهرسة المكتبة الوطنية - سوريا
رقم الإيداع /40618/تاريخ 2025/7/1
طبعة معدلة ومنقحة

د. ماهر بايزيد

لِنَبِّنْ مَنْظُومَتَنَا الْأَخْلَاقِيَّةَ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتسدد الخطى والتصرفات، صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في العام 1432هـ-2012م، الذي كان باكورة أعماله حيث فتح الله عليّ، ووفقني لأصدر لكل قارئ بلغة الضاد عدداً من الكتب والمقالات.

لقد أردت أن أقدم هذه الطبعة المنقحة لجيل الشباب، الذي ما تعود على قراءة الطويل من الكتب، فاختصرت المشابه والمكرر، وحرصت أن يصدر في حلة جديدة تناسب النشر الإلكتروني.

واسمحوا لي أن أهدي هذا العمل المتواضع لسيدي رسول الله ﷺ، حباً وكرامة وتأسياً بهديه وسنته، ثم إلى من رباني صغيراً، وأسدل لي النصح والإرشاد كبيراً، والدي... رحمهم الله وجزاهم عني خير الجزاء.

د. ماهر جميل بايزيد

1446هـ-2024م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

○ السعادة الحقيقية أن تعرف وتحدد هدفك الأول في هذه الحياة.
أن تعرف الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه على هذه الأرض، عندها؛ تفهم جميع الأسئلة المطروحة:

لماذا خلق الخير والشر؟... لماذا الإلحاد في الأرض يخبو... ثم يعود؟
من القائد، الذي يقود الضلال، ويوسوس لبني آدم؟
من هم؟..... ما صفاتهم؟..... ما أخلاقهم الذميمة؟..... ما مصيرهم؟
النور الذي سطح على جزيرة العرب - الرحمة المهداة - ﷺ حمل دعوة التوحيد ودعوة نشر مكارم الأخلاق، قال ﷺ: ﴿إنما بُعثت، لأتمم مكارم الأخلاق﴾^{1}، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء/21.

فبهذا الدين تسمو النفس، وتصطبغ بأعلى درجات الرقي والكمال، وبه يسعد الناس، بحياة كريمة، في الدنيا، والآخرة.
أخي الكريم: إنك ترى الصورة كاملة أمامك... معارك الإفساد والإصلاح كثيرة... مع من أنت؟.

إن كنت مع الحق والإصلاح، عليك أن تصطبغ بالقيم الأخلاقية التي حملها رسول المحبة والأخلاق ﷺ، وبتزكية النفس، وتطهيرها.

○ وللقيم الأخلاقية في الإسلام مكانة فريدة، قال ﷺ: ﴿إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً﴾^{2}.

(١) - رواه البخاري في أدب المفرد وأحمد بلفظ (صالح الإخلاص).
(٢) - صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، برقم (3759).

وقال ﷺ أيضاً: ﴿اتقوا النار، ولو بشقّ تمره، فإن لم تجد، فبكلمة طيبة﴾^{1}.
 فعلينا أن نبحث عن هذه القيم الأخلاقية، لكي نعيد ترتيبها، علينا أن نتأسى
 بأخلاق رسولنا الكريم محمد ﷺ، علينا أن نفهم كيفية تطوير سلوكنا وأخلاقنا،
 وأن تكون لدينا قدرة التغيير في نفوسنا... أن نعرف كيف نحدد أهدافنا، أن نتعلم
 فنّ اتخاذ القرار، وفن الممكن... كيف نبتعد عن القلق، وهموم الحياة.
 عندها؛ نكون قد وضعنا لبنة صغيرة في بناء شبكة اجتماعية آمنة مترابطة
 متينة، تعتمد على الوصل، لا القطع، على الرحمة، لا على القسوة، على الثقة، لا على
 الاغترار، بذلك، تقوى الروابط الاجتماعية والأخلاقية بين أفراد المجتمع إنسانياً.
 وعنه ﷺ قال: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ،
 إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى﴾^{2}.
 وهنا تكمن سعادة العطاء والمحبة، سعادة الوصل، يقول الإمام علي «كرم الله
 وجهه»: ((لا تستح من العطاء القليل، فالحرمان أقلّ منه)).
 تعالوا معنا، لنوسّع دائرة اهتمامنا، تعالوا نقبل الآخر، ونفهمه.
 تعالوا، نفهم معنى الحقوق والواجبات، لكي نعيش بسعادة الأمن والطمأنينة.
 كيف نبني إرادتنا... ونبتعد عن الهزيمة واليأس والانكسار؟ كيف نفهم معنى
 الابتلاء، وما الحكمة منه؟
 كيف نبني مستقبلنا بعزة وكرامة وسُمُو بالأخلاق؟
 قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
 يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ فاطر/ 10.
 هنا تكمن غاية استخلافنا ومعرفتنا لله، أن نفهم معنى العبودية لله،
 أن نتبصّر ونفكر في هذا الكون، لكي نسعد في الدنيا والآخرة.
 تعالوا معاً يدّاً بيد، للبناء، لا للهدم.
 تعالوا معنا، لإعادة بناء سلوكنا الأخلاقي.

(١) - رواه البخاري، برقم (1413).

(٢) - صحيح مسلم: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، برقم (2586).

البداية

قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الحديد/3.

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن أول هذا الأمر ما كان:

قال ﷺ: ﴿كَانَ اللَّهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ﴾ {1}.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور/45.

اللَّهُ ﷻ مبدع هذا الكون ومالكه وخالق كل شيء.

أبدع الكون، وخلقه من أجل مَنْ؟ خلق الجبال والبحار والسهول، من أجل مَنْ؟

وخلق الليل والنهار والشمس والقمر من أجل مَنْ؟.

سَخَّرَ الكون... من أجلك، أيها الإنسان، لماذا؟...

تعالوا معاً، لنعرف الإجابة.

(١) - رواه البخاري، برقم (7418) جزء من الحديث.

ما حكمة خلق آدم ﷺ

ما قصة الاستخلاف في الأرض

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/30. [إن هذه الحياة ما هي إلا مدرسة، نتعلم فيها كيف نتعامل مع الله، ونتعلم عنه، ونتعرف عليه، فتسمو نفوسنا، لتكون أهلاً لمجاورة الله ﷻ، الملك في الجنة، التي خلقنا لها، في الأصل]^{1}.

العبادة هي علة وجود الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/56.

سرّ خلق الإنسان، وغاية وجوده، عبادة الله ﷻ الذي خلق السماوات والأرض، من أجلك، أيها الإنسان، لكي تعبد حقه العباد، بعد أن تعرفه، لهذا خلق الله الكون، وهياً الأرض، قال ﷻ للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/30.

[أي جاعل قوماً، يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل]^{2}. لكن الملائكة متشائمة من مستقبل هذا الإنسان، هذا الخليفة الذي سيكون سيدياً على وجه الأرض، لقد رأت أجناساً أخرى لم تصدع بأمر الله ﷻ، وسفكت الدماء،

(١) - شرح أسماء الله الحسنى: د محمد راتب النابلسي.

(٢) - مختصر ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير: ج1، ص47.

وصنعت حروباً داميةً، ولهذا تساءلت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ البقرة/30.

[وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ﷻ، ولا على وجه الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة من ذلك]^{1}. لكن الجواب جاء سريعاً من الله ﷻ خالق كل شيء: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/30.

خلق الله آدم، لأنه يعلم أنه سيجعل من ذريته أنبياء ورسلاً، يعلمون هذه الذرية، ويعرفونهم بخالقهم الله الذي لا إله إلا هو، ويعبدونه، ولهذا؛ قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/30.

(١) - مختصر ابن كثير، ج1، ص47.

حقيقة العلاقة بين الإنسان والأرض

العلاقة بين الإنسان والأرض تكمن في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ طه/55.

منها خلقناكم: أي من الأرض - من أديم الأرض، من التراب.
وفيها الإعادة بعد الموت، ومنها الخروج يوم الحشر.
والحقيقة أن العلاقة بين الأرض والإنسان ترتقي إلى النسب.

بداية الخلق من هنا، من تراب الأرض، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةِ قُبْضِهَا مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزَنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ﴾ {1}.

في صحيح مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَتِ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ﴾ {2}.

يا أيها الإنسان، إنك من هذه الأرض، من ترابها، من مكونات الأرض، من عناصرها.

أيها الإنسان، إنك لبيّن العريكة، إنك ترابي.
قال الشوكاني: [إن التراب لما بُلِّ صار طيناً، فلما أنتن، صار حمأً مسنوناً، فلما يبس، صار صلصالاً، فأصل الصلصال هو الحمأ المسنون] {3}.
وأخيراً، نفخ الروح في آدم، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر/29. هكذا استوى، وأصبح بشراً سوياً.
لماذا أسماه الله تعالى آدم؟ وما معنى هذا الاسم؟

(1) - مسند ابن حنبل: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل.

(2) - رواه مسلم برقم (2996).

(3) - فتح القدير: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّوْكَانِيُّ، ج3، ص130.

[لقد أسماه الله تعالى آدم، لأنه خُلق من أديم الأرض، وآدم أدماً بين القوم، أي أصلح بينهم، وألف، ووفق.]

وفي مدلول التسمية بهذه الخاصية معنى جوهري، أراد الله عز شأنه، هذا المعنى هو الدلالة على خواص الفكر والإرادة والنطق والإدراك الحسي بالروح والجسد، وكل ما يتصف به الإنسان. ويتميز به من سائر المخلوقات، فإن كان السر الإلهي في تسمية الروح التي منحها الله تعالى آدم، فإن السر أيضاً في جعل اسم الإنسان الأول - أعني آدم عليه السلام - يقترب بأصله الذي لا تكون إلا للإنسان دون سائر مخلوقاته على سطح الأرض، وفي ذلك من التأكيد على العناية بالإنسان وعلو مكانته ما يكفي من أدلة وبراهين^{1}.

إن القدرة الإلهية التي صيرت الكون، وجعلت فيه هذا النظام الخارق في الدقة والإتقان، لقادر على أن تمنح من قدرتها لأي كائن، متى أصبح لديه القدرة والحركة، هذه النفخة الإلهية في الإنسان - وهي على ما هي عليه من قوة واقتدار - قد فعلت فعلها في الجسم الترابي، وهذا تشبيهه، مع الفارق، والله المثل الأعلى. هذه الروح سرٌّ من أسرار مبدع الكون عز وجل، إنها ملكه وحده، أودعها أمانة عندك، أيها الإنسان، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الاسراء/85.

كيف تستطيع أن تسمو بهذه الروح التي وهبها الله تعالى لك، أيها الإنسان؟ إن سموها ورفعتها وطهارتها لا تكون إلا بالاتصال بينها وبين بارئها، بتهدئتها والتقرب إلى خالقها بالعبادة والخضوع له (الاستكانة لصاحبها).

والقول الصواب في الروح [أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس الترابي وهو جسم (نوراني) علوي خفيف حي متحرك، وينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة مقبول الآثار الفائضة عليها من الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء، بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة،

(١) - الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين: د. محمد محمود عبد الله، دار الشواف، ص40.

عليها خرجت عن القبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح^{1}.

(١) - الروح: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الإمام ابن قيم الجوزية، ص232.

الفصل الأول

لماذا أعطى الله ﷻ آدم العقل والفطرة

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة/31.

لقد خلق الله تعالى آدم، ووهب له عقلاً محيطاً بالأشياء كلها، ضمن حدوده وهو من مقومات التكليف، يحسن التصرف، تجعله سيداً على هذه الأرض، وأعطاه فطرته التي فطر الناس عليها، ألا وهي معرفته لمن خلقه، فسواه، فحق على هذا الإنسان أن يعبد خالقه، ويطيعه، بما أمره به.

وأعطاه العلوم والأسماء كلها، وامتنحه أمام الملائكة.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة/33.

كان جواب الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ البقرة/32.

لقد نجح آدم في الاختبار أمام الملائكة.

من هنا، تبدأ قصة آدم أبو البشر ﷺ، فقد علمه رب العالمين.

ووضع فيه العقل، ليميز بين الأشياء، ويقوم بعملية التفكير والاستدلال التميز.

قال رسول الله ﷺ: ﴿أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبِلْ، فأقبل، ثم قال له: أدبرْ، فأدبر، ثم قال الله ﷻ: وعزّتي وجلالي، ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب﴾^{1}.

(١) - أخرجه سليمان بن أحمد الطبراني في المعجم الأوسط، من حديث أبي أمامة وأبي القيم (إحياء علوم الدين، جزء 1).

قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَّا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم/30.
[فطرة خلق عليها البشر، لا تخص المؤمنين فقط، بل كل إنسان يستشعر من
داخل نفسه بوجود خالق لهذا الكون]^{1}.

وعنه ﷺ قال: ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ
نَصْرَانِيَّة، أَوْ يَمَجَّسَانِهِ﴾^{2}.

[وليس معنى الفطرة أن الناس يولدون بعقائدها وفضائلها، فلو كان الأمر
كذلك ما كان هناك تكليف، وإنما المعنى أن الناس يولدون مستعدون لها،
مؤثرين لمنهجها، يتدافعون في مجراها تدافع الماء إلى المنحدر]^{3}.

هذه الفطرة تنير قلوب البشر جميعاً بأشعتها، وتهدي أصحابها
إلى وحدانية الله ﷻ.

(١) - آمنت بالله: الشيخ محمد علي الصابوني، ص25.

(٢) - رواه البخاري رقم (1358).

(٣) - علل وأدوية: الشيخ محمد الغزالي السقا، ص46.

مَنْ الَّذِي يَرِيدُ أَنْ يُطْفِئَ هَذِهِ الشَّعْلَةَ الْمُضِيئَةَ

آدم هو الكائن الوحيد الذي قال عنه الله ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر/29.

لقد ارتفع وسما هذا العنصر البشري عن بقية المخلوقات جميعاً بهذا الصنع الرباني الذي خصّه بالخلافة في الأرض: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/30. فوقفت الملائكة عاجزة مندهشة لخلق هذا الإنسان الذي كرمه الله تعالى، عندها؛ قال ربّ العزة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ البقرة/34.

فسجدوا جميعاً، وخضعوا لأمر الله، هذا السجود تحية وتكريم، سجود تعظيم، لا سجود عبادة.

يقول رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾^{1}. لكن المشهد الرائع لم يكتمل، فهناك مَنْ لم يسجد؟ مَنْ رفض السجود؟ مَنْ رفض الأمر الإلهي.

الملائكة سجدت لآدم سجود تحية وتكريم، أما إبليس اللعين؛ فقد رفض السجود، رفض أمر ربّه، والعزة لله جميعاً! قال تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر/33. قول إبليس ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ الأعراف/12.

[العذر الذي هو أكبر من الذنب كأنه امتنع عن الطاعة، لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضل، يعني لعنه الله (وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له)، ثم بين أنه خير منه، بأنه خلق من نار، والنار أشرف ممّا خلقته منه، وهو الطين.

(١) - أخرجه مسلم برقم (854).

لقد نظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وإذ قاس قياساً فاسداً في

مقابلة قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر/29.

فأخطأ -قبّحه الله- في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين، إذ أن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبّت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة، ولهذا خان إبليس عنصره، ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والاستكانة و الانقياد لأمر الله، وطلب المغفرة والتوبة^{1}.

هذا التكريم الجلي في سجود الملائكة للإنسان سجود تكريم وتشريف، وهذا الإبداع الخلقي الذي صنعه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، يعطينا مشهداً واضحاً بوجود شيء ما مطلوب من بني البشر، من هذا الإنسان.

والاستهانة بهذا المخلوق وعصيان أمر الله فيه له عواقب وخيمة، ﴿قَالَ فَاحْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ 34 ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الحجر 34-35.

تُرى هل فهم إبليس اللعين الدرس القاسي؟ بسبب حسده واستكباره على هذا الإنسان [الذي شرفه الله بأربع تشريفات؛ خلقه بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وتعليمه أسماء الأشياء]^{2}.

هذه الصورة الأولى نشاهدها في الإعزاز والإذلال، فلقد كرم الله الإنسان، وأذل إبليس اللعين، و أهبطه من الجنة؛ لأنه فسق عن أمر ربه، فناله الغضب واللعنة والطرده من رحمة الله.

لقد استدرك اللعين، وسأل النظرة إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ 14 ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ الأعراف 14-15، لقد أنظره الله تعالى استدراجاً له، لحكمة بالغة، لا معقّب لحكمه، وهو سريع الحساب.

(١) - تفسير مختصر ابن كثير: الشيخ محمد علي الصابوني، ج2، ص6.

(٢) - قصص الأنبياء: ابن كثير، ص11.

[طلبه ليُفسد أحوال عباد الله تعالى؟ لما في ذلك من ابتلاء العباد، ولما في مخالفته من أعظم الثواب]{1}.

هنا بدأت المعركة بين الإنسان المكرّم من الله ﷻ وإبليس المطرود من رحمة الله، معركة بدأت من هذه الكلمات -وهي متصلة إلى قيام الساعة- معركة بين الحق والباطل، معركة شرسة، لن تهدأ ناراها! إلا في يوم القيامة. لقد فهم إبليس اللعين بأنه هالك لا محالة، فقرر أن يعلن الحرب ظاهرة وباطنة، مكشوفة ومستورة على آدم وعلى ذريته، إنه عدو حاقِد، يريد إيقاع الشر بنا، أسلحته في ذلك بثّ الإغواء والرذيلة والوسوسة والوعود الباطلة، وتزيين الباطل، وإبعادنا عن الفضيلة والأخلاق والعبادة، ولكن الله الحكيم البصير كان له بالمرصاد.

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ 39 ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الحجر 40-41.

لقد جاء الرد سريعاً من الحق تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ الإسراء/65. إذا؛ العقوبة التي صدرت بحق إبليس اللعين عقوبة عادلة.

لقد استحقّ الطرد من الجنة والإبعاد عن رحمة الله، فهو مستكبر معاند للحق فاسق خارج عن طاعة الله عاص لأوامر الله ﷻ.

أخذ القرار بالإبعاد والإنظار إلى يوم القيامة، فمصيره جهنم خالداً فيها، هو ومن اتبعه، المعركة بدأت من جانب إبليس.

تعالوا نتابع....

(١) - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: شيخ الإسلام الإمام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، ص 111.

هل نجح آدم في اختبار التكليف الأول أم ماذا

لقد أمره الله تعالى بفعل وعمل، ونهاه عن فعل وعمل، وهذا هو التكليف الأول:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف/19.

فكرة واضحة عن التكليف الأول أمر بعمل، ومُنْع من عمل آخر، وكان واضحاً سبب العلة في انهيار آدم وزوجته أمام الامتحان الأول.

لقد نسي وضعفت إرادته في الثبات على التكليف، قال تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ طه/115.

[عن ابن عباس قال: إنما سُمِّي الإنسان لأنه عهد إليه، فنسي]^{1}.
لنقرأ كيف كان إبليس اللعين يوجه من إذاعته الوسوسة الشيطانية المغلفة بغطاء التمني، فماذا كانت النتيجة؟

قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ الأعراف/20.

العري هو سلاح إبليس اللعين، لأن الغرض إخراجهما من الجنة، وفي ذلك يقول الشيخ الصابوني: [قد يكون هدف إبليس هو كشف عورتهم، حتى يمنع عنهما رحمة الله، لأن الكشف والتعري سبب سخط الله، وغضبه، وإبليس -عليه اللعنة- لا يريد الخير لبني آدم]^{2}.

إن إبليس لا يملك إلا الإغواء والخداع، وتزيين السم للأكليين، فمن المعلوم بعد التحذير المستمر؟!

قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ طه/120.

(١) - مختصر ابن كثير، ج2، ص493.

(٢) - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص111.

لقد انهار آدم، وخارت قواه أمام المغريات الشيطانية، فأقبل آدم وامرأته على الأكل من الشجرة المحرّمة.

إن الشيطان أفأك مطرود من رحمة الله خدأع، لكن اللوم يقع على من انخدع به، ووقع تحت وسوسته ومصيدته، لقد زين الشيطان المعصية لآدم، فغوى، قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ طه/121،

الشيطان يعلم [أن في الإنسان قبساً من نور الله، حسده عليه إبليس، وكره الاعتراف به، وقرر الانتقام من آدم وبنيه]^{1}، والله سبحانه حذر آدم من الشيطان الرجيم: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ 117 ﴿إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ 118 ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ طه 117-119.

[أي إياك أن يسعى في إخراجك منها، فتتعب، وتغنى، وتشقى في طلب رزقك، فإنك -ها هنا- في عيش رغيد هني، بلا كلفة، ولا مشقة] ﴿إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى﴾ طه 118.

إنما قرن بين الجوع والعري، لأن الجوع ذلّ الباطن، والعري ذلّ الظاهر: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ طه/119، وهذان أيضاً متقابلان، فالظمأ حرّ الباطن، وهو العطش، والضحى حرّ الظاهر]^{2}.

وكان قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ 121 ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه 121-122.

[رؤي أن الله خلق آدم كثير شعر الرأس، كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة، سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته، جعل يشد في الجنة، فناداه الرحمن: يا آدم، مني تفرّ؟ فلما سمع كلام الرحمن، قال: يا رب، لا، ولكن استحياء، أرايت إن تبت ورجعت، أعائدي إلى الجنة؟ قال:

(١) - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي.

(٢) - مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص493.

نعم، فذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
البقرة/37^{1}.

قيل: إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف/23.
[قال قتادة: قال آدم: أي رب، أرايت إن تبت، واستغفرت؟ قال: إذا؛ أدخلك الجنة،
وأما إبليس؛ فلم يسأله التوبة، وسأله النظرة، فأعطى كل واحد منهما الذي سأله^{2}.
إذا؛ لقد فقد آدم نعيم الجنة، وفقدته معه امرأته، ونزلا معاً إلى الأرض بحياة
مليئة بالمعاناة والشدائد والهم والابتلاءات.
الذي يغري العداوة والبغضاء بين أبناء آدم هو الذي يوسوس لبني آدم؛ وذريته،
إلا عباد الله المخلصين.

(١) - مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص494 (رواه ابن حاتم)، عن أبي بن كعب مرفوعاً.

(٢) - مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص9.

التكليف الأرضي الأول لبني آدم ومعهم

عدوهم اللدود إبليس عند هبوطهم إلى الأرض

قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ 123 ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ 124 ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ 125 ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ طه 123-126.

لقد نجح الشيطان الرجيم في إخراج آدم وحواء من الجنة، فهل ينجح في منعنا من دخول الجنة؟

إنه لا يبتغي غير إهلاكنا لشدة عداوته وحسده وحقده لبني آدم، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ الكهف/50.

[إن قلت: كيف قال ذلك، مع أن الشيطان وذريته، ليسوا أولياء، بل أعداء، لأن الأولياء هم الأصدقاء؟]

قلت: المراد بالولاية هنا، اتباع الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصي، فالموالاتة مجاز عن هذا، لأنه من لوازمها^{1}.

[ثم إنه سبحانه عجب من حال من أطاع إبليس في الكفر والمعاصي، وخالف أمر الله. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ الكهف/50.

فكأنه قال: عقب ما وجد منه من الإباء والفسق، أفتتخذونه وتتخذون ذريته - أي أولاده، وقيل أتباعه مجازاً - أولياء، فتطيعونهم بدل إطاعتي، وتستبدلونهم بي، والحال أنهم: (أي إبليس وذريته ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي أعداء، و أفرد، لكونه اسم جنس، أي كيف تصنعون هذا الصنع، وتستبدلون بمن خلقكم وأنعم عليكم بجميع ما أنتم فيه من النعم؟ بمن لم يكن لكم منه منفعة قط، بل هو عدو لكم، يترقب حصول ما يضركم في كل وقت^{2}.

(١) - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري، ص 198-199.

(٢) - فتح القدير للشوكاني، ج 3، ص 293.

الفصل الثاني

النداءات والتحذيرات التي أرسلها الله ﷻ لبني آدم

بعد هذا السرد لقصة آدم عليه السلام، اتجه الحديث إلى أبنائه على مرّ العصور، فنودوا أربع نداءات، ليستمعوا لنصائح ربهم. وينجوا من كيد عدوهم. فلنتدبر هذه النداءات الأربعة:

النداء الأول: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ **الأعراف/26**.

من النداء الأول، يحذّرنا الله ﷻ من التعري وكشف العورة والانخداع وراء التمدّن والحضارة المزيفة والموضات الشيطانية، وأن إبليس اللعين وذريته لنا بالمرصاد في تزييف الحقائق، فالعري هو سلاح إبليس في نشر الرذيلة، ولكن لباس التقوى والفضيلة التي يتزيّن بها المسلم في نفسه وقلبه وانضباطه بالآداب العامة وأدبه مع أهله وزوجته، فهذا اللباس لا يستطيع لبسه إلا المؤمنين، وهو لباس الورع والخشية من الله ﷻ، قال عليه السلام: ﴿الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان﴾^{1}.

النداء الثاني: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَакُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ **الأعراف/27**.

إنه نداء الرحمن إلى أولاد آدم جميعاً أن اسمعوا وأنصتوا.

نداء عاجل... والتحذير ممّن؟

(١) - رواه مسلم برقم (35).

من إبليس وذريته وعداوته القديمة الأزلية لآدم وذريته إلى يوم يرث الأرض، ومنَ عليها، فاحذروا أن يضلَّكم الشيطان عن الحق والطريق المستقيم، احذروا من أن يحرف فطرتكم التي فطركم الله عليها.. احذروا إبليس وذريته، هو عدوكم، هو الشر بعينه.

لقد نجح في إخراج أبينا آدم وأمنا حواء من الجنة، وها هو اليوم ينجح في إظهار الفاحشة، ويجملها لنا على أنها الفضيلة، ومواكبة الموضة والعصرية.

النداء الثالث: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف/31، وفي الحديث الشريف: ﴿كلوا، والبسوا، وتصدقوا، من غير مَخِيلَةٍ، ولا إِسْرَافٍ، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده﴾^{1}.

النداء الرابع: قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأعراف/35. إذاً؛ هذه المعركة هي معركة بين الحق والباطل، إنها معركة اختبار وابتلاء، ولكن عين الحقيقة هي معركة التكليف الإلهي لبني آدم في الحلال والحرام، في الاستقامة، في التمسك بما شرع الله ﷻ، هي معركة بين الخير والشر، وأعلى مراتب الشر يمتلكها اللعين إبليس وذريته الذين يشيعون الفاحشة والشهوات وحب الهوى في نفوس أكثر بني آدم، بإغوائهم باتباع الشهوات والمحرمات التي تقود إلى عصيان أوامر الله، والبعد عن حلاله، والقرب من حرامه.

إن طبيعة بني آدم طبيعة مزدوجة (ترايبية - روحية)، فهذا الكائن في صعود وهبوط، في حالتين متناقضتين، وهذا التقلب لن يهدأ، طالما يوجد نوازع الخير والشر تتصارعان في داخله، نازع الخير يتجه باتجاه، وعكسه تماماً نازع الشر، يتجه باتجاه معاكس.

وهنا تكمن الحقيقة في بواعث الخير والشر في نفس الإنسان، فقصة الإنسان تقوم كلها على الاختبار الحقيقي بين الخير والشر، بين التقوى و الفجور، بين الحق والباطل.

(١) - رواه أحمد وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي في سننه.

الفصل الثالث

ما الغاية من خلق الإنسان بهذا الإبداع وتكريمه وما حكمة استخلافه في الأرض

كل شيء خلقه الله لحكمه بالغة...

يا ابن آدم، أنت المخلوق الوحيد الذي يمشي منتصباً مرفوع الرأس منصوب القامة، أراد الله تعالى أن يكرّمك في خلقك، وأن تكون سيداً في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ الإسراء/70.

إخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ التين/4.

، أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً ينتفع به، ويفرق بين الأشياء وخواصّها ومضارّها في الأمور الدينية، يقول تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ الإسراء/70، أي على سائر الحيوانات، بل وأصناف المخلوقات.

لقد استدلّ بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة، فعن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا، يأكلون فيها، ويشربون، ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل، ولا نشرب، ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا، فاجعل لنا الآخرة، قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان﴾، «رواه الحافظ الطبراني» [1].

(١) - مختصر ابن كثير، ج2، ص386.

نعم، إنك المخلوق الوحيد على الأرض الذي باستطاعته قهر كل المخلوقات التي عليها، لكن؛ لا تنسَ الحكمة والغاية الحقيقية من وجودك، أن تتعرّف إلى الله ﷻ، و أن تخضع له، وتقرّ بوحدايته، وتعبده، فيسعد بك، وتسعد به في الجنة، إنه الله خالق الوجود .

سَخَّرَ اللَّهُ الْكَوْنَ كُلَّهُ لِبَنِي الْبَشَرِ: قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ 32 ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ 33 ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إبراهيم/32-34.

حكمة وغاية وجود الإنسان على الأرض هي تلك الرسالة التي لخصها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ هود/2. الدنيا هي دار ممر، لا دار مقر، إنها للعمل والعبادة، وفي اليوم الآخر سيكون الحساب، فإما جنة، وإما نار.

فالموت قادم لكل البشر، إنه هادم للذات، وسيأتي يوم الحساب، فمن كفر واستكبر، فإن جهنم هي المأوى، وأما من آمن وعمل صالحاً وجاهد نفسه؛ فالجنة هي المأوى.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً﴾ النبا/39. هذه الحكمة والغاية من وجودك أيها الإنسان تكريم الله لك، وأعطاك العقل والفطرة، وأرسل لك الرسل، وسخّر لك ما في الأرض. الكون بما فيه يسبّح لله، أقرّ العبودية له...

فيا أيها الإنسان... هل ستفهم معنى الخضوع والعبودية لله الواحد الأحد، هل ستحمل أمانة التكليف والإعمار والاستخلاف في الأرض، هل ستكون عبداً لله؟ أم عبداً لهواك؟!

فلا بد من الاختبار والامتحان، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الملك/2.

اختبار بين الحق والباطل، معركة إعمار الأرض، والاستخلاف فيها، وإصلاح المجتمع، وإعلاء صوت الحق، إغاثة الملهوف، صلة الرحم، بناء الأسرة والمجتمع. لقد هداك الله السبيل، إمّا شاكراً ومؤمناً، وعندئذ تكون قد حققت الغاية والهدف من وجودك على هذه الأرض بالإيمان بالله والشكر على النعم التي أنعمها عليك، وإمّا جاحداً وكافراً.

فالغاية والحكمة من خلق الإنسان هي معرفة الله وأن تؤمن بأن الله خالق كل هذه المخلوقات، من أجلك، أيها الإنسان، لكي تعرفه حق المعرفة، فتعبده حق العبادة، فهو يستحق من بني البشر والجن أن يعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/56.

الفصل الرابع

ما السبيل لهداية البشر

لقد أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء لبني آدم، ليعلموهم منهج وشرع الله في الأرض، وكيفية عبادة الله، وذلك للأسباب التالية:

○ إن قصور الحواس التي نحملها -وهي في غاية الإتقان- لا توصلنا إلى علم الغيبيات كيوم الحساب، وما يكون فيه من بعث وحشر، وعرض وحساب وجزاء، من جنة أو نار، فهي قاصرة عن هذا الإدراك قصوراً شديداً، ومن الواضح أيضاً أن الحواس لا تدرك إلا عالم الشهادة وحده، أمّا عالم الغيب الذي هو أعظم وأرحب من عالم الشهادة؛ فلا سبيل للحواس إليه، قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الجن/26.

○ فالعقل يدرك معنى الطهارة والوضوء، ولا يدرك معنى أسرار العبادات، والإنسان لا يستطيع بعقله أن يميز ما أحل الله، وما حرم الله، ولا الطيب، ولا الخبيث، قال تعالى: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ﴾ الأعراف/157. وقال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام/119.

○ والإنسان مركّب من مادة أرضية (الصلصال)، ومن مادة علوية (الروح)، والمادة الأرضية يُصلح شأنها الأكل والشرب، أمّا العلوية (الروح)، فيفي بها ويغذيها وتسمو بها هدايات الله تعالى، وأقواله، وذلك عن طريق الأنبياء والرسل.

○ وفطرة الإنسان توصله إلى الله حتماً، لأنه مهياً لقبول الخير، ولكن؛ ينحرف ويتعد كثيراً عن الفطرة السليمة، تحت تأثير البيئة والتربية والسوسة من الشياطين. لهذا؛ اقتضت حكمة الله أن يرسل الرسل، ليعيدوا الضالين إلى الهدى، والمنحرفين إلى جادة الصواب، نعم، لقد بين الحق أن الناس كانوا على الهدى، فضلوا، وهذه هي حكمة الله في إرساله الرسل، لأنهم قدوة وأسوة حسنة ومناورات مضيئة، ليعيدوا بني البشر إلى فطرتهم التي فطر الله الناس عليها.

ولا تثبت الحجة على العباد إلا بإرسال الرسل، وتعليمهم شرع الله ومنهجه، وتعرفهم بالله، لكي يعبدوه حقَّ العبادة.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ فاطر/24.

قامت الرسالات السماوية بأداء دورها الفعل عن طريق الرسل والأنبياء في تعليم البشر منهج الله ﷻ، ممّا أتاح للإنسان متابعة خلافة الله في الأرض. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ الحديد/25.

وإن الرسل والأنبياء هم الذين يخرجون بني البشر من الظلمات إلى نور الإيمان والطاعة.

سُئِلَ النبي محمد ﷺ عن الأنبياء، فقال: ﴿مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. فقيل: فكم المرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً﴾^{1}، ذُكر منهم في القرآن /25/ خمسة وعشرون رسولاً، وقد فضّل الله بعض الرسل على بعض، ورفع درجات بعضهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ البقرة/253.

دعوة الأنبياء والرسل واحدة، دعوة إلى عبادة الله الواحد، لا شريك له، وهذا الأصل الخالد والغاية الأولى لخلق الإنسان لعبادة الله الواحد الأحد، والإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء/25.

(١) - المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله ابن البيع الحاكم محمد بن عبد الله بن الحكم الضبي النيسابوري.

ما الذي حدث للبشرية.. لماذا هذا الإلحاد بالله.. ما دور إبليس وجنوده

مع هذه الرسائل التي أرسلت لبني البشر، كثيرٌ من الناس التحقوا بقافلة إبليس وجنوده، بقافلة الكفر والضلال، نتيجة الاستكبار والشهوة، وحب الهوى، فرفضوا أوامر الله، ومنهجه، ووقفوا موقف العداء الدموي ضد الرسل والأنبياء، وكذبوهم، وقتلوه، وحاملين لواء الإلحاد والكفر...

- قوم نوح، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء/105.
 - قوم صالح، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء/141.
 - قوم لوط، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء/160.
 - أصحاب الأيكة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الشعراء/176.
- ما هذا الإلحاد والشرك الصريح؟! لماذا أنكروا التوحيد؟! وأصرّوا على اتباع آبائهم الضالين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة/170.
- ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الجاثية/24.
- إن هذا الإلحاد هو مرض وليس فكرياً، ومنهم من اتخذ إلهه هواه؟ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية/23، ومنهم من ينكر فكرة البعث والنشور أصلاً.
- قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ 38 ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ النحل/38-39.

[وأرى أن هؤلاء الملاحدة نبتوا في ظل الديانات الأرضية المنحرفة، أو السماوية المحرفة، وقد لاحظوا الجانب المظلم في هذه الديانات كلها، ولم يُرزقوا معرفة الحق من منابعه النقية، ولم يكن لهم من أنفسهم نور يمشون به، فآثروا الكفر الغليظ والتعطيل التام]{1}.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فصلت/17.

(١) - المحاور الخمسة للقرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، ص22.

إن بطر الحق، وإيثار الغيِّ على الرشاد، والباطل على الحق عند ثمود، هو ما أودى بها، فهل ينجو غيرهم من هذا المصير إذا تخلَّقوا بهذه الأخلاق؟ كلا: إن الله لا يُصلح عمل المفسدين. قال تعالى: ﴿قُلْ أَنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ 9 ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ﴾ فصلت/9-10.

أسئلة تطرح :

- ✓ مَنْ الذي يزيّن الفاحشة؟.
- ✓ مَنْ الذي يسوق المعصية لبني آدم؟.
- ✓ مَنْ أقسم أن يُضِلَّ بني آدم؟.
- ✓ مَنْ هو العدو الأول للإنسان ولل البشرية جمعاء؟.
- ✓ تعالوا نتعرّف إلى أحواله، كي نهزمه.

الشیطان الرجیم العدو الأول لبني آدم

إنه العدو الأول لبني آدم... إنه قائد، ولكن؛ أي قائد؟ إنه يقود معزوفة الإضلال والإفساد في الأرض. وأما عناصر هذه المجموعة؛ فهم -ويا للهول- ليسوا قلة، إنهم شياطين الإنس والجن.... إنهم أهل الطغيان، أصحاب الهوى والشهوة، إنهم رفاق السوء، الذين يحملون النفوس الخبيثة الأمارة بالسوء، إنهم طواغيت الشر، لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، قائدهم هذا الشيطان الرجيم الآيس من رحمة الله تعالى.

ماذا تعني كلمة الشيطان؟

[الشيطان لغة مشتقة من شطن إذا بُعد، وهو بعيد بفسقه عن كل خير، فالشيطان مُشتق من البُعد، ولهذا يسمون كل متمرّد من جني وإنسي وحيوان (شيطاناً) قال تعالى: ﴿شَيَاطِينُ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ الأنعام/112.

(الرجيم): فعيل، أي مفعوله، أي أنه مرجوم مطرود عن الخير^{1}.

والشيطان الرجيم هو من عالم الجن.

والجن خُلِقَ من مخلوقات الله ﷻ، أصل خلقه من نار، قال تعالى:

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ الحجر/27.

وفي الحديث الشريف ﴿خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَتِ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ

نار، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ رَبُّكُمْ﴾^{2}، أي من تراب.

الجنّ فيهم المؤمن، وفيهم الكافر، لأنهم مُكلّفون كالإنس بالتكاليف الشرعية،

قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ الأنعام/130.

وكان منهم من يؤمن بالكتب السماوية السابقة، إلى أن استمع نفر منهم للقرآن

الكريم، فآمنوا، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا

(١) - مختصر ابن كثير، ج2، ص16.

(٢) - أخرجه أحمد في مسنده.

سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾
الجن/1-2.

سبحان الله! استمعوا إلى القرآن، فآمنوا، وكثير من الناس إلى يومنا هذا يرفضون سماع قول الحق، بسبب غفلتهم ونكرانهم للحق، أنت، أيها الإنسان الذي خلقت في أحسن تقويم، ألا تستحي من الله الذي خلقك، فسواك، فعدلك سبحان الله!.

ألا تستحي من بعض هذه المخلوقات النيرانية التي آمنت بالله، واستمعت لهذا القرآن؟! قال تعالى: ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن/2.

لقد أنكروا ما يفعل هذا السفیه إبليس اللعين، ليس وحده، بل مع الإنس الضالین، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن/6.

افهموا ما قالته الجن عندما سمعوا القرآن.

لقد آمنوا فوراً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ 13 ﴿وَأَنَّا مَنَا الْمُسْلِمُونَ وَمَنَا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ 14 ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ الجن/13-15.

لكن أهل الغفلة والإلحاد، يتبخثون، ويتشددون، ويكذبون، ويتملقون على الناس، وعلى أنفسهم، ولبسوا ثياب الإلحاد وثياب التمدن الزائف، و بدأت الشياطين وعلى رأسها إبليس اللعين، تجتالهم عن فطرتهم، وعن دينهم، عن الحق والحقيقة.

في الحديث القدسي: ﴿إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً﴾ {1}.

يبدو أن هناك أناساً لا تقبل طبيعتها ونفسياتها إلا الرفض، ويعتقدون أن في ذلك إثباتاً للذات، ورضا عن أنفسهم، ومغالبة للغير، بهذه الطريقة يقارعون الحق بأساليب ملتوية، وبأنها وجهة نظر، وهي - في الحقيقة - سموم فاسدة، يبتونها هنا،

(١) - رواه مسلم برقم (2865) جزء من الحديث.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لقمان/6.

أُسْئَلَةُ مَطْرُوحَةٌ :

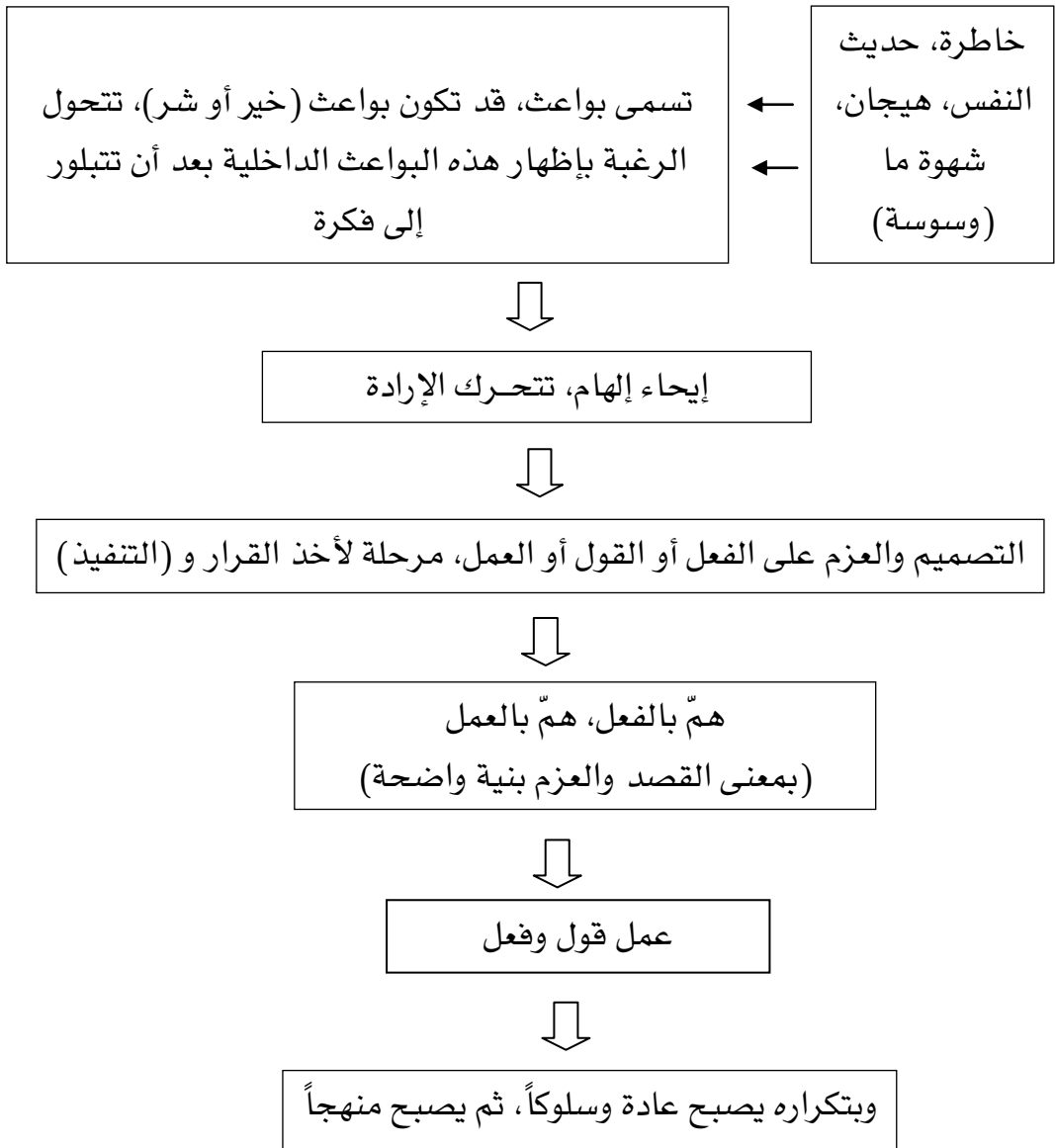
- ✓ كيف وصل هؤلاء إلى الغفلة والضلال؟.
- ✓ كيف اجتالتهم شياطينهم عن فطرتهم؟.
- ✓ للوصول إلى فهم هذا، علينا أن نشرح.

حديث النفس، الخاطرة.. الإلهام.. وأخذ القرار

ألم يخطر ببالك خاطرة.. شراء سيارة؟ أ لم تحدثك نفسك بإقامة مشروع ما، أو خاطرة بسحب قرض ما؟ هذا ما يسمّى حديث النفس، أو خاطرة، وقد يسمّى إحياء داخلياً، وهي ومضة وإشارة من اللاوعي تشعرك من الداخل بخاطرة ما، فتبتّ إليك بإشارة معينة، تُدعى الخاطرة، أو حديث النفس، أو تخيلاً بسيطاً جداً، يمرّ عليك بلمح البصر وتسمى الصورة الذهنية.

هذه الخاطرة هي المحرّك الأساسي لخلق الفكرة، وبالتالي؛ لإرادة الفعل والعمل. قد تكون الخاطرة قد بُتت إليك، وترجمتها -أعمل الخير- وقد أسماها العلامة أبو حامد الغزالي (باعث الخير)، وقد تكون -أعمل الشر- (باعث الشر).

الآن، هذه البواعث أو الخواطر التي نشعر بها، والتي تحاكي صدورنا، عقولنا، تتبعث بسرعة هائلة فينا، فتحرك لدينا الرغبة بإظهار هذه البواعث (الخواطر) إلى مرحلة ثانية، تُدعى ظهور الفكرة، وهي مرحلة، تأتي قبل العزم على فعل هذه الخاطرة؛ أي مرحلة دراسة اتخاذ القرار: هل أفعل؟ أم لا أفعل؟، هل أقول؟ أم لا أقول؟، فإذا مالت الرغبة لهذه الخاطرة، تحرّكت الرغبة داخلنا، وتحوّلت إلى نية واعتقاد، بأنه يجب عليّ أن أقوم بهذا العمل أو القول اعتقاداً مني بصحته، وإرادة فيّ بأن أقوم به، بغضّ النظر عن أنه سلبي، أم إيجابي.



(هذا العمل ظهر على أرض الواقع اختياراً بمعنى إرادة الإنسان).
هذه النية والاعتقاد قد يتوقفان، لسبب ما، اضطرارياً، أو اختيارياً، أو قد يستمرّ في التنفيذ، إذاً أصبح لدينا الآن النية على عمل ما، وتمّ العزم والتصميم على تنفيذه. عندها؛ في لحظة أخذ القرار يتولّد عندها قوة ما للعمل، وهذا اختياري - إرادي، هذه القوة تُدعى الهمّ بالعمل، أي همّ بالعمل، أو همّ بالفعل (تنفيذ الإرادة)، وهي إرادة عقلية قلبية تصدر منه الأمر إلى الدماغ عن طريق السيالات العصبية، أمر يتحرك فيه الجهاز الحركي والعصبي.

وعندها؛ تكون النتيجة حدوث العمل، أو الفعل أو القول إرادياً واختيارياً، بقرار من صاحبه، وتحت مشيئته الاختيارية (إرادته الإنسانية).

تعالوا نقرأ، هذا الحديث: عن ابن عباس، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ. فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا، فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا، فَعَمَلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً﴾^{1}.

وهنا؛ نتوقّف عند عدة نقاط محورية:

1- هذا العبد إذا همّ لعمل الخير، ولظروف ما اختياري، أو اضطراري، لم يباشره، وبنيته عمله، فله حسنة. لماذا له حسنة؟ لأن نيته القيام بعمل الخير، ولظرف ما توقّف.

2- إذا همّ بعمل الخير، وظهر العمل، فله عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، لماذا؟ لأن نيته عمل الخير، وقد عمله، وحققه، فالله أكرم الكرماء.

3- إذا همّ بعمل سيئة، ولكنه توقّف عن عملها، هنا؛ يكتب الله له حسنة كاملة، لماذا؟ لأنه توقّف عن عمل السيئة، فجزأؤه حسنة.

4- إذا همّ بعمل سيئة، وعملها، كتبها الله له سيئة واحدة.

(١) - رواه البخاري برقم (6491).

والخاطرة حديث النفس للمسلم، لا يُؤاخذ عليه المسلم، لحديث رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأُمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ﴾^{1}.
لكن؛ إن تحول حديث النفس إلى نية ورغبة في عمل هذا العمل، عندها؛ يُحاسب الإنسان على نيته، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هَجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ﴾^{2}.

(١) - رواه مسلم برقم (127)، وفي البخاري (أن الله تجاوز لي عن أمتي ما وسوست به صدورهم، ما لم تعمل أو تتكلم)، برقم (2528).
(٢) - رواه البخاري، برقم (1).

الفصل الأول

هل بواعث الشر والخير تظهر عند كل الناس

كيف يستطيع الشيطان أن يوسوس الشرّ لبني آدم

إذا كانت البواعث سلبية: شرب خمر، عمل منكر، شهوة ماجنة، فهي وسوسة من الشيطان، وهو صوت الشرّ في داخل الإنسان. أمّا بواعث الخير: كحديث النفس، والخاطرة عن عمل الخير، وكصلة الرحم، أمر بالمعروف، صدقة، فإنها إلهام من الله ﷻ لهذا الإنسان، وهو صوت الخير في داخل الإنسان.

وهذا ما أكّده رسول الله ﷺ: ﴿فِي الْقَلْبِ لِمَتَانِ: لِمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ إِيحَاءٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، وَلِيَحْمَدِ اللَّهَ، وَلِمَةُ الْعَدُوِّ إِيْعَازٌ بِالْشَّرِّ، وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْخَيْرِ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفَرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة/268^{1}.

إذاً؛ قلب المؤمن كالحصن الحصين، وفيه حراس يحمونه من كل الجوانب، فكلما انصرف هذا القلب إلى الإيمان، وذكر الله تعالى استتار قلبه، وزادت فيه بواعث الخير، عندها؛ يرتحل الشيطان وبواعثه ووسوسته، ويضيق المكان عليه، فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة، وهي فرض عين على كل عبد مكلف، وهذه المجاهدة تستمر إلى الممات، تحمي هذا القلب المستنير بنور الله، واتباع منهج الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت/45.

(١) - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، أخرجه وحسنه.

هذا هو المؤمن، قد استطاع أن يصرف شهواته إلى فعل الخير، إلى الصلاة، إلى ذكر الله والعمل الصالح، وحوّل شهواته إلى ما يرضي الله ﷻ، مثل شهوة النساء حوّلها إلى زواج صالح حلال، قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْضِي شَيْطَانَهُ، كَمَا يَنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ مِنْ سَفَرِهِ﴾، «أي يهزله، ويجعله يضمنوا، والنضو: الدابة التي أهزلتها الأسفار، وأذهبت لحمها» {1}.

وهناك أبواب كثيرة، يُدخل الشيطان وسوسته منها: الغضب والحسد، الحرص على الدنيا وسوء الظن، وشهوة الجنس، حب الهوى، حب المال، حب السلطة، العظمة، فلكل إنسان شيطان (قرين) يوسوس له، وهو صوت الشر، قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينَهُ مِنَ الْجِنِّ، قَالُوا: وَإِيَّاكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ﴾ {2}.

إذا؛ التقرب إلى الله بالطاعات والأذكار وتهذيب النفس، لأن النفس أمارة بالسوء، عندها؛ تكون في حالة المجاهدة مع النفس، وهي أفضل الجهاد.

[قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعوا، فلا يستجاب لنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ غافر/60، قال: لأن القلوب ميتة. وقيل: ما الذي أمانتها؟ قال: ثمانى خصال:

- 1- عرفتُم حق الله، ولم تقوموا بحقه.
- 2- وقرأتم القرآن، ولم تعملوا بحدوده.
- 3- وقلتم: نحب رسول الله ﷺ، ولم تعملوا بسنته.
- 4- وقلتم: نخشى الموت، ولم تستعدوا له.
- 5- قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فاطر/6، فواطئتموه على المعاصي.
- 6- وقلتم: نخاف النار، وأرهقتم أبدانكم منها.
- 7- وقلتم: نحب الجنة، ولم تعملوا بها.

(١) - أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة.

(٢) - أخرجه مسلم برقم (2814).

8- وإذا قمتم من فرشكم، رميتم عيوبكم وراء ظهوركم، وافترشتم عيوب الناس أمامكم، فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟» [«من كتاب إحياء علوم الدين».

إذا؛ هي معركة بين بواعث الخير والشر في القلب، إنها خواطر افعَل، أو لا تفعل، كلها تتصارع في داخلنا. فإذا تحولت هذه البواعث إلى رغبة و نية، يأتي القرار بالتنفيذ، أو عدمه.

ما هي المؤثرات التي تساعد

على تشكّل القيم والمعتقدات عند الإنسان

1- **المؤثر الأول:** هو مؤثر الفطرة، وهو مؤثر الواعظ الديني النفسي، ويسمى صوت الحق في داخلنا، وهو الهداية الدلالية لكل الناس، وقد ينمو ويشع نوراً، وقد يضمحل ويضمّر، وذلك نتيجة ارتباطه مباشرة بالمؤثر الثاني (البيئة الأسرية).

2- **المؤثر الثاني:** المؤثرات البيئية الأسرية (الأهل).

قال رسول الله ﷺ: ﴿ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج بهيمة الجمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم/30 ﴿1﴾.

فالبيئة -وخاصة نمط التربية الأسرية-، وما يحمل الأهل لها من معتقدات وقيم، تفرز رسائل يتلقاها الولد، فإما أن ينمو الواعظ الديني (الفطرة)، ويشع ضياءً، وإما تخبو فطرته، لأنها ستترت بغشاء سميك من الرسائل السلبية من قبل الأهل (نتكلم عن الأمر الديني).

هذه الرسائل تصنع أفكاراً وقيماً، تنحصر وتتركز في مسارات ومسالك العقل. وستتحول -لاحقاً- إلى عادات، يتصف المرء بها.

(١) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (4775).

3- المؤثر الثالث: وهو البيئة المحيطة من تأثير المدرسة، والمدرّسين، والصُّحبة، والتلفزيون، والكتب، والتقاليد، كلها ستساعد الطفل على توليد خواطر تتجمّع وتتجمّع، لتعطي صوراً ذهنية، تتجمّع، لتعطي أفكاراً ثم معتقداً، يُولّد سلوكاً، نقول قد يكون سوياً، أو سلوكاً غير سوي، ويفرز معه أقوالاً وأفعالاً.

فالأفكار والرسائل تتشربها النفس عبر مسلكين: مسلك العقل الواعي يتشربها، ويحوّلها إلى المسلك الآخر، وهو مسلك العقل اللاواعي الذي يقوم بتجميع هذه المعتقدات والأفكار والعواطف، وتنحفر فيه، وتنطبع عليه، وتحوّل إلى سلوك وعادات راسخة في القلب، تنطبع فيه، ويظهرها الإنسان، وينادي بها بأن أخلاقه كذا وكذا، وتأكيداً لهذا، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾^{1}.

وبالنتيجة، تأثير الأهل والبيئة هو التأثير الأول على الأولاد، لأن بناء المعتقد ينبع من القيم والرسائل الموصولة لهذا الطفل، والتي ستنتج مجموع سلوكيات، تعطينا سمات الشخصية الخاصة به.

(١) - رواه البخاري برقم (52) جزء من الحديث.

الفصل الثاني

كيف يتشكّل السلوك غير السوي للإنسان

كيف طبع الله على قلبه.. كيف أوصل نفسه للضلال

إنسان ما، جميع خواطره النفسية وأفكاره كلها تحمل بواعث الشر وحب الهوى والشهوة. هذه البواعث تكبر وتقوى في داخله، فيستسلم لشيطانه وجنده، عندها؛ تنطفئ في قلبه لمة الرحمن، وتظهر كل غرائزه ورغباته ونياته بشكل مكشوف للعيان، يقودها شيطانه بالإغواء والوسوسة له، وهو صوت الشر في داخله، يأمره بعمل الشر، لأن عقله قد أوعى هذه الشرور والمعتقدات الضالة، فتأصل بها، فهي محفورة في داخله، عندها؛ ستظهر بأعمال قبيحة سيئة ذميمة، لأنه انقاد لها، ولشيطانه، ويصبح عاجزاً ضعيفاً أمام شهواته، و تزداد نفسه الأمارة بالسوء خبثاً، كما جاء في الحديث القدسي: ﴿إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم﴾^{1}، وقد يصير الشيطان من جنده، وهذه حال الشقي، فقد دخل الشرك، وهو فساد نفسي وعقلي، كما قال قائل (من كتاب عدة الصابرين):

[وكنْتُ امرؤاً من جند إبليس، فارتقى بي الحال، حتى صار إبليس من جندي].

وهذا ما أكده رسول الله ﷺ: ﴿العاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى﴾^{2}، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية/23.

هؤلاء الكفرة العجزة الذين يحملون لواء الإفساد في الأرض، ويصدون عن سبيل الله هم أهل الكفر، ويزدادون كفرًا بصحبة أخلائهم الذين على شاكلتهم؛ قال ﷺ: ﴿إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك وناfox الكير، فحامل

(١) - رواه مسلم برقم (2865) جزء من الحديث.

(٢) - أخرجه الترمذي (2459) وأحمد (16674).

المسك إِمَّا أَنْ يَحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخَ الْكَبِيرِ
إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً»^{1}.

فكل سلوكياته القبيحة الشريرة، ظهرت للخارج، فأصبح يمارسها بشكل علني.
قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ﴾ القصص/50.

نعم، أصبحت شهواته الشيطانية مهيمنة على قلبه وعقله، وخبث فطرته، وسترت
بحاجب سميك، فابتعد عن الحق، وأصبح أسيراً لشیطانه ولصوت الشر في داخله: قال
تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ النحل/100.

إن هذا الإنسان دخل في ظلام الضلال، ابتعد كثيراً عن الحق، فجميع أفكاره
خرجت عن المنهج الذي ارتضاه الله للعالمين. وقريبة من شيطانه وهواه، فتظهر
السلوكيات، تتحول لعادات، ثم ينطبع عليها هذا الإنسان، وتصبح صفاته وسماته: قال
تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/16.

عندها: يصطبغ بهذه الصفات والسمات، وأنه متكبر وضال، وأن أعماله وتصرفاته ونياته
كلها منه صادرة عن إرادته، فهو مخير في ذلك: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^{7} فَأَلْهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا^{8} قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا^{9} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس/1-10.

[أي خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا^{8}
أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها؛ أي بين ذلك لها، وهداها إلى ما قُدر لها.
قال ابن عباس: بين لها الخير والشر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

المعنى قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وطهرها عن الأخلاق الدنيئة
والرذائل ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ أي دسها أضلها حتى ركب المعاصي وترك طاعة
الله ﷻ^{2}.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة/257.

(١) - رواه مسلم برقم (2628).

(٢) - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص 638، وص 639.

هؤلاء تمرّدوا، واستكبروا، وطفّوا، لأنهم رفضوا صوت الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟ عندها؛ فلا وازع ديني في قلبه، يردعه من فعل المنكرات، هؤلاء عبدوا شهواتهم الماجنة وهواهم، ورفضوا قبول الحق، واستحوذت عليهم شياطينهم، واشتروا الضلالة بالهدى، فأصبحت معتقداتهم الباطلة مرسّخة في نفوسهم، في قلوبهم الميتة المتعفّنة.

عندها؛ يصبح القلب أقسى من الحجر، فهو مريض.

وتغلق كل أبواب القلب، فتعمى البصيرة القلبية بسبب الغفلة، فلا بصيرة ولا فهم ولا إدراك، إنهم كالأنعام، بل أضلّ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف/179.

والخلاصة لو كان الإنسان مجبراً على طاعة الله لبطل الثواب، ولو كان مجبراً على المعصية لبطل العقاب، وحكمة وجود يوم القيامة هو للحساب على الأعمال التي قام بها الإنسان، لأن الإنسان له إرادة، وهو مكلف بالتكاليف، هو يعرف نفسه، ويعرف ما يريد، قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ الانفطار/5.

لكن مشيئة الله هي العليا، فهو أعلم بعباده، من كان من أهل النار، فهو من أهل النار، وسيعمل هذا الإنسان بعمل أهل النار في الدنيا، فيكون من أهل الشقاوة. ومن كان من أهل السعادة، فيعمل في هذه الدنيا بعمل أهل الجنة. قال رسول الله ﷺ: ﴿اعملوا، فكل ميسر، أمّا أهل السعادة؛ فييسرون لعمل أهل السعادة، وأمّا أهل الشقاوة؛ فييسرون لعمل أهل الشقاوة﴾^{1}، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ 5 ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ 6 ﴿فَسَيُسَرُّهُ لِّسْرَى﴾ 7 ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ 8 ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ 9 ﴿فَسَيُسَرُّهُ لِّلْعُسْرَى﴾ الليل/5-10.

يلهثون وراء السراب والطواغيت، وراء الرذيلة، وراء المعاصي والاستكبار المبين، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّكْبِرٍ جَبَّارٍ غَافِرٍ﴾ 35.

(١) - رواه مسلم برقم (2647).

ونتيجة لذلك يفقد توازنه، ويصبح مضطرباً داخلياً وخارجياً بسلوكيات غير
سوية، وحياته كلها شقاء وتعاسة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/124، هو الذي ظلم نفسه.
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس/44.
سندرس الصفات الذميمة التي أوصلت كثيراً من الناس إلى موالاة الشيطان،
وأصبحوا عبيداً له، يأمرهم بالفحشاء والمنكر.
لكن هنالك الكثير من الذين يحملون بعض هذه الصفات المذمومة قد يكونون
من أهل الإسلام، فنسأل الله لهم قبول التوبة والعودة إلى جادة الصواب.
وهذه الصفات أكثرها مكتسب من البيئة المحيطة بصاحبها، ومن رفاق السوء،
الذين يوسوسون لبعضهم، فهم في ظلام دامس.
وإليكم بعض هذه الصفات السيئة والذميمة التي لا ترضي الله ﷻ، ولا
الرسول ﷺ.

الصفات الذميمة وسلوك أصحابها

الفصل الأول

الكِبَرُ والخِيَلَاءُ

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر/35، وقال الرسول ﷺ: ﴿الكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ﴾^{1}.

أولاً... بطر الحق : أي رده ودفعه. وهي أعظم صورة من صور الكبر، حين يُعرض الإنسان عن قبول الحق، ويدفعه ويردّه، كما فعل إبليس اللعين، حين رد الحق من الحق سبحانه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة/34، وعلل ذلك: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف/12.

فالتكبر على الله تعالى أودى بإبليس اللعين إلى جهنم، وهو أفظع أنواع الكبر، وهناك تكبر على رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وهو شنيع كقول نمرود لإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَنَا أَحْيَى وَأُمِيتَ﴾ البقرة/258.

(١) رواه مسلم برقم (91).

وقول كفّار قريش؛ حيث أمروا بالسجود للرحمن ﴿أَسْجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾
الفرقان/60.

وكذلك قولهم لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّا نُنْزِلُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ
الْقَرِيتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف/31.

ثانياً.. غمط الناس: أي احتقارهم (وهو التكبر على الناس)، ذلك حين يرى
الإنسان نفسه أنه فوق كل الناس، وأنه أغنى أو أقوى أو أشرف من غيره،
فيحتقرهم، وينظر إلى الناس بازدراء واستخفاف، فلا يتباسط معهم في الحديث،
ولا يتحدث إليهم، أي ينزل نفسه فوق منزلتها استصغاراً للآخرين!
ها هو قارون استكبر على أهله وشعبه وبلده لكثرة ماله وسلطانه، قال تعالى:
﴿وَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ القصص/76.

فزاده الله طغياناً واستكباراً وتطاولاً، فحدث ما حدث، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ
وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ القصص/81.

والكبر رؤية الإنسان نفسه أنه فوق كل الناس، وكأنه فوق برج عاجي، والناس
دونه، والعجب والزهو والكبر يصيب الإنسان، ويصيب الشعوب. فقوم عاد قالوا:
﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ فصلت/15.

أي مزجوا الكبر مع الزهو والتجبر في الأرض، فمن استكبر عن الحق، لم ينفعه
إيمانه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ 42 ﴿اسْتَكْبَاراً فِي
الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر/42-43.

وعنه أنه قال ﷺ: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ﴾^{1}، ﴿لَا أَخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ﴾^{2}، فالعتل هو: الغليظ الجافي، والجواط «الجموع المنوع».

والكِبَرُ: اضطراب في نفسية حاملها، فهو يرى أنه فوق الناس كلهم، يمتنع عن قبول الحق، ولا يتنازل للآخرين.

ينظر لمن حوله أنهم كالذر، وهو العظيم، كما في الحديث الشريف: ﴿يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾^{3}.
لقد وصف الله تعالى الكفار بالكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ الصافات/35.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ النحل/23.

أخي الحبيب: كن متواضعاً لله ولخلق الله، واشكر فضل الله عليك.
فاحذر من الاستكبار على الآخرين، واحذر من الزهو والعجب بنفسك، وتذكر أن الزمان لا يثبت على حال، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ آل عمران/140.
فهذه النعم التي أعطاك الله إياها، يأخذها منك في لحظة، إن لم تعرف أن المنعم عليك بهذه النعم هو الله ﷻ، فلا تتكبر على خلق الله، ولا تزهو بنفسك بأنك أنت صاحب الفضل في ذلك.

واعلم أن كل نعمة هي من الله، ويفضله، فأد شكرها، لتسعد، وتزداد، قال تعالى ﴿لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم/7، وقال أيضاً: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ النحل/53.

(١) - رواه مسلم برقم (91) جزء من الحديث.

(٢) - رواه البخاري برقم (6071).

(٣) - رواه الترمذي.

الغرور

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الانفطار/6.

إليكم ما كتبه العلامة الشيخ أبو حامد الغزالي:

[مفتاح السعادة التيقُّظ والفتنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، فلا نعمة الله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ النور/35.

والمغترون قلوبهم كما وصفهم الله ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور/40 {1}.

فالغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، وأنواعه كثيرة:

- غرور بعض الناس بالدنيا، قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ لقمان/33.
- غرور الضالين الكفرة بأعمالهم، قال تعالى: ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ آل عمران/24.
- غرور الذين اتخذهم الشيطان العوبة بين يديه، قال تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ النساء/120.

(١) - إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري، ج2، ص1288،

• الاغترار برحمة الله، فيتكل بأن الله ذو المغفرة الواسعة، وأن رحمته سبقت غضبه. ونحن شباب ما زال لدينا متسع من الوقت، فلا يدري أحدهم أ يموت غداً؟ أم بعد غد؟ فلا عمل صالحاً، ولا أناب، ولا تاب إلى الله. بل قد يغفل ويغتر الظالم بظلمه، ويغفل أن الله يُهمَل، ولا يُهمَل.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ﴾^{1}. والمغرور معجب بنفسه، يغترّ بمدح الناس له على أنه العالم الجليل، أو الطبيب الماهر، ومنهم من يغترّ بالدنيا والأولاد والأموال.

قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ آل عمران/185. هذا الغرور ينتج عن الجهل، وصاحبه جاهل، ولو كان عالماً، إذ مَنْ كان غروره في علمه، فليقس علمه إلى العلماء، ومَنْ كان غروره في إيمانه، فليقس استقامته وإخلاصه إلى علماء الأمة، ومَنْ كان غروره في عمله، مهما كان نوع عمله، فليقس ذلك بغيره.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ الانفطار/6.

(١) - رواه مسلم برقم (2583).

الغضب

[الغضب شعلة نار، اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة،
وأنها لمستكنة في الفؤاد استكانة الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين في
قلب كل جبار عنيد

فَمَنْ استَفْزَته نار الغضب، فقد قويت فيه قرابة الشيطان. إذ شأن الطين
السكون والوقار، وشأن النار التلظى والاستعار والحركة والاضطراب، ومن نتائج
الغضب الحقد والحسد، وبهما هلك مَنْ هلك، وفسد مَنْ فسد^{1}.

[إذا: الغضب -اصطلاحاً- تغيّر داخلي أو انفعال في نفس الإنسان نتيجة
الغيظ، يدفع للانتقام^{2}]، قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ
شَتَى، مِنْهُمْ الْبَطِيءُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفِيءِ «الرجوع» وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ
الْفِيءِ، فَتَلَكْ بِتَلَكْ، أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ بَطِيءُ الْفِيءِ، أَلَا وَخَيْرُهُمْ بَطِيءُ
الْغَضَبِ، سَرِيعُ الْفِيءِ، أَلَا وَشَرُّهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ، بَطِيءُ الْفِيءِ﴾^{3}.

فإن البيئة العائلية وعلاقة الأسرة مع بعضها البعض والمحيط العام تؤثر على
الإنسان في تكوين هذه الصفة، إما بازدياد، أو بالتعلم، وكيف يتصرف ويتزن ويحكم،
وهذا يحتاج لمجاهدة النفس.

إن الغضب نحول العقل، وإذا ضعف، هجم جند الشيطان، وجاء في الأثر:
سئل إبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم! فقال: آخذه عند الغضب، وعند الهوى.

(١) - إحياء علوم الدين، ج2، ص1051.

(٢) - معالم الشخصية الإسلامية: عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح الحميدان- عصام بن
عبد المحسن- هوساوي، ص238.

(٣) - رواه الترمذي.

كيفية وآلية ظهور الغضب عند الإنسان

لسبب ما، ولحادث ما، يؤدي بهذا الإنسان أن يثور ويشتاز غضباً، فتبدأ آلية بواعث الغضب، تُحدّث النفس بأن هذا الشيء يغضبها، فيرتفع هرمون الأدرينالين في الدم، ممّا يحرك في نفسه الشعور بالغضب، فتهاج معه شهوته، وفيه لذتها بالغضب، ممّا يستدعي معه تحريك هذا الشعور إلى رغبة جامحة، فإن لم يكبحها بالاستعاذة بالله العظيم من الشيطان، ويغيّر من تصرفاته الحركية، فإنه قد يفك عقال رغبته المتهيجة للغضب، وتظهر عليه علامات الغضب، ومنها:

- 1- احمرار الوجه.
 - 2- عدم ضبط سلوكه اللساني، فقد يلعن ويقذح هذا وذاك.
 - 3- عدم ضبط سلوكه الحركي، فقد يضرب، أو يكسر، أو قد يضرب نفسه والآخرين.
 - 4- يفقد السيطرة تماماً على نفسه، وعلى حركاته.
 - 5- يزداد تعرقاً.
 - 6- ترتفع ضربات قلبه بشكل زائد، وخاصة بازدياد هرمون الأدرينالين.
 - 7- قد يثور ثورة بركانية، لا تُحمد عقباه، وعندها يفقد كل زمام التحكم بعقله وتصرّفاته، فيهيّج كالثور الأحمر، لهذا؛ قال الإمام جعفر الصادق رحمه الله: ﴿الغضب مفتاح الشر﴾^{1}.
- بهذا الغضب يؤدي إلى تفاقم المشكلة وعدم حلّها؛ لأن العقل قد تعطلّ على أخذ أي قرار حكيم وصائب.
- وبالتالي؛ قد يحدث في حالة الغضب والانفعال الجامح أن يطلق زوجته، أو يضرب مديره، أو أن يضرب الزجاج بيده، وفي الحديث الشريف: ﴿الغضب يُفسد الإيمان، كما يُفسد الصبر العسل﴾^{2}، وقال ﷺ: ﴿ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب﴾^{3}.

(١) - إحياء علوم الدين، قسم الغضب.

(٢) - الكبير: أخرجه الطبراني.

(٣) - رواه البخاري برقم (6114).

الغضب مرتبط بالكبر والاستعلاء والظلم والتعدي، ولهذا كان طريقاً مهلكة، وأرضاً موحشة لصاحبها، وبذلك يفرح إبليس عليه اللعنة، لأن الغضب نار في القلب، وهو منها يُشعلها بالوسوسة للانتقام.

عنه رسول الله ﷺ: ﴿إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من نار﴾^{1}.

ومن نتائج الغضب:

1. يُفقد حكمة العقل والتدبر، وفي الحكم قيل: يا داود، إياك وشدة الغضب، فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكم^{2}.

2. الندامة الشديدة بعد خمود ثورة الغضب، عندما يعرف ماذا فعل بفقد صوابه وعقله، وقد يكون أفشى سراً ما، أو طلق زوجته، أو أي شيء آخر...

3. في الغضب يُبعد الأصدقاء والأهل عن صاحبه، فيصبح كريهاً منبوذاً.

4. ومنهم من يجعل ثورة الغضب دائمة، أي يجعل الغضب والسخط واللعن يعيش فيه، فترى وجهه عابساً، يسب هذا، ويلعن هذا، الكل من حوله يحقره، لأنه نكد، كدر.

والإسلام بريء من هذه الأخلاق، قال رسول الله ﷺ: ﴿سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر﴾^{3}.

ما بال هؤلاء الناس ترى وجوههم عابسة، نظراتهم غير راضية، يلعنون هذا، ويشتمون هذا، ويغضبون من أئفه الأسباب، السبب الحقيقي لكل ذلك عدم مجاهدة النفس لتغيير هذه الطباع السيئة وعدم ضبطها بمخافة الله ﷻ، وبالتالي؛ فهو لا يتجاوز عن أي هفوة للغير، بل على العكس، يترصد الهفوات، فعلياً نحن المسلمين أن نداري هذا، وننقي فحشه، كما فعل رسول الله ﷺ، إذ دخل عليه رجل الآن له القول، فقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿يا رسول الله،

(١) - أخرجه الترمذي ولأبي داود من حديث السعدي (إن الغضب...ص1055 من إحياء علوم الدين، ج2).

(٢) - من إحياء علوم الدين، ص1023.

(٣) - رواه البخاري برقم (6044).

قلت الذي قلت، ثم أُلئتَ له القول، فقال: يا عائشة: إن شرَّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة، مَنْ تركه الناس اتقاءً فحشه» {1}.

قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» {2}.

هذا هو الغضب غير المحمود والمسيء لصاحبه، والذي يتلاعب به الشيطان، كما يتلاعب الصبية بالكرة.

ولكن: هناك نوع آخر من الغضب المحمود والممدوح، إذا كان لله ﷻ وللدين ولحماية العرض والشرف.

كما غضب موسى عليه السلام عندما رجع وكان قومه يعبدون العجل، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ الأعراف/150.

[قال الشافعي رحمه الله: مَنْ استَغَضِبَ، فلم يغضب، فهو حمارٌ].
فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الْغَضَبِ وَالْحَمِيَّةِ أَصْلًا، فهو ناقص جداً، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية، قال تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح/29 {3}.

علام الغضب: وذلك لمن يملك النفس اللوامة التي تشعره بالخطأ المرتكب بحق نفسه والآخرين، إليك هذه النصائح:

1. **التزام الصمت**، لأن الغاضب ربما ينطق بكلام قاسٍ أو سيء، أو لعن أو قذف ﴿إذا غضب أحدكم، فليسكت﴾ قالها ثلاثاً {4}.

دخل رجل على رسول الله ﷺ فقال: أوصني: قال ﴿لا تغضب﴾، فردد مراراً، قال: ﴿لا تغضب﴾ {5}.

(١) - رواه مسلم برقم (2621).

(٢) - رواه البخاري رقم (6114).

(٣) - إحياء علوم الدين، ج2، ص1054، طبعة دار السلام.

(٤) - رواه أحمد والترمذي.

(٥) - رواه البخاري برقم (6116).

2. تغيير الحالة الحركية للغاضب، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا غضب أحدكم وهو قائم، فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع﴾^{1}، لأن القائم هو في أتم الاستعداد للانتقام أكثر من الجالس أو المضطجع.

3. الوضوء... يساعد الغاضب على إطفاء ثورة غضبه.

لذلك قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم، فليتوضأ﴾^{2}.

ويُستحسن غسل الوجه للغاضب بالماء البارد من قبل أهله، ويهدوء، دون إثارتته، وإبعاده عن مكانه الذي غضب فيه إلى الغرفة الثانية، أو مكان آخر.

4. التعوذ من الشيطان الرجيم... فقد روى سليمان بن صرد: أن رجلين

استبأ عند النبي ﷺ، وقد احمر وجه أحدهما، فقال النبي ﷺ: ﴿إني لأعلم كلمة، لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾^{3}.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصلت/36.
عن أبي الدرداء، قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل، يدخلني الجنة، قال: ﴿لا تغضب و لك الجنة﴾^{4} و قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ﴾ الشورى/37.

فَمَنْ تَجَرَّعَ الْغَضَبَ، وكتمه، فهذا من فضل الله عليه، فعليه أن يجاهد نفسه على تغيير سلوكه بالتعوذ والممارسة في عملية الهدوء والتصبر.

(١) - رواه أحمد وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبو داود.

(٢) - رواه أحمد.

(٣) - رواه البخاري برقم (6115).

(٤) - رواه الطبراني في الكبير.

الحقد والحسد

[إن فساد القلب بالضغائن داءٌ عياء، وما أسرع أن يتسرّب الإيمان من القلب المغشوش، كما يتسرّب السائل من الإناء المثلوم، ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة، ويطمس بهجتها، ويعكّر صفوها]^{1}.

الحقد والحسد هما آفتان، تتخران القلب والعقل معاً. فالحقد تعريفه اصطلاحاً: [حبس العداوة والبغضاء في الصدر مع التربّص للانتقام في وقت ما]^{2}، ومن مرادفاته الغلّ، أمّا [الحسد لغة: أصله القشر، حسد الشجرة أخذ عنها لحاءها، فالحسد يقشر القلب من الحسنات، كما يقشر القراد الجلد]^{3}، والحسد اصطلاحاً [تمني زوال نعمة المحسود]^{4}.

فالحقد والحسد سببه الأساسي الخصومة والعداء للآخر، وسوء الظن به، هذه الخصومة إذا أئنت في قلب يحمل سوء الظن بالآخرين، ويتسع صدره لحمل العداوة والبغضاء، فتتراكم في قلبه نار الانتقام من الآخر.

متربّصاً للانتقام، متبعاً عوراته، كي ينقضّ على غريمه وهذا الغريم المسكين قد لا يشعر بحاقده ماذا يخبئ له، يكره ظهور النعمة على الآخر، ولهذا يتقارب الحاقّد مع الحاسد في أنهما وجهان لعملة واحدة، الحاقّد يحبس عداوته في صدره لحين الانتقام، والحاسد يرجو زوال النعمة من الآخر، وهذا الذي يحدث للقلب المشحون بالكراهية المندس بالطباع المذمومة، فكل أبوابه مفتوحة للشياطين، كي تتجول فيه، فيصبح أسود كظلام الليل. لو رأيته، لوجدت بين عينيه نظرة جامدة من الحقد والكراهية والبغض والحسد والغلّ.

إن القلب كالحصن عندما تقذفه بأسهم الحقد والكراهية والغلّ، فلا بد أن تصيبه الأسهم، فيصبح مصبوغاً بها، عندها؛ يبيث سمومه في كل مكان، يقذف هذا، ويلعن ذاك، ويشعل النار هنا هناك بهتاناً وظلماً وجوراً وافتراء، قال تعالى:

(١) - خلق المسلم: الشيخ محمد الغزالي، ص 84.

(٢) - معالم الشخصية الإسلامية، ص 223.

(٣) - المرجع السابق، ص 227.

(٤) - مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص 76.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ الأحزاب/58.

الحاقد والحاسد وحامل الغل يتلمسون متنفساً لما في صدورهم من الأذية وإشعال الفتن بين الناس وزيادة القيل والقال، فهو اللئيم في طبعه، ويحمل النفس الخبيثة والأنانية، رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرَارِكُمْ؟﴾ قالوا: بلى، إن شئتَ، يا رسول الله، قال: إن شراركم الذي ينزل وحده، ويجلد عبده، ويمنع رَقْدَه، أَفَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قالوا: بلى، إن شئتَ، يا رسول الله؟ قال: مَنْ يَبْغِضُ النَّاسَ، وَيَبْغِضُونَهُ، قال: أَفَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قالوا: بلى، إن شئتَ، يا رسول الله؟ قال: الَّذِينَ لَا يَقِيلُونَ عَثْرَةً، وَلَا يَقْبَلُونَ مَعْذِرَةً، وَلَا يَغْفِرُونَ ذَنْبًا. قال: أَفَلَا أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ؟ قالوا: بلى، يا رسول الله. قال: مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ {1}.

هذا هو صاحب الغلّ الأسود في قلبه، يكره كل ناجح، في عمله، وفي سلوكه وإدارته، يختبئ ويتلون كالحرباء، وينتظر فرصة، لكي ينقض على الضحية! هو كالحرباء، يتلون بألوان كثيرة، في قلبه مرجل، يغلي بالحقْد والحسد والغل والكراهية، يكره نجاح الآخر، يكره صدق وأمانة الآخر، لأنه مكشوف لديه، يسعى إلى الفتنة، يبتّ سمّه هنا وهناك، فإذا كان في وظيفة ما تلاحظه يشعل النار هنا وهناك، يبتّ ألوان الفتن وسمومها، والمصيبة أن هناك كثر سَمَاعُونَ للفتن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات/6.

يضرّم ناراً هنا وهناك، تراه متقلّب المزاج سريع الغضب، إنه يتحرّك كالشيطان، لا أحد يراه، وإذا أردت أن تقبض عليه، اختفى، فهو كالزئبق، يفلت منك، لكن؛ لن يفلت من عقاب الله ﻋَﻠَﻴْهِ، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَيُّمَا رَجُلٍ،

أشاع على رجل مسلم بكلمة، وهو بريء، يشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله أن يذيه يوم القيامة في النار، حتى يأتي بنفاد ما قال ﴿1﴾.

هذا الحاقد والحاسد شخص واهن العزم، كليل اليد، جاهل بربه، وصاحب النعمة المحسود المتربص به، عليه الالتجاء إلى الله ﷻ، قال أبو الأسود الدؤلي:

فَاللَّهِ أَحَدًا لَهُ وَخَصْمٌ

حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ

وعن الرسول ﷺ: ﴿الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب﴾ {3}. فإذا كثر المال والجاه، زاد الحسد، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي أَنْ يَكْثُرَ فِيهِمُ الْمَالُ، فَيَتَحَاسَدُونَ، وَيَقْتُلُونَ﴾ {4}.

[قال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ، وقال أعرابي: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة نقمة عليه، وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزاع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً] {5}.

الحاسد والحاقد وصاحب الغل يضر للآخر الشر، بعد حادثة ما، أو لمخالفته الرأي، فيبغضه في قلبه، ويرسخ في نفسه الحقد اتجاهه، والحقد يقود إلى التشقي والانتقام، فإن لم يستطع بيديه، فيتركه للزمان؛ أي يغل، إلى أن يأتي يوم يسمع فيه أن هذا المحسود قد أصابته مصيبة؛ عندها، يفرح ويتشقى.

لقد وصف الله تعالى الكفار وكيفية حسدهم وبغضهم للمؤمنين: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ {119} إِنَّ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ آل عمران/119-120.

(١) - المعجم الأوسط: الطبراني.

(٢) - خلق المسلم، ص 94.

(٣) - أخرجه أبو داود.

(٤) - أخرجه الطبراني.

(٥) - إحياء علوم الدين، ص 1080، ج 2، طبعة دار السلام.

وقول الرسول الكريم ﷺ: ﴿المؤمن يغبط، والمنافق يحسد﴾، فالمؤمن لا يحب زوال النعمة من أحد، ولكن؛ يشتهي لنفسه. إذا؛ الحسد والحقد مرض نفسي خطير على صاحبه، لأنه يهز كيانه، يجعله ضعيفاً مصفراً مهزوماً، فهو لا يحب أن يرى أحداً أفضل منه، ويتمنى زوال النعمة عن الآخرين.

وقصة ابني آدم هي أول قصة قتل إنسان بريء، بسبب الحسد في الأرض. قال تعالى: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ المائدة/27.

فقابيل هو رمز لأصحاب النفوس المهزومة، إنه فاشل، يعتقد أنه إذا سرق نجاح أخيه، أو قضى عليه، استطاع أن يتقمص نجاحه، ويستر فشله؟ لا.. لا.. لا... لن يبنى ثقته بنفسه بسرقة نجاح الآخرين. وهذه القصة القادمة حقيقية، أخبرني بها صديق مهندس يعمل في شركة هندسية.

حذار من اللئيم

قال الرسول الكريم ﷺ: ﴿إذا لم تستح، فافعل ما شئت﴾^{1}. احذر اللئيم الانتهازي الذي ﴿إذا خاصم، فجر﴾^{2}. نعم، لماذا نحاول أن نضع أصابعنا في آذاننا، ونغمض أعيننا، ولا نتفوه بكلمة واحدة؟ بعض الناس يصوروننا بأننا في مجتمع مثالي، كله عدل وتسامح وتفانٍ -نسأل الله أن نكون كذلك- ولكن؛ علينا أن نعري بعض العيوب والسلوكيات الذميمة لبعض الأفراد، كي يحذر منها الآخرون، ولا يقعون في شباك هؤلاء الانتهازيين؟! الذي يحملون لواء الإفساد في الأرض، همهم مصلحتهم الشخصية وتضخيم الأنا التي في داخلهم، ولهم وجوه متعددة، أقنعة يلبسونها في كل مناسبة.

(١) - رواه البخاري برقم (3483).

(٢) - رواه البخاري برقم (3178) جزء من الحديث.

لقد بدأوا يتكاثرون، يلبسون أقنعة مزيفة، قد لا تعرفهم من شدة مكرهم، في داخلهم الحقد والغل لكل ناجح، ينسلّون كالأفعى، بلا صوت، ولا حركة، ويتربّون غفلة بسيطة، للانقضاض عليك، وعليها، وعلى كل ناجح.

لماذا؟ لأنهم لا يفكرون إلا بأنفسهم المريضة الحاقدة.

وهذه قصة أخبرني بها صديق لي يعمل في شركة هندسية إنشائية كبيرة قال: ((أعمل في شركة، أصحابها قليلو التواجد فيها، كنتُ مديراً متفانياً في العمل والعطاء، أفهم الآخر، أساعد الموظفين، ازدادت مبيعات الشركة بأرقام عالية، رواتبهم بالمواعيد، مساعدات مالية، مكافآت، شهادات تقدير، كنتُ دائم العطاء والحركة، لكن بعض أفراد طاقم هذه الشركة بدل أن يباركوا النجاح لعملي، ويقفوا معي، وخاصة مساعدي، كان يزداد غلاً وحقداً على نجاحي وفطنتي وطريقة تعاملتي مع الأحداث وإيجاد الحلول لأصعب المشاكل، كنتُ محفّزاً دائماً على العمل، على التطوير، على استمرار النجاح، ومن نجاح لآخر. كانت غاييتي إرضاء الله ﷻ، كنتُ قدوة للآخرين.

نعم، فأنا أضعها قاعدة في حياتي: ﴿النصح لكل مسلم﴾^{1}، نعم، كنتُ أعمل، أطور هذا القسم وذاك، وأنصح ذاك، لكن... لكن... كان هنالك من يراقب هذا العمل بحقد وغل، كان يلبس قناع السكون كالحرباء المتلوّنة، وينتظر شيئاً ما! إنه يراقب، وينتظر، وأثناء ذلك كان ينتهز أية فرصة لطلب المزيد من المميزات، كان يحبّ ذاته إلى حدّ لا يوصف، يأخذ الكثير، ولا يعطي شيئاً، أناني الطبع! فهو لشدة لؤمه كان ينوي قطع علاقته بوالده، لأنه أعطى عطية لأقاربه، عرفتُ أنني في مأزق أخلاقي كبير؟ فهو أحد مساعديّ، ظاهره وديع مسكين، قليل الكلام، داخله الغدر واللؤم والخيانة.

كنتُ أسأل: ألي هذه الدرجة، نجاح الآخر يجعل من بعض هؤلاء الناس يحقدون ويغلون ويكرهون الآخرين؟ نعم، كان طبعه انتهازياً بكل المقاييس، حتى ولو طلبت منه مشورة، وأنا في موقف صعب، كان يرفض النداء، وإبداء النصيحة، ولو بكلمة، فلماذا؟! لكي أقع، كي أذبح، كان انتهازياً، فأمام الأصحاب

(١) - رواه البخاري برقم (58).

والأصدقاء يُطلق العنان لمخيلته، ويتحدّث عن أعماله وأمجاده في عمله، وعلى أكتافه نجاح هذه الشركة، سبحان الله! في حال دخولي! يتلوّن ويتوقّف عن الكلام المباح، ويتلوّن كالحرباء! لأنه يعرف أنه يخادعهم، وأنه ذو وجهين، ويعرف أنني أعرف الحقيقة؟ هنا تذكّرتُ بعض أبيات الشعر لصالح عبد القدوس:

لا خير في ودّ امرئ متلون	حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يقسم أنه بك واثق	وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة	ويروغ منك كما يروغ الثعلب ^{1}

قلتُ لصاحبي: هذا مخادع لئيم، انتهازي، اتركه، وابتعد عنه، أجاوبي: العلاقة حتمية، طالما أنا بهذا الموقع، والمقرّر هو صاحب الشركة، وأردف قائلاً: كان يخادعني، يشعل في قلبي نار الحقد عليهم، وأنهم مهما ساعدتهم، وعملت لهم، ووقفت معهم، لا يعرفون صنائع المعروف، إنهم، إنهم، إنهم... كنتُ أشعر به، كنتُ أحاول أن أنفّث عنه هذا الحقد بطريقتي، فكنتُ أدعوه للعشاء في مطعم، لكنّ؛ دون فائدة، كنتُ أساعده في حل مشاكله مع أهله، لكنّ؛ عيباً، كنتُ أساعده في بناء شخصيته المتردّدة المهزومة! وقد اعترف مراراً وتكراراً بأنه استفاد كثيراً من علاقته بي.

أكمل صديقي قصته.... نعم. شعرتُ بنقضه للعهد، لماذا؟ هل كلما ومضت فكرة خلاقة مبدعة في تطویرنا، وتقدمنا نضع الخنجر في ظهر مبدعها، هل كل إنسان أقرّ بأن يعمل لوجه الله، ويرفع من سوية الشركة التي يعمل بها بإخلاص وتفان في العمل، نضع الخنجر في ظهره، في لحظة محسوبة ومسبقة ومخطّط لها؟ لماذا؟ هل كل ناجحاً في عمله، في قيادته، في وظيفته، في بناء هذا المجتمع، وضع لبنة لنهوضه، يُردّ عليه بأن نضع خنجراً في ظهره!.... هذا هو الحسد والغلّ والحقد، فعندما يجتمعان بالمرء، يزداد ويتمردّ بازدياد أنانيته ولؤمه، فيصبح خائناً غدّاراً.

(١) - لا تكن كصاحب الجبّاعة: د. علي الحمادي.

عندها؛ أخذتُ قراراً بإيقاف الحصان، ليس كي يأكل وينام، بل لأن هذه الجولة ستكون حتماً للباطل، إني أراه بأَم العين، وأشعر بها)).

لقد اشتدَّت الظروف، وحيكت الدسائس والفتن من قَبْل بعض الصعاليك قال تعالى: ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال/62.

كما قال الغزالي: [جمهور الحاقدين تغلي مراحل الحقد في أنفسهم، لأنهم ينظرون إلى الدنيا، فيجدون ما يتمنونه لأنفسهم، قد فاتهم للآخرين]. وهو يعرف نفسه أنه ضعيف الإرادة والشخصية، فبدأ بظلمي ومناكدي، تذكَّرتُ قولة المتنبي الشهيرة:

وإِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الدَّيْمَ مَلَكَهُ	وَإِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الدَّيْمَ تَمَرَدَا
تَبَا لَكَ بِنِي الْخِيَانَةِ مُهَيِّعَا	وَأَزُورُ عَنْهُ صُورَ الْأَمَانَةِ جَانِبَهُ

وللسخرية! في يوم من أيامه، أتت لجنة للتأكد من صلاحية البناء، فهرب من الشركة، وأغلق هاتفه، هؤلاء الذين يطلبون الإدارة والمناصب! وهم بحاجة لمن يقودهم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر/43. ففضح في مكتبه، وباع أثاث منزله المؤتمن عليه من الشركة، وأخذ حقيبته، وهرب!!.

حينها تذكَّرتُ قول سيدنا عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه:

إِذَا أَعْطَشَتْكَ أَكْفُ اللَّئَامِ	كَفَّتْكَ الْقَنَاعَةُ شَبْعاً وَرِيّاً
فَكُنْ رَجُلًا رَجُلَهُ فِي الثَّرَى	وَهَامَةً هَمَّتَهُ فِي الثَّرِيَا

السبيل إلى دفع شر الحاسد

أن تكون صلتك بالله دائماً قوية... اجعل لسانك رطباً بذكر الله، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/28، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ النمل/62.

فالذي يكشف السوء هو الله ﷻ، عندما لا تكون غافلاً عن ذكر الله، وعن واجباتك، فلا تخف أحداً، وطالما تذوّقت طعم التقرب إلى الله والسكينة بذكره، فأنت تعرف بعد هذا التذوّق المعنى الحقيقي لهذه الصلة.

كن مخلصاً لله، وتوكل عليه، وفوض أمرك له، لا تخف شر الحاسد والحاقد وصاحب الغل، فأنت القوي، طالما أنت مؤمن بالله يقيناً صادقاً، تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، وبأن كل شيء بيد الله، فلا تخف، وتذكر قول الله تعالى: ﴿وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس/107.

○ استعذ بالله تعالى من شرورهم: فهو القادر على دفع شرهم بقراءة المعوذتين وآية الكرسي وآيات من القرآن الكريم.

○ أدعية مأثورة عن النبي ﷺ منها: ﴿أعوذ بكلمات الله التامات، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة﴾ {1}.

○ حاول أن تتصدق على الفقراء والمساكين والأقرباء.

○ أخي المسلم، لا حسد إلا في حالتين، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فقام به آناء الليل وآناء النهار، ورجل أعطاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار﴾ {2}.

○ إن الحسد والحقد والغل يولد العداوة والبغضاء، فحاول أن تقوم بالدعاء لأهل الإسلام عامة بالحب والعافية والصلاح، لتزداد بينهم عواطف المحبة

(١) - رواه البخاري برقم (3371).

(٢) - رواه البخاري برقم (73).

والإخاء وسلامة الصدور من هذه المشاحنات، كما وصفهم الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر/10، وتذكر أن كل ذي نعمة محسود، فحاول أن لا تخبر الناس بكل نجاحاتك وعلاقاتك بالآخرين.

○ ابتعد عن الخصومة والنزاعات، وإذا دخلتَ فيها، فحاول جاهداً الابتعاد وطلب الصلح، ولو كنتَ مظلوماً، فالخصومة والمشاحنة تولد العداوة والبغضاء، وهذا يؤدي إلى تمزيق المجتمع وفساد الدين، فلذا، يا أخي، كن راشداً مرشداً صالحاً مصلحاً. قال رسول الله ﷺ: ﴿ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن؛ تحلق الدين﴾ {1}.

○ عندها تكون قد أدّيتَ سهماً للإصلاح، تكون سعيداً، والله ﷻ سعيد بك، فكن مبادراً لهذا الأمر، لهذا قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تَبَاغَضُوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث﴾ {2}.

قال رسول الله ﷺ: ﴿صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد من العمر﴾ {3}، وإذا عرفت أن هذا هو الذي يحسدك ويحقد عليك، فأحسنْ إليه، فقد يكون قريبك أو جارك أو زميلك في العمل، واضبطْ نفسك، وأحسنْ إليه، فإذا كان فقيراً، فأعطه من زكاة مالك، وتصدقْ عليه، فلا بد أن يأتي يوم ويسأل نفسه: أهذا الذي أحقد عليه وأكرهه وأحسده؟... أهذا هو الذي يقدم لي الطعام والشراب والكسوة؟ سيغيره الله تعالى في أفعاله تجاهك، لطالما كنتَ محسناً له كريماً له صابراً عليه، فيعطيك الله الحسنات الكثيرة، وقد يغير الله حاله السيئة إلى أحسن حال،

(١) - رواه الترمذي.

(٢) - رواه البخاري برقم (6076).

(٣) - الطبراني.

بفضل الله وكرمه وجوده، لأنك كنت محسناً له، اقرأ معي قول الله ﷻ: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ 34 ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت/34-35.

● قال ﷺ: ﴿العين حق، ولو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين﴾ {1}.

الرقية الشرعية: رقية جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: ﴿باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسدٍ، الله يشفيك، باسم الله أرقيك﴾ {2}.

(١) - رواه مسلم برقم (2188).

(٢) - رواه مسلم برقم (2186).

الفصل الثاني

أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ

في الحديث الشريف: ﴿مَنْ صَمَتَ نَجَا﴾، أخرجه الترمذي.

قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: ﴿تَكَلَّتْكَ أَمْكُ، يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟﴾.

فعلى الرغم من صغر حجم اللسان بالنسبة لأعضاء الإنسان الأخرى، فإنه أعظم هذه الأعضاء خطراً عليه، فلو أطلق له العنان دون ضابط، وهل يستبين الكفر والإيمان للإنسان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان، وقال عمرو بن دينار: تكلم رجل عند النبي ﷺ، فأكثر، فقال: ﴿كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ؟﴾ فقال: شفتاي وأسناني، قال: أفما كان لك ما يردّ كلامك؟^{1}، لقد حذّر الرسول ﷺ من ذلك، فقال ﷺ: ﴿مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنَ لِي الْجَنَّةَ؟﴾^{2}.

فلا ينجو من شر اللسان إلا مَنْ قيده بلجام الشرع.

فهو أعظم آلة للشيطان في استغواء الإنسان، ﴿الصَّمْتُ حَكْمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ﴾^{3}. لقد عني الإسلام عناية كبيرة بأداب الحديث، لأن المتحدث يُعرّف عن نفسه، وعن بيئته، وعن علمه، وعن دينه، وعن نفسيته، بالكلام الذي يصدر عنه، ولذا على الإنسان أن يسأل السؤال التالي، وهو في جلسة مع الآخرين:

1- لماذا وبم أودّ التحدّث؟ هل سيستمعون إليّ حول هذا الموضوع؟

(١) - أخرجه عبد الله بن محمد أبو بكر ابن أبي الدنيا.

(٢) - أخرجه البخاري برقم (6474).

(3) - مسند الفردوس: أخرجه شهردار بن شيرويه أبو منصور الديلمي.

2- هل الأفضل الصمت وعدم التحدّث؟ وأتذكّر قولاً مأثوراً: (لسانك حصانك، إنَّ صنَّته، صانك، وإنَّ خنَّته، خانك).

سجّل العلامة أبو حامد الغزالي رحمه الله في آفات اللسان، حوالي عشرين آفة من الآفات، لكنّ؛ أحاول التركيز على بعضها .

فضول الكلام والخوض في الباطل

حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال لي رسول الله ﷺ: ﴿أَلَا أَعْلَمُكَ بِعَمَلٍ خَفِيفٍ عَلَى الْيَدَيْنِ ثَقِيلٍ فِي الْمِيزَانِ، قُلْتُ: بلى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ الصَّمْتُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِيكَ﴾ {1} .

قال عمر رضي الله عنه: ((لَا تَتَعَرَّضْ لِمَا لَا يَعْنِيكَ، وَاعْتَزِلْ عَدُوَّكَ، وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا أَمِيناً، وَلَا أَمِينَ إِلَّا مَنْ خَشِيَ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَا تَصْحَبِ الْفَاجِرَ، فَتَتَعَلَّمَ مِنْ فَجْورِهِ، وَلَا تُطْلِعْهُ عَلَى سِرِّكَ، وَاسْتَشِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى)).
أخي: الكلام فيما لا يعنيك، ليس معناه أن تكفّ عن المناصحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن كل كلمة يتفوّه بها الإنسان مسؤول عنها .
قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ النساء/114، وقال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ﴾ {2} .

[قال عمر بن عبد العزيز يرحمه الله: إنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة، وقال يزيد بن أبي حبيب: من فتنه العالم أن يكون الكلام أحبّ إليه من الاستماع]{3} .

الخوض في الباطل والتفكّه بأعراض الناس، كما جاء في حديث الرسول ﷺ ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزَلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ﴾ {1} .

(١) - أخرجه ابن أبي الدنيا .

(٢) - رواه أحمد .

(٣) - من الإحياء في علوم الدين، ص995، ج2.

المراء والجدال

[المراء: هو كل اعتراض على كلام الغير، بإظهار خلل فيه، إمّا في اللفظ، وإمّا في القصد المتكلّم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته، فإن كان حقاً، فصدق به، وإن كان باطلاً أو كذباً، ولم يتعلّق بأمور الدين، فاسكت عنه]^{2}، لأن المراء فيه تحقير وتذليل للغير، وإظهار المرائي نفسه أنه الأفضل.

الجدال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ جَادَلَ فِيْ خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ، حَتَّى يَنْزِعَ﴾^{3}، لهذا؛ حُرِّمَ الجدال و المراء والخصومة، أكان حقاً أم باطلاً، وقد يكون أحدهم أبلغ من الآخر، فيروّج لحجّته الباطلة، لهذا أعطانا القرآن الكريم الوصفة السّحرية لهذه الأمور: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان/63.

فعلى المسلم الابتعاد عن المخاصمة والمجادلة والمراء وضبط النفس أمام عوامل الاستفزاز، والابتعاد عن الصدام.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ القصص/55.

(١) - رواه البخاري برقم (6477).

(٢) - كتاب إحياء علوم الدين، ص998، ج2.

(٣) - أخرجه ابن أبي الدنيا .

الفحش والسبّ واللعن

قال رسول الله ﷺ: ﴿إياكم والفحش، فإن الله تعالى لا يحب الفحش، ولا التفحش﴾^{1}، وهو كل لفظ يُستحى أن يُقال علناً، ولا ينبغي أن يُذكر بألفاظه الواضحة، فإنه الفحش، وقال ﷺ: ﴿ليس المؤمن، بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء﴾^{2}.

وقال: ﴿إن الفحش و التفحش ليس من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً﴾^{3}.

وقال ﷺ: ﴿من أكبر الكبائر أن يسبّ الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله، كيف يسبّ الرجل والديه؟ قال: يسبّ أبا الرجل، فيسبّ الآخر أباه﴾^{4}.

[اللعن: عبارة عن الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة، تُبعدُه عن الله ﷻ، وهو الكفر، والظلم: بأن يقول لعنة الله على الظالمين، وعلى الكافرين]^{5}.

فمَنْ ثبت شرعاً لعنته، فتجوز لعنته، فأماً أن تلعن فلاناً لسبب تافه، فهذا لا يجوز شرعاً، لهذا قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تلعنوا بلعنة الله، ولا بغضبه، ولا بجهنم﴾^{6}.

وقال ﷺ: ﴿ومن لعن مؤمناً، فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر، فهو كقتله﴾^{7}.

(١) - أخرجه النسائي في السنن الكبرى.

(٢) - أخرجه الترمذي.

(٣) - أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح.

(٤) - أخرجه أحمد.

(٥) - إحياء علوم الدين، ج2، ص1004.

(٦) - أخرجه الترمذي وأبو داود.

(٧) - رواه البخاري برقم (6047) جزء من الحديث.

وقال نبي الرحمة ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شَفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^{1}.

من المشاكل الاجتماعية الخطيرة في تربية الأولاد، لا يجوز للأُم كي تؤدِّبهم بأن تمسك مسبحة اللعن في لسانها، وتعيد وتكرّر اللعن والدعاء على هذا الولد، لماذا؟.... لأنه لم يلبّ طلبها، وذهب لأداء غرض ما. وتكرّر اللعن، ثم اللعن، أو اللعن على زوجها، لأنه لا يوفّر الأكل والشرب، إذ قد يكون فقيراً، أو حتى بخيلاً.

اللعن على ماله، وعلى دمه، وعلى لحمه، فو الله العظيم يستجيب الله، فيخسر ماله، وتخسر طاعة أولادها، وبرّ أولادها لها، وتجعل بيتها كبيت العنكبوت، لا يتحمّل أي اهتزاز، لأنه ليس مبنياً على قواعد من الأخلاق والتصبر والمصابرة على قلة المال والعمل، ما بكم؟ ألا تخافون من ساعة توافق دعاءكم، وتكون مجابة هذه الدعوات؟.

إن انهيار الأسرة أسبابها كثيرة، ومن أحد أسبابها الملاعنة والدعاء والشتم والقذف والفحش بين الأولاد والأهل، وقد تكون بين الزوج والزوجة، إنها قاذورات تخرج من اللسان، تجرح الآخر، وقد تجرحه جرحاً عميقاً، وقد تدمّر العائلة والأسرة.

قال رجل لرسول الله ﷺ: أَوْصِنِي، فقال: ﴿أَوْصِيكَ أَلَّا تَكُونَ لَعَّانًا﴾^{2}. ولقد بدأت بعض الفضائيات تقوم على إضحاك الناس، وفي داخلها سمّ قاتل، فهي تُظهر الفحش، وتتلفّظ بالكلمات التي لا يمكن للإنسان أن يسمعها، فكيف به مع زوجته وأولاده، فيها تخريب الناشئة بكل المقاييس، تخريب احترام الصغير للكبير تخريب معاني الأخلاق والأدب والحياء، برامج ظاهرها إعطاء بعض النكت والممازحة، وباطنها دس السمّ، ليس في شباب المسلم، بل يستهدفون المجتمع بكل أطيافه.

(١) - رواه مسلم، برقم (2598).

(٢) - أخرجه أحمد والطبراني.

السخرية والاستهزاء والمجاهرة بالمعاصي

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ الحجرات/11.

[ففي السخرية والاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان المستهزأ به غائباً، اعتبرت غيبة، مادام يكرهه]^{1}.

قد نرى بأم العين، ونسمع كيف يستهزأ ويسخر الابن من الأب أو الأم، يبدو أننا على مفترق طرق، أخي ألا تشعر معي أن انهيار وفساد الأخلاق قد زاد تسارعاً، وبدأ يستفحل في أبنائنا وأولادنا.

تذكروا معي قول الرسول ﷺ: ﴿الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ﴾^{2}.

وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^{3}.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يَفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتَفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا﴾^{4}، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿كُلُّ أُمَّتِي مَعَاذِي إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنْ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يَصْبِحُ، وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبِّي، وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ مَا سَتَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ﴾^{5}.

هي أخلاق الفضائيات والإنترنت والتميع في المعاملة والاستخفاف بالروابط الأسرية. هذه الأخلاق ستؤدي -لا محال- إلى فوضى في المفاهيم الأخلاقية، وموت الغيرة والنخوة.

وصدق رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا لَمْ تَسْتَحْ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾^{6}.

(١) - إحياء علوم الدين، ج2، ص1013.

(٢) - رواه مسلم برقم (2553).

(٣) - رواه البخاري برقم (6477).

(٤) - رواه مسلم برقم (1437).

(٥) - رواه مسلم برقم (2990).

(٦) - رواه البخاري برقم (3483).

الغيبة والنميمة والبهتان

الغيبة: هو ذَكَرَكَ أَخَاكَ بما يكره، وهو فيه، وذمّه، سواء أكان بكلام، أم بغمز، أم بإشارة، أم كتابة، أم بالقلم.

البهتان: ذَكَرَكَ أَخَاكَ بما يكره، وليس فيه^{1}، والغيبة خلق ذميم، يمقته الشرع والعرف، وهو كالذي يأكل لحم أخيه بعد موته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات/12.

وفي الحديث: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ﴾^{2}.
وسئل النبي ﷺ عن الغيبة، قال: ﴿ذَكَرَكَ أَخَاكَ بما يكره. قال: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبَيْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَّاهُ﴾^{3}.

[«بَهْتَّاهُ» أي قلت فيه البهتان، وهو الباطل، وأصل البهت أن يقال له الباطل في وجهه]^{4}.

عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ﴿مَرَرْتُ لَيْلَةً سَرَى لِي عَلَى أَقْوَامٍ يَخْمَشُونَ وَجُوهَهُمْ بِأُظَافِرِهِمْ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ النَّاسَ، وَيَقْعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ﴾^{5}.

وها هو نبينا محمد ﷺ ينادي هَؤُلَاءِ المبتلين بهذا الداء المهلك: ﴿يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلْسَانُهُ، وَلَمْ يَأْمَنْ بِقَلْبِهِ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنْ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ، وَلَوْ فِي جُوفِ بَيْتِهِ﴾^{6}.

(١) - معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، ص245.

(٢) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (6043).

(٣) - مختصر منهاج القاصدين: أحمد بن عبد الرحمن ابن قدامة المقدسي، والحديث رواه أبو داود والترمذي.

(٤) - من مختصر صحيح مسلم: عبد العظيم، زكي الدين المنذري، دار الحديث، ص526.

(٥) - أخرجه أبو داود.

(٦) - أخرجه أحمد.

إن المبتلي بالغيبة على الناس يحسد في السراء، ويشمت في الضراء، له قلب مؤتفك، وللحقد يلزم، تسوؤه المسرة، وتسره المساءة، غيظه وغمه أن يصبك خيراً، أو يحالفك توفيق، أو يتيسر لك رزق، أو يجري على يدك نفع، يملأ قلبه حقد وغلّ وحسد أسود اللون، ويتربص، لينفث السموم، هي طباع متأصلة في قلبه الأسود.

وفي الحديث الشريف: ﴿إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشدّ من الزنا، إن الرجل قد يزني، ويشرب، ثم يتوب، ويتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له، حتى يغفر له صاحبه﴾^{1}.

والغيبة من الأعمال التي تذهب بكثير من الحسنات، حتى يصبح المرء مُفلساً، قال رسول الله ﷺ: ﴿أ تَدْرُونَ مَنْ الْمَفْلَسُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: الْمَفْلَسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّى إِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ﴾^{2}. فتذكّر - أخي الفاضل - عيوبك أنت أولاً، وأحسن الظن بالآخرين، وابتعد عن آفات اللسان والغيبة، ابتعد عن مجالس اللغو، بل يُحبّ الاستغفار للمغتاب، وذكّره بالخير، ويجب أن يكون المجلس هذا، مجلس مدافعة عن أي مغتاب، قال الرسول ﷺ: ﴿مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^{3}، وعلمنا أن: ﴿كَفَّارَةٌ مَنْ اغْتَابَ أَنْ يُسْتَغْفَرَ لَهُ﴾^{4}.

أما **النميمة لغة**: من نم الشيء: إبرازه، وعدم إمساكه، لأن النمام يُبرز الحديث إلى الآخرين^{5}، (ومنه يقال للنمام قَتَات وهَمَّاز)^{6}.

(١) - أوردته المنذري، هذا ما ذكره المقدسي في مختصر منهاج القاصدين، ص174.

(٢) - رواه مسلم برقم (2581).

(٣) - رواه الترمذي.

(٤) - مختصر منهاج القاصدين، ص179.

(٥) - معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، ص252.

(٦) - مختار الصحاح، ص328.

والنميمة اصطلاحاً: نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض، لجهة الإفساد بينهم^{1}، فإذا نُقل الكلام إلى إنسان آخر، فليس هذا بنميمة، إنما هو إفشاء سر، غرضه الإفساد، وكلتا الحالتين تملأ القلوب غضباً وسخطاً، وتشعل العداوة بين الناس، والنمّام هذا من أخطر أنواع الأمراض الاجتماعية في إشعال الفتن والبلاء، وإشعال العداوة، فقد يؤدي إلى القتل وهتك الأعراض، والنمّام هو إنسان مريض ذو نفسية مهزوزة علية ضعيف الإرادة مضطرب الشخصية، والمصيبة الأكبر أن يكون معروفاً بين الناس أنه نمّام ويصدقونه.

■ قال تعالى: ﴿عُتِّلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ القلم/13.

■ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الهُمزة/1.

الهمّاز: النمّام الذي يعيبك في غيبتك.

اللمّاز: الذي يعيبك في وجهك.

■ قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ المسد/4.

قيل إنها كانت نمّامة حمّالة للحديث.

قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ﴾^{2}، وقال ﷺ: ﴿مَنْ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً، لِيُشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ، شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^{3}.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: مرّ رسول الله ﷺ على قبرين، فقال: ﴿إِنَّهُمَا يَعْذِبَانِ، وَمَا يَعْذِبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ﴾^{4}.

(١) - معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، ص252.

(٢) - رواه مسلم برقم (105).

(٣) - أخرجه ابن أبي الدنيا، ص1040، إحياء علوم الدين للغزالي.

(٤) - رواه البخاري برقم (6052).

الكذب

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر/28.

الكذب: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه. فهو الآفة الجامعة، والمحرك الأساسي لكل الآفات، فاتقوا الله، عباد الله، وكونوا مع الصادقين، اصدقوا مع أنفسكم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة/119. في عصرنا هذا، كثر الكذب، وقلّ الصدق، إنه فيروس خطير، إذا دخل منزلاً، أهلكه، وأمراضه، وقد انتشر -للأسف- كانتشار الأنفلونزا في كل منزل، في كل حي، في المجتمع، حتى أنه يهدّد استقراره، قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق، حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل يكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً﴾^{1}.

المرحلة الأخيرة من الكذب هو **الفجور**: الذي يهوي بصاحبه إلى النار. إنه الكذب، يضيع حقوق الناس، إنه الكذب، قد يُقتل شخص افتري الآخر عليه بالكذب والزور، إنه الكذب، قد يفتك بأسرة آمنة مطمئنة بسبب كذبة كبرت وزوّرت الحقيقة، إنه الكذب، يقلب الحقيقة إلى باطل، ويقلب الباطل إلى حقيقة، إنه الكذب، إذا استشرى بالإنسان، أصبح ذنباً مفترساً بثياب جميلة، الكذاب كمصاص الدماء، يمصّ الدم والحقوق، ويحوّرها إلى رذائل، فهو سلاح لمن لا يملك أخلاقاً، لأنه منافق، والكذب من أقبح الذنوب، ومن فواحش العيوب.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إياكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار﴾^{2}.

مسرف كذاب: فقد اعتاد على الكذب، وأصبح يسري في عروقه، فمن اعتاد على الكذب، وتطبّع بالكذب والافتراء وقول الزور، وأصبح هواه الكذب، أصبح قلبه وعقله قد اصطبغا برداء الكذب والخيانة والنفاق، فهو يمتطي الكذب هنا وهناك، فيتعشّق قلبه هذه العادات والسلوكيات، وتنقش فيه، فتدمغه دمغة سوداء،

(١) - رواه البخاري برقم (6094).

(٢) - أخرجه أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة في سننه والنسائي.

ويسود قلبه، لبُعه من الصدق، وعن نور الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ النحل/105.

وعن أبي بكرة نفي بن الحارث رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ألا أخبركم بأكبر الكبائر ثلاثاً، قالوا: بلى، يا رسول الله، قال: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وكان مُتَكَنّاً، فجلس، فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها، حتى قلنا ليته سكت﴾ {1}، فإن الكذب وقول الزور والافتراء هي علامات النفاق والابتعاد عن الدين، وحامل هذه الرذائل يحمل في نفسيته الوضيعة الفاسدة سلوكاً غير سوي، إنه مهووس بنشر الأكاذيب وقول الزور والبهتان على الآخرين، هو يحب الشر، ويعتق الإثم والفجور، ويحمل على جبهته عنواناً كتب فيه [الكذب عنواني].

يكذب، ويكذب، ويكذب، فلا محال، سيصبح فاجراً، وفجوره هذا بسبب إدمان الكذب، سيدخله في المرحلة الأخيرة من الضياع النفسي، وضياع الدين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ﴿آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتى من خان﴾ {2}.

- فالكذب يهدي إلى الفجور، قال تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ النساء/50.

- والكذب لا يجتمع مع الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ النحل/105.

- والكاذب يحرم من الهداية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزمر/3.

- والكاذب يحرم من الفلاح، لأن أعظم الكذب إثماً القول على الله بغير علم، والجرأة على التحريم والتحليل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل/116.

(١) - رواه البخاري برقم (6273 - 6274).

(٢) - رواه البخاري برقم (6095).

- والكذب المتعمد على رسول الله خطير، فهو إثم لقوله ﷺ: ﴿مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ، فليتبوأ مقعده من النار﴾ {1}.

- وسوء الظن و الإشاعات تساعد الكذاب على الاستمرار في كذبه.

- قال رسول الله ﷺ: ﴿ياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث﴾ {2}.

فالظن يساعد ويكبر الوهم والخرافة والأساطير، ويخرّب العقول، ويؤدي إلى الضلال، قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ النجم/23.

وعن النوّاس بن سميان قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار، كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة، إلا أن يكذب الرجل في الحرب، فإن الحرب خدعة، أو يكون بين الرجلين شحنا، فيصلح بينهما، أو يحدث امرأته، يرضيها﴾ {3}.

وقال ﷺ: ﴿ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، ويقول خيراً، وينمي خيراً﴾ {4}.

فكافة المعاملات في المجتمع يجب أن تتّصف بالصدق والنزاهة، فالموظف مؤتمن على مصالح الأمة، والطبيب مؤتمن على طبعه، والصيدلاني على أدويته، قال ابن القيم -رحمه الله- الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ محمد/21.

وعنه ﷺ قال: ﴿المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه﴾ {5}.

✓ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

✓ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

(١) - رواه البخاري برقم (107).

(٢) - رواه البخاري برقم (6066).

(٣) - من إحياء علوم الدين، ص1021، ج2، طبعة دار السلام.

(٤) - رواه مسلم برقم (2605).

(٥) - رواه البخاري برقم (6484).

الفصل الثالث

النفس الأمارة بالسوء

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الص/5.

من أراد أن يبتعد عن الحق، ويتجه إلى ما تهوى نفسه الأمارة بالسوء، فله ما أراد.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف تتم هذه الآلية؟ وأين؟

هو مشحون بأفكار وخواطر ونوازع شريرة، هذه الأفكار تتعشّق بعد وصولها إلى العقل الواعي، ليتشرّبها، ثم تُرسل للحفظ؛ حيث تحفر وتتطبع في العقل الباطني الذي يسمّى بالعقل اللاواعي، وهو مستودع، تُخزن فيه الأفكار والعواطف، محله القلب، الذي يجمع هذه الأفكار الخبيثة نتيجة حب الهوى والشهوات وازدياد بواعث الشر، فتترسّخ، وتشكّل بصمة (نكتة سوداء) في القلب، عندها يصدر عواطف باردة حاقدة، تهوى الاستكبار والمعاصي، وتتحول إلى سلوكيات، وينطبع عليها القلب الغافل، ويُنادى الإنسان بصفاته وسلوكياته الذميمة.

قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة/87.

ما هي النفس الأمارة بالسوء؟

هي النفس التي تأمر صاحبها بكل سوء، بعد أن استولى عليها الشيطان الرجيم، وعبد هواه وشهواته، وأصبح أسيراً لرغباته الشهوانية، لقد نسي علة وجوده في هذه الحياة، وكان هدفه الأول الحياة في الدنيا، دون تفكير بالآخرة،

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون/115.

[النفس الأمارة تجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها، فهو يعدّها ويمنّيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء، ويزيّنه لها، ويُطيل في الأمل، ويربّيها الباطل في صورة، تقبلها وتستحسنها، ويمدّها بأنواع الإمداد الباطل من الأماني

الكاذبة والشهوات المهلكة، وقد علم ذلك إخوانه من شياطين الأنس، فلا يستعينون على الصور الممنوعة منهم بشيء أبلغ من هواهم وإرادتهم، فإذا فتحت لهم النفس باب الهوى، دخلوا منه، فجاسوا خلال الرياء، فعاتثوا، وأفسدوا، وفتكوا، وفعلوا ما يفعله العدو ببلاد عدوه، إذا تحكّم فيها^{1}.

هذه النفس الأمّارة بالسوء تكره الأخلاق والفضائل، تكره عقّة النفس، هذه النفس استولى عليها الشيطان الرجيم، وقادها إلى التهلكة، لا محال، إلى الكفر، وهذا هو الخسران المبين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ 103 ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف/103-104.

كلمات واضحة، وآيات جلية، وأدلة قرآنية، تثبت على أن الإنسان مخير، لا مسير في أمور كثيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان/3.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف/29.

ومفهوم ظنّهم الخاطئ أدّى بهم إلى الضلال، فهذه هي الحالة الشيطانية لهذه النفس الأمّارة بالسوء المهزومة التي لا تدري أين هي، صاحبها أسلم عقالها لشهواته، فهي غير مطمئنة، لا تعرف معنى الراحة والأمان، في داخلها شيطان. يقودها إلى الهاوية.

هذه الحال يكون عليها الكفار وعبدّة الشياطين الذين بدأوا بالظهور بأشكال غريبة من الأوشمة على أجسادهم ولباسهم الأسود، وهناك فرق موسيقية وعلامات خاصة بهم، جماجمهم، طلاسهم، وأرقام معبرة عن الشيطان، هدفهم تدمير النفس والرغبة بالانتحار، ويهتمون بالنزوات الجنسية الحيوانية المريضة، وشرب الدماء البشرية، ويحاربون الفضيلة والأخلاق، ويدّسون الكتب المقدسة،

(١) - الروح، لابن قيم الجوزية، ص289.

ويتاجرون بالمخدرات، و يروّجون لها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ النساء/119.

سعادتهم -فقط- اللهو والعصيان، يحبّون فعل المعاصي والفواحش، إنهم يتغنّون بالمنكر، نعم، لقد زاغوا عن الحق، واتجهوا إلى الضلال والمعصية، فكان ما أرادوا.

وهكذا نجح إبليس اللعين في جذب وإغواء كثير من الناس إلى حزبهِ حزب الشيطان، قال تعالى: ﴿وَلَا تُغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ 39 ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ الحجر/39-40.

والنفس الأمّارة بالسوء تؤدي بصاحبها إلى التهلكة، إن لم يستدرك بالتوبة والمغفرة من الله ﷻ، ويترك المعصية، ويصبر نفسه، ولا يتبع الشهوات النفسانية المريضة. [إن النفس الأمّارة بالسوء هي أعتى لك من إبليس، وإنما يتقوى عليك الشيطان بهوى النفس وشهواتها، فلا تغرّبك نفسك بالأمانى والغرور، لأن من طبع النفس الغفلة والراحة والكسل، فدعواها باطل، وكل شيء منها غرور، وإن رضيت عنها، واتّبعت أمرها، هلكت، إن غفلت عن محاسبتها، غرمت، وإن عجزت عن مخالفتها، واتّبع هواها، قادتك إلى النار، وليس للنفس مرجع إلى الخير، وهي رأس البلايا، ومعدن الفضيحة، وهي خزانة إبليس، ومأوى كل شر، لا يعرفها إلا خالقها، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ الحشر/18. وإذا تفكّر العبد فيما مضى من عمره في طلب الآخرة، كان هذا التفكّر غسل

القلب، كما قال ﷺ: ﴿تفكّر ساعة خير من عبادة سنة﴾ {1}.

فهذه النفس الأمّارة بالسوء، عليك بترويضها، وعدم الانصياع لمطالبها، خالف ما تطلبه منك، تسلم. فمَنْ عبد النفس، فهو يعبد الصنم، ومَنْ يعبد الله بإخلاص فهو الذي قهر نفسه، فاحذر من أن تكون مطاوعاً لهوى النفس، عندها؛ تصبح أسيراً وعبداً لهواك، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية/23.

(١) - مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب: أبو حامد الغزالي، ص16.

واعلم أن الهوى: مِيلُ الطبع إلى ما يلائمه^{1}، فالذي يعبد هواه أصبح يدين
بدين هواه، فلا بد أن يضلّه عن الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص/26.

فيا أخي، أَحْذَرْ من مهادنة النفس، والسير وراءها دون ضوابط. وقال بشر:
[اعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياها]^{2}.

وقال نبي الرحمة ﷺ: ﴿إِذَا لَمْ تَسْتَحْ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ﴾^{3}، فَمَنْ كان بعيداً عن
الحياء، ولبس رداء هواه، وعمل المعاصي والآثام والفجور، وأتمر بشيطانه، فإن
بواعث الشر وحب الهوى قد طغى طغياناً كبيراً على بواعث الخير فيه، فأصبح
أسيراً لهواه وشيطانه، قال تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ
بَعِيدٍ﴾ ق/27.

الشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة في إغواء الإنسان وتزيين المعصية له
رويداً رويداً، ليضلّه، فيدخل في نفسه وهواه، مثلاً حب المال والجاه والنفاق في
قلبه، دون أن يدري، ثم إضلاله، أو أن يقوّيه، ويزيده على الاستكبار، واحتقاره
الآخرين، ويجعل هواه (أنا العظيم)، كما قال فرعون: ((أنا ربكم الأعلى)).

هذا الاستكبار والضلال وحب الهوى والأنا تؤدي إلى الابتعاد عن الحق تماماً،
قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾
الأعراف/146.

إذاً؛ جميع السلوكيات الذميمة التي تمتّ دراستها سابقاً هي سلوكيات
شيطانية شهوانية تطبع صاحبها بها، فَمَنْ كان يحملها، فاستعدّ بالله منه، لأنه
تلبّس بشيطانه، وأصبح بعيداً عن الحق.
فتصوّر إنساناً كذاباً، مستكبراً، حاقداً، حاسداً، غاضباً لهواه في كل لحظة،
مخادع لئيم متكالب على متاع الدنيا وزينتها.

(١) - قال علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني في كتابه التعريفات (الهوى: ميلان
النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع)، كتاب ذم الهوى: أبو الفرج عبد
الرحمن بن علي ابن الجوزي، ص27.

(٢) - ذم الهوى، ص38.

(٣) - رواه البخاري برقم (3483).

فكيف إن كان معبوده هواه؟!

ماذا كنتم تعبدون؟ هواكم... شيطانكم... مالكم... جاهكم... دنياكم، بمن فيها... ذهبكم وخيلكم.... أصنامكم... شهواتكم... طواغيتكم...

قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ 98 ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ الأنبياء/98-99.

ذلك لأن قلوبهم غافلة عن الحقيقة، عن حقيقة اليوم الآخر، عن علّة وجودهم في هذه الحياة، وهي معرفة الله والعبادة الحقّة لمن خلق السموات والأرض. فاحذروا من الغفلة ورفاق السوء.

الغفلة ورفاق السوء

إنهم شياطين الإنس المهزومين في داخلهم ومعاولهم في أيديهم، يريدون تحطيم الأخلاق والقيم الحميدة والإيمانية في قلوب الآخرين، لقد ابتعدوا كثيراً عن الحق، فكانوا من أصحاب الغفلة. إنهم يحملون صفات شياطينهم من حقد وحسد والأنا والاستكبار على الحق، قال تعالى: ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ الأنبياء/1.

هم غافلون عن معرفة الله، وغافلون عن الأعمال الصالحة، وغافلون عن اليوم الآخر، إنهم كخشب مسندة، ما دام الأمر كذلك، تعالوا نتأمل حال الذين يعرضون عن منهج الله، وهم في غفلة عن يوم الحساب، وكأن الحياة هي حياتهم الدنيوية فقط لا غير، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ مريم/59.

الغافل حريص كل الحرص على مصلحته، كم من النقود سيربح من هذه الصفقة؟! نعم، لقد تضخمت أناه، وانتشرت وكبرت الانتهازية فيه.

فارتكاب الفواحش والمعاصي من أجل إتمام صفقته، ورشوة هذا، وغش ذلك، وتضليل، ومخادعة، وأوراق مزورة، وتجارة واحتكار، ورفع أسعار المواد، والحرص على زيادة الثروة من حرام، وأكل حقوق الآخرين، لا يأتي ذلك إلا لمن غفل واتبع هواه، قال ﷺ: ﴿إِنَّ التَّجَارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَجَارًّا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، وَبَرَّ، وَصَدَّقَ﴾^{1}.

أكثر الناس يركضون وراء المصالح الدنيوية، فبدل أن يكون مقبلاً على العمل الصالح، واصلاً للرحم، وناصحاً للأهل ولنفسه، أصبح مدبراً عن أهله، وعن أقرب الناس إليه! يلهث وراء مغريات الدنيا، وغافلاً عن آخرته عن يوم الحساب، فأضاع الواجبات، ولم يفرق بين الحلال والحرام، هو يلهث وراء الجاه والسعادة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/124.

(١) - رواه الترمذي، وقال حسن صحيح.

نعم، فقدوا الشعور وحسَّ المسؤولية، مات عندهم الشعور بالذنب، فابتعدوا عن طاعة الله ورسوله، وتقرَّبوا بالطاعات إلى هواهم وشهواتهم، وألَهَّتْهُمْ الحياة الدنيا عن العمل ليوم الآخرة، فهم الغافلون، فقدوا الإحساس، همَّهم إشباع رغباتهم وملذَّات الطعام والشراب مع أصحابهم الذين اجتمعوا للمعصية، قال تعالى عن هؤلاء: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر/3، واسمع قول الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان:

إذا أنتَ لم تعصِ الهوى قادَكَ الهوى إلى كلِّ ما فيه عليكَ مَقالٌ^{1}

وقيل عن الهوى:

فالهوى مركب ذميم، يسير بك في ظلمات الفتن، ومرتع وخيم يقعدك في مواطن المحن، فلا تحملنَّكَ شهوة النفس على الركوب والقعود في مواطن الخطيئة، فاحذروا من العري، ومن الشهوات الحيوانية، وخاصة اللواط والسحاق. قال رسول الله ﷺ: ﴿ملعونٌ، ملعونٌ، مَنْ عمل بعمل قوم لوط﴾^{2}. لأن كل معصية سببها هوى النفس، فهي تهوي بصاحبها إلى النار. (وصَّى بعض الحكماء رجلاً، فقال: آمرك بمجاهدة هواك، فإن الهوى مفتاح السيئات وخصيم الحسنات، وكلُّ أهوائك بك عدو، وأهواها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى)^{3}.

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ﴿إنما مثلُ الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يُحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة﴾^{4}. إن شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن، لأنهم رفاق السوء واللهو، فهم يجتمعون على حب الدنيا وكراهية الموت، ذلك أن عشق الشهوة يقرب القلوب

(١) - مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، ص256، وص90.

(٢) - رواه الإمام أحمد في مسنده برقم (1878).

(٣) - مكاشفة القلوب، ص90.

(٤) - رواه مسلم برقم (2628).

الخربة من بعضها البعض، فيصبحون تحت راية الغفلة راية الهوى والشیطان، نعم، حملوا راية الباطل، فضلوا وأضلوا، قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف/67.

[أي كل صداقة لغير الله، فإنها تتقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله ^{1}]، فهؤلاء الأخلاء ورفاق المعصية والفسوق أصحاب في الدنيا وفي الآخرة أعداء. فرفاق السوء يضيِّعون أنفسهم وأصحابهم، فتراهم إما على قارعة الطرق، أو يتغنَّون بأنهم فتَّتوا الصبايا عن طريق الإنترنت بأحاديث واهية كاذبة، ويتعلَّمون من بعضهم فنون العري والسفاهة وشرب الخمر والمجون وإفساد النفس والمخدرات، قلوبهم لاهية عن كل حقيقة، وهؤلاء -بالحقيقة- شياطين الأنس، وهم الصحبة السيئة، التي تؤدي -لا محالة- إلى الخذلان يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿27﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿28﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ الفرقان/27-29.

(١) - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص294.

حب الدنيا وشهواتها

قال تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر/3. هذه الدنيا خلقت لنا نحن، وكُلِّفنا بهدف واضح، لا لبس فيه، هو معرفة الله، وعبادته، وطاعته، وتطبيق ما أمرنا، والنهي عما نهانا عنه. هذا هو مركز وصميم الهدف الذي خلقنا من أجله، تقوى الله في كل شيء، فالدنيا هي مكان الإثمار والتوفير والعمل، إنها فترة زمنية، نقضيها مع أهلنا وأولادنا، وهناك غداً الحساب بلا عمل.

مَنْ يراقبنا في كل حركة، في العبادة، في تربية أولادنا، في علاقاتنا مع الجار، في صلة رحمننا، في عملنا، في أكلنا، في شربنا، في منزلنا، في كسبنا للمال.

قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصلت/40. قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية/29.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت/46.

فاحذروا من الانغماس في الدنيا، وحب الأمانى فيها، قال الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضُرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ، أَضُرَّ بِدُنْيَاهُ، فَاتَّزَوْا مَا بَقِيَ عَلَى مَا فَنِي﴾^{1}.

العاقل مَنْ ضبط هواه وشهواته، وجاهد نفسه، وشمر عن ساعديه، ودعا الله بالتوفيق، وتوكل على الله، وبدأ يزرع ويعمل لآخِرته التي هي سعادته الحقيقية، السعادة الأبدية، الوصول إلى رضا الله ﷻ، فلك حرية المشيئة والاختيار، فأنت مخير في هذا، وعليك اتخاذ القرار.

(١) - رواه أحمد .

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل/97.

مَنْ قَالَ لَا تَعْمَلْ، اَعْمَلْ، وَلَتَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَقْوَى النَّاسِ، وَلَكِنْ؛ تَذَكَّرَ الْأَرْمَلَةَ وَالْمَسْكِينَ، هَذِهِ مِنْ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ الَّتِي يَرْضَاهَا اللَّهُ، كَنْ رَّوْوفًا رَحِيمًا.... صَلِّ أَرْحَامَكَ، كَنْ أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ، جَوَادًا كَرِيمًا مُتَصَدِّقًا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ البقرة/148.

تَعَالَوْا، نَسَارِعْ، وَنَشِدْ الْإِزَارَ، وَنَشْمَرْ عَنْ سَوَاعِدِنَا، وَلِنَزْرِعِ الْغُرْسَ الَّذِي يَرْضَاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ عَنَا، وَذَلِكَ بِتَرْبِيَةِ النَّاشِئَةِ، وَتَعْلِيمِهِمْ، وَتَرْبِيَتِهِمْ عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ، وَبِنَاءِ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِ، وَشَحْذِ إِرَادَتِهِ، بِغُرْسِ الْمَحَبَةِ وَرُوحِ التَّعَاوُنِ، وَنَغْرِسِ التَّسَامُحِ وَالْوَسْطِيَّةِ فِي نَفُوسِ شَبَابِنَا، عِنْدَهَا؛ تَجِدُ السَّعَادَةَ وَالْأَمْنَ فِي قَلْبِكَ، طَالَمَا أَنْكَ تَعْمَلُ وَفَقْ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ، فَأَنْتَ فِي مَأْمَنٍ، وَفِي عَنَايَةِ اللَّهِ ﷻ.

قَالَ ﷺ: ﴿مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا﴾ {1}.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكَبِي، فَقَالَ: ﴿كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ﴾ {2}.

أَنْتَ إِنْ تَعْمَلُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَبًّا وَطُوعًا لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، فَتَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَالرَّاحَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ، لَا أَحَدٌ يَعْرِفُ مَعْنَاهَا إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ أَمْثَالِكَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام/82.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَسَنَّصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ القصص/77.

إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُنَا أَنْ نَكُونَ أَقْوِيَاءَ الْبَدَنِ، نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ، أَنْ نَكَافِحَ فِي الْحَيَاةِ، وَنُرَبِّي أَوْلَادَنَا أَحْسَنَ التَّرْبِيَةِ، وَأَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا مَنْزِلٌ جَمِيلٌ، وَأَنْ نَعِيشَ حَيَاتِنَا

(١) - سنن الترمذي.

(٢) - رواه البخاري برقم (6416).

الدنيوية بكل متطلّباتها، لكنّ؛ دون إسراف، وبتعقّل وحكمة. وأن نفهم أولويات وأهداف حياتنا، ألا وهي معرفة الله ﷻ وعبادته حق العبادة.

أما الآخر فله معيشة ضنكاً... نعم، هو دائماً في حال عدم الأمن، في حالة عدم الطمأنينة، لأن كل ماله حرام، لقد أجرم بحق عباد الله في سلب حقوقهم، لقد أجرم في حق بلده، في حق أهله، حتى أولاده، فهو مجرم أثيم بحقهم، فلماذا لا تُسلب منه الطمأنينة والأمن والسعادة.

فهو بعيد عن الإيمان، بعيد عن الله، فلن يُعطى السعادة ولا الطمأنينة ولا الأمن، بل يعطى بدل كل ذلك الخوف والجزع.

ماذا ستكون نهايته؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾ انبأ/21. هذه النفس الأمّارة بالسوء تركها تطلب الهوى والأنا.. نعم، تركها في غفلة عن ذكر بارئها، فلم تقدم على أي عمل للأخرة.

كان الطمع والجشع واختلاس الأموال وتكثيرها بالربا وتجارة المخدرات همّة الأول والأخير!، هذه هي غايته في هذه الدنيا! عمله! حياته! هدفه! سعادة زائفة في الدنيا، فجعل معبوده هذه، وترك الله ﷻ خالق السموات والأرض!.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ 15 أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النارُ وحبطَ ما صنعُوا فيها وباطلُ ما كانوا يعملون هود/15-16.

لا تنخدع بوسوسة الشيطان وإغوائه

إن الشيطان يحاول إزاحة بني آدم عن طريق الحق بكافة الطرق والوسائل، يساعده في ذلك إخوانه من شياطين الإنس، (رفاق السوء).

واليك بعض الطرق والوسائل التي يسلك بها الشيطان اللعين لإغواء الإنسان:

• الإضلال والشرك بالله: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ النساء/119.

• الصّدّ عن ذكر الله، وإشعال العداوة والبغضاء بين الناس: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة/91.

• تزيين الشيطان لأوليائه بمجادلة المسلمين في استحلال الحرام: قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفَسَقٌ﴾ الأنعام/121. [أي وإن أطعتم المشركين في استحلال الحرام، وساعدتموهم على أباطيلهم، فأنتم إذاً مثلهم]^{1}.

• الوسوسة والنسيان:

إنه يحاول أن يُنسى الإنسان كل ما ينفعه، وهذا ما دل عليه في قصة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الكهف/63.

قال تعالى: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ يوسف/42.

• وسوسته في العلاقات الأسرية: فهو متربص بكل أبناء آدم، ويعرف أن أساس المجتمع السوي يقوم على الأسرة المترابطة، فلا بد من الإفساد والإغواء والوسوسة بين الرجل وامرأته بطرق مختلفة، كي يهدم الأسرة، وبذلك يهدم أركان المجتمع، وتدبّ الفوضى والفساد والمعصية.

(١) - صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني، ص353.

فعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فإدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم، فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه، ويقول: نعم أنت﴾^{1}.
فكثيرة هي طرقه في الوسوسة والإغواء والإفساد والتخويف والإزاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ الإسراء/53، «النزغ؛ أي الشحنة والبغضاء».

• ومن أساليب الشيطان الماكرة: أن يعرض الشر في معرض الخير، فيصور لهذا الإنسان بأنه رجل صالح، رجل دين، وأنه واعظ جيد، ويدخل الرياء إلى قلبه، ولذة الجاه، فإذا ازداد الناس حوله أدخل على نفسه حب الجاه واحتقار الآخرين وأخذ أموال الناس بالباطل والتملق والرياء وحب الظهور، فيستدرجه إلى التهلكة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يخرج في آخر الزمان رجال يَحْتَلُونَ الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، قلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله ﻋﻠﻰ: أبي يفترون؟ أم عليّ يتجرؤون؟ في حلفت، لأبعثن على أولئك منهم فتنة، تدع الحليم منهم حيران﴾^{2}.

لهذا؛ حذر الرسول ﷺ: ﴿لا تتعلموا العلم، لتباهوا به العلماء، ولتماروا به السفهاء، ولتصرفوا وجوه الناس إليكم، فَمَنْ فعل ذلك، فهو في النار﴾^{3}.

وهكذا كان طلب العلم من العلماء يخضع لقواعد معينة، فعن جابر رضي الله عنه مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة﴾^{4}.

وكم أعجبتني خاطرة للإمام ابن الجوزي، حيث قال:

(١) - أخرجه مسلم برقم (2813).

(٢) - أخرجه الترمذي في باب الفتن، ص265، من كتاب الأحاديث القدسية.

(٣) - رواه ابن ماجة.

(٤) - أخرجه أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

[مَنْ نازعته نفسه إلى لذة محرّمة، فشغله نظره إليها من تأمل عواقبها وعقابها، وسمع هتاف العقل يناديه: ويحك، لا تفعل! فإنك تقف عن الصعود، وتأخذ في الهبوط، ويقال لك: ابق، بما اخترت، فإن شغله هواه، فلم يلتفت إلى ما قيل له، لم يزل في نزول.

وكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب: أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع، غير اسمي، فإنه قبيح، فقال له: أنت خائن، لا يصلح لك غير هذا الاسم. قال: فجرّبي، فأعطاه شقّة لحم، وقال: احفظ لي هذه إلى غد، وأنا أغير اسمك، فجاع، وجعل ينظر إلى اللحم، ويصبر، فلمّا غلبته نفسه، قال: وأي شيء باسمي؟ وما الكلب إلا اسم حسن، فأكل. وهكذا الخسيس الهمة، القنوع بأقل المنازل، المختار عاجل الهوى على أجل الفضائل^{1}.

هؤلاء الناس أهل الخسّة والذلّة، أهل الإفساد في الأرض الذين ارتضوا لأنفسهم أن تعبث بهم شياطينهم، فماذا سيكون مصيرهم عند موتهم؟! ماذا يكون مصيرهم يوم الحساب؟!

هادم اللذات قادم للجميع لا محال!.

(١) - من كتاب صيد الخاطر للإمام ابن الجوزي، ص 211.

الفصل الرابع

هادم اللذات

هادم اللذات بانتظار كل الناس، والعمل الصالح مع الإيمان هو الذي ينجى بفضل الله ﷻ ورحمته، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء/35.

[ونبلوكم بالشر والخير فتنة؛ أي نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم تارة أخرى، فننظر من يشكر، ومن يكفر، ومن يصبر، ومن يقنط]^{1}.

وأما من استكبر وغفل، فماذا ينتظره عند الموت؟ قال تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ الأنبياء/1.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الأعراف/40.

[قيل: المراد لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء، يؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد، عن البراء بن عازب، قال: ﴿خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار،

فانتهينا إلى القبر، ولما يلحد. فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود، ينكت به في الأرض، فرفع رأسه، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاثاً، تكلم عن كيفية موت العبد المؤمن والعبد الكافر، ثم قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله، وغضب، قال: فَتُفَرَّقُ في جسده، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف

(١) - مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص505.

المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها، لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كائنات ريح جيفة، وجدت على الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة، فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ الأعراف/40، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فلتطرح روحه طرْحاً، ثم قرأ: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ الحج/31.

فتُعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: مَنْ ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أَنْ كَذَبَ عَبْدِي، فَأَفْرَشُوهُ مِنَ النَّارِ، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويُضَيَّقُ عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هذا يومك الذي كنت تُوعَد، فيقول: مَنْ أَنْتَ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عمّلك الخبيث، فيقول: ربّ، لا تقم الساعة ﴿١﴾.

(١) - من مختصر ابن كثير، ص16، و17، ج2.

مَن هُم الْخَاسِرُونَ

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام/12.

فالخاسرون هم الذين استولت الشياطين عليهم، وعلى نفوسهم المريضة، فأضلّوهم، وكفروا بالله العظيم.

هكذا حالهم يوم القيامة، لقد خسروا أعمالهم، وخسروا أنفسهم، خسروا أهليهم، فخسروا الجنة، أولئك هم الخاسرون حقاً.

تعالوا، نرى بعض المشاهد التي صورها لنا الله ﷻ في كتابه الكريم لهؤلاء الخاسرين الضالّين الكافرين: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأنفال/37.

انظروا، أيها المارقون المكذبون الضالّون، كانت ألسنتكم على المؤمنين مُسلّطة، أمّا اليوم؛ فمُسلّط عليكم عذاب شديد، مقامع من حديد، وقيود وسلاسل!! أُعدّت لكم، أيها الكافرون، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ 71 ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ غافر/71-72.

لا، بل هناك مزيد من الصور، تعالوا، نراهم بها؟! قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ 49 ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ إبراهيم/49-50.

تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ

الأخلاء كانوا أحياء في الدنيا، يشربون المسكر، ويزنون، ويظلمون هذا وذاك، ويستكبرون، ويتفاخرون، ويستهزئون بالله العظيم، وبالقُرآن الكريم، وبرسول الرحمة ﷺ، وبالمؤمنين! كانوا لا يؤمنون بالله، ولا باليوم الآخر، فماذا حلّ بهم. إنهم يتخاصمون في جهنم، كانوا أحياء وأصدقاء ورفاق في الدنيا... ماذا حلّ بهم؟ ولماذا يتخاصمون؟

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف/67.

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ إبراهيم/21.

ما أخبار زعيم الشياطين إبليس اللعين... ما أخبار القرناء.. أين هم.. أين قبيلته التي ما برحت توسوس وتغري بني آدم، حتى انضم كثير لحزبه.. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إبراهيم/22.

كيف نعالج كيد الشيطان

فبعد كل ما عرفناه عن الشيطان، هل نتخذ الشيطان عدواً أم ولياً؟
قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر/6.

تعالوا معاً، نحدد الأسس لتحطيم مكائد الشيطان وأعوانه:

- 1- طاعة الله تعالى فيما أمر أولاً، واتباع سنة نبي الرحمة ﷺ.
 - 2- الدعاء لله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ النمل/62.
 - قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الأنفال/9.
 - قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إبراهيم/39.
- فتذكر -يا أخي- أن تكون صلتك بالله قوية، ومتابعاً لكل الفرائض والأذكار اليومية وقراءة القرآن الكريم، واستعذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم، في كل أمر. وهنالك أدعية مأثورة عن الرسول ﷺ:
- ﴿بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم﴾. ﴿اللهم، لا تسلط علينا شيطاناً مريداً، ولا إنساناً حسوداً﴾، ﴿لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم﴾، كرر قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾ 97﴿ وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ المؤمنون/97-98.
- وقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصلت/36.

﴿أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق﴾.

﴿أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم﴾.

﴿أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة﴾.

- 3- يا أخي، ابتعد عن العرافين والمشعوذين والمنافقين... لا تسمع ما يقولون، إنهم كاذبون، وأبعد أهل بيتك عن هذه القصص.

أرجوك، وسّع من فكرك وعقلك، فالشيطان الرجيم ليس له أي تأثير على عباد الله المخلصين.

ولكن؛ علينا كلنا أن نتبع ما أمرنا الله تعالى، ليكون ولينا وحافظنا، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خطّ لنا رسول الله صلّى الله عليه وآله خطاً، وقال: ﴿هذه سبيل الله، ثم خطّ خطوطاً، عن يمين الخط، وعن شماله، ثم قال: هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان، يدعو إليه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام/153.

4- امنع وسوسة الشيطان أن تقترب منك، فأفضل طريقة لقطع وسوسة وإغواء الشيطان هو فعل وعمل عكس ما وسوس إليه من فعل الشرّ، والاستعاذة بالله منه في كل مرة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿إن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم﴾ {1}.

دخل رجل على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: ﴿أوصني، قال: لا تغضب، فردّد مراراً: لا تغضب﴾ {2}، لأن (الغضب من النار)، والشيطان من يشعل الغضب، فاحذر من ذلك.

5- ابتعد عن رفاق السوء ومجالستهم.

6- التجئ إلى الله عز وجل.

7- الإيمان بالقضاء والقدر، خيره وشره، وأن لا ملجأ إلا بالله عز وجل، فسلم لقضائه ولحكمه، تسلم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرٌ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس/107.

8- الرقية الشرعية: رقية جبريل عليه السلام للنبي صلّى الله عليه وآله: ﴿باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك﴾ {3}.

لكن شياطين الإنس والجن ما زالوا ينخرون الإنسانية من داخلها.

(١) - رواه البخاري برقم (3281).

(٢) - رواه البخاري برقم (6116).

(٣) - رواه مسلم برقم (2186).

الوثنية والشرك في بلاد العرب

سأدت الوثنية الحضارات القديمة، فأنهكت قواها، أمسى الإنسان عبداً لشهواته وهواه فاقد البصر والبصيرة مهزوز الكيان، يعيش الظلام في قلبه، يعبد الحجر والشجر، دخلت الخرافة والوهم إلى عقولهم.

هذه الخرافة الوثنية كبرت وترعرعت في بلاد العرب، وكانوا على دين إبراهيم الحنيف، ورويداً رويداً، انسلخوا عنه، وأصبحوا يُشركون بالله، [يَقْرُونَ بِأَن اللَّهَ هُوَ الخالق، ولكن؟ يعبدون معه غيره من أوثان وأصنام، قال تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر/3.

وكانوا يَقْرُونَ لله (بالخلق)، ولكن؟ لا يعترفون له (بالوحدانية)، فكانوا يقولون متعجبين مستغربين، قال تعالى: ﴿أَجْعَلِ لِلَّهِ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ص/5 [1].

ويذكر أن عمر بن لحي «رئيس خزاعة» هو أول من أتى بعبادة الأوثان إلى جزيرة العرب من بلاد الشام، فأتي بهبل، وجعله في جوف الكعبة، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه، واتبعه أهل الحجاز. قال الحافظ ابن كثير: [أنكر المشركون -قبّحهم الله- أن يقرّوا لله بالوحدانية، وتعجبوا من ترك الشرك بالله، فقد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان، وأشربت قلوبهم، فلما دعاهم رسول الله ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الله تعالى (بالوحدانية) أعظموا ذلك، وتعجبوا، وقالوا: قال

(١) - آمنت بالله: للصابوني، 71.

تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ﴾ 5 ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ
امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ ص/5-6.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ﴾ هم ساداتهم وقادتهم ورؤساؤهم من أهل
الضلالة، يقولون: استمروا على دينكم، واصبروا على عبادة آلهتكم، ولا تستجيبوا لما
يدعوكم إليه محمد ﷺ من التوحيد، فإن هذا الأمر مدبر من محمد، ومكيدة،
لصرفنا عن عبادة آلهتنا، لتكون له العزة والشرف عليكم^{1}.

[لقد كان عند كفار مكة /360/ ثلاثمائة وستون صنماً، كل واحد منها إله
بمفرده، يُعبد من دون الله، فلما جاءهم رسول الله ﷺ بدعوة التوحيد، قالوا:
يا محمد، تكلم بالمنطق والعقل، فإن عندنا الآلهة التي تقارب عدد أيام السنة،
وهي لا تكفينا، أ فترك عبادتها، ونعبد إلهاً واحداً، إن أمرك لعجيب. فلذلك نفروا
من دعوته ﷺ، واستمروا على الوثنية، والإشراك بالله تعالى]^{2}.

[وكانت لهم تقاليد ومراسيم في عبادة الأصنام، ابتدع أكثرها عمرو بن لحي،
وكانوا يظنون أن ما أحدثه عمرو بن لحي بدعة حسنة، وليس بتغيير لدين إبراهيم
ﷺ، فكان من مراسم عبادتهم للأصنام أنهم:

- 1- كانوا يعطفون عليها، ويلجؤون إليها، ويستغيثونها بالشدائد.
- 2- وكان يحجون إليها، ويطوفون حولها، ويسجدون لها.
- 3- وكانوا يتقربون إليها بأنواع من القرابين، فكانوا يذبحون، وينحرون لها،
وبأسمائها، وهذان النوعان من الذبح ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا ذُبَحَ
عَلَى النُّصُبِ﴾ المائدة/3.

5- وكان من أنواع التقرب إلى الأصنام النذر في الحرث والأنعام، قال تعالى:
﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجَرَ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءَ بَزَعِمَهُمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ
ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ﴾ الأنعام/138.

(١) - مختصر ابن كثير، ج3، ص196.

(٢) - آمنت بالله، الشيخ الصابوني، ص 72.

6- وكانت منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحامية، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة/103.

قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا﴾ يونس/18.

وكانت العرب تستقسم بالأزلام، والزلم: القدر الذي لا ريش عليه، وكانت ثلاثة أنواع: نوع فيه (نعم)، و(لا)، كانوا يستقسمون بها فيما يريدون من العمل من نحو سفر ونكاح وأمثالها، فان خرج (نعم)، عملوا به، وإن خرج (لا) أخروه. وكانوا يؤمنون بأخبار الكهنة والعرفان والمنجمين.

هذه هي الحالة الدينية للجزيرة العربية آنذاك في جهل وظلام دامس، تبدأ قصة الإنسان في المعمورة بين مدّ وجزر بين هبوط القيم الإنسانية، وارتفاعها بين ظلام دامس وحب الهوى والشهوات وبين حب الخير والعمل الصالح، وفي كل مرحلة زمنية ومكانية، يرسل الله ﷻ الأنبياء والرسل لتذكير الناس به، والدعوة إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ 21 ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/21-22.

نداءات ربّانية لجميع أهل الأرض كلها تصبّ في [بيان وحدانية ألوهيته بأنه هو المنعم على عبيده، بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة]^{1}.

[أن الله هو الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يُعبد وحده، ولا يُشرك به غيره ولهذا؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/21-22]^{2}.

عن ابن عباس قال: ((الأنداد هو الشّرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل)).

(١) - مختصر ابن كثير، ج 1، ص 36.

(٢) - المرجع السابق، ص 36.

ما هذا التاريخ المؤلم للبشرية أكثر حلقاته ظلام دامس، وما كاد نور ينبعث بمجيء داعية الله، حتى يعود الظلام [ولو تقصينا تاريخ البشر - على ضوء الإيمان بالله، والاستعداد للقائه - لوجدنا العالم أشبه بمخمور، تربو فترات سكرة على فترات صحوة، أو بمحموم، غاب عنه - في سورة الألم - رشد، فهو يهذي، ولا يدري^{1}].

نعم، الوثنية وشريعة الغاب نهشت الحضارات القديمة كلها، لأنها اعتمدت على الحياة الأولى الدنيوية، دون الاتصال بالحياة الثانية الخالدة، لأن انفصالها في الاعتقاد يشيع الفساد في الأولى، ويذهب بأمن الأخرى، واستقرارها.

وتأمل حياة الإنسان يدرك أنها (دنيا فحسب)، فلا بد من المكاثرة والمغالبة، لا بد أن يحظى منها بأوفر نصيب، بأي سبب، ومن أي طريق.

فمرحبا بالظلم، إن حقق لذة! ومرحبا بالغدر، إن أحرز غنيمة! بل، واحسرتاه! إن فاته المطلوب، أو أبطأ المرغوب، وسلوك هذا شأنه لا بد أن تسود معه شريعة الغاب، وأن تتحكم فيه طبائع الوحوش! بيد أن الإنسان في طغيانه أمضى من الوحش في تدبيره، وأقوى منه في التوائه وخبثه، والحيوان إن شبع، امتنع، والإنسان الانفصالي إن شبع، جشع، وهي في نظرة دنيا فحسب، إذا غاب رقيب الدنيا، فلا رقيب، وإذا لم تنله يد الشر فقد فاز في ميدان المغالبة و المكاثرة بأوفر نصيب. هذا يقع لأنه يغلب عليه حب الأنا، حب الهوى والشهوات وسلوكه، يصبح حيوانياً أكثر فأكثر (ومنهم من يعتبر أن السعادة أو اللذة هي غاية الإنسان)^{2}.

لأن الانفصال في الاعتقاد قد وقع، فطالما ابتعد عن الاعتقاد القويم والسلوك الرفيع، فإنه يصبح عبداً لشهواته وهواه، عبداً لغرائزه الضالة.

الدنيا مقدمة، والآخرة نتيجة؛ قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^{15} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿هود/15-16﴾.

(١) - فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي، ص14.

(٢) - الأخلاق: أحمد أمين، ص60. هذا مذهب أبيقور للسعادة واللذة (هو فيلسوف يوناني عاش قبل الميلاد)، يرى أن السعادة أو اللذة هي غاية الإنسان، ولا خير في الحياة إلا اللذة، ولا شر إلا الألم.

فلقد أضاع حياته الحقيقية، لقد باع آخرته بشهواته الشيطانية، وأشرك بالله، وانقطع عن العمل الصالح، حتى ابتعد عن دينه.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ مريم/59.
حاشى لله أن يكون خلق الإنسان للدنيا فقط، واستحالت فيها نعم الله على يد البشر نقماً، تُشيع في الأمم الذعر والخوف، وتذهب بالطمأنينة والأمن، لكن الشيطان الرجيم وذريته وشياطين الإنس أبدعوا في تحريف الفطرة، وإضلال البشر.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ 115 ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ 116 ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون/115-117.

الفصل الأول

النور الذي سطع على أرض العرب

البداية هي نهاية خلوة طويلة في غار بعيد عن مكة، لم يسمع غير جلال الصمت ورهبة المكان وقسوة صخوره الجرداء، من خلال هذا المكان البعيد، والظلام الدامس، سطع نور الحق، نعم، لقد اصطفى الله ﷺ رسوله الكريم محمداً ابن عبد الله، ليحمل رسالة الخلود ورسالة الإسلام، من هنا، انطلقت دعوة الحق بهذا النور المتدفق بالحق، يصدق بـ لا إله إلا الله.

[وقد أغاث الله تعالى به البشرية المتخبطة في ظلمات الوثنية والجهل والخرافة، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وكثر به القلة، وأعز به الذلة، وأغنى به العبد بعد العيلة. عرف الناس بربهم ومعبودهم، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ العنكبوت/51].^{1}

(فهذا الإسلام عماده الخضوع لله، والانقياد له. ولعل هذا الاسم أنسب اسم للرد على العقلية الجاهلية، عقلية الأنفة والحمية)^{2}، فالطريق بدأ باتباع سنته، وجعل هذا الإلتباع شرطاً في الظفر بحب الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران/31. وقال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ الأحزاب/21.

﴿عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ الأحزاب/45.

(١) - محبة النبي ﷺ: عبد الله بن صالح الخضير، عبد اللطيف بن محمد الحسن، ص54.

(٢) - فجر الإسلام: أحمد أمين، ص74.

وحرزاً للأُميين، أنت عبي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سَخَابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكنْ؛ يعفو، ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عُمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً^{1}.

إن التوحيد لله هو راية الإسلام الأولى في كافة الميادين، وعليه، فلو تتبعنا آيات القرآن الكريم حول هذا الموضوع، لوجدنا آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾ النحل/51.

قال تعالى: ﴿وَالْهَكَمُّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة /163.

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الرعد/16.

لكن الكبرياء والعجب هي أدوات الوثنية، فلم يهتموا بالدعوة قدر اهتمامهم بالشخص الداعي، وما سيجرزه من فضل بهذه الرسالة، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ المؤمنون/24. انظروا، وراقبوا انحطاط الأخلاق لديهم، لم يتمعنوا ماهية هذه العقيدة الجديدة! هذا الدين! كان همهم الهوى وحب الشهوات وفساد الأخلاق! رفضوا الدعوة، حتى لا يكون صاحبها أفضل منهم! هذا الكبر والعجب!.

[يتضح ذلك في قول أبي جهل عمرو بن هشام معللاً كفره برسالة محمد ﷺ: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا، منا نبي يُوحى إليه، والله، لا نؤمن به، ولا نتبعه أبداً، إلا أن يأتينا وحي كما يأتية، وهكذا قال الوليد بن المغيرة لـ رسول الله ﷺ: لو كانت النبوة حقاً، لكنت أولى بها منك، لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً!.

وهذه السفاهات العاتية، لم تنفرد مكة بها، فلم يكن كفر عبد الله بن أبي في المدينة إلا لمثل هذه الأسباب^{2}.

(١) - رواه البخاري برقم (2125).

(٢) - فقه السيرة، ص23.

أرجوكم، انتبهوا لردّ جعفر بن أبي طالب عليه السلام على سؤال النجاشي ملك الحبشة، عندما هاجر المسلمون إليها... انظروا إلى العبادة الأخلاقية، وكيفية أن الإنسان المسلم الخلق يستطيع أن يجذب إليه أهل الدنيا. فالانتقام والأخذ بالتأثر لم يعد خيراً الخصال، فالإسلام كان له الأثر الكبير في تغيير الأخلاق، وسموها.

قال جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وكان هو المتكلم عن المسلمين:

[أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فذعانا إلى الله، لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد، نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصّنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نُشرك به شيئاً^{1}].

هذا هو إسلامنا، انظروا ماذا فعل الإسلام بعقلية الجاهلية؟ لقد انتزع منها روح الغلّ والانتقام والتأثر وحب الأنا وعبادة الأصنام والتفاخر إلى أخلاق الإسلام وحب الآخر والألفة والمودة والتسامح والرحمة. نعم، هذا هو الإسلام الخضوع لله والانقياد لأمره، هذه هي السعادة الحقيقية، وهي غاية الغايات.

لقد لقي الإسلام مقاومة شرسة من أعدائه المشركين، ودارت معارك كثيرة، حتى لفظت الوثنية أنفاسها في الجزيرة العربية.

وهكذا انتشر الإسلام في أصقاع المعمورة، [فإذا آمن أحد بالله، وشهد أن لا إله إلا الله، انقلبت حياته ظهراً للبطن، تغلغل الإيمان في أحشائه، وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح بالدم.

هذا الإيمان مدرسة خُلقية، وتربية نفسية، تُملّي على صاحبها الفضائل الخُلقية من صرامة إرادة، وقوة نفس، ومحاسبتها، والإنصاف منها. لقد تحوّل هذا الإيمان نفساً لوأمة عنيفة، ووخزاً لازعاً للضمير.

(1) - الرحيق المختوم: صفى الرحمن المباركفوري، ص 84.

كان المؤمن يعرض نفسه للعقوبة الشديدة، ويتحملها مطمئناً مرتاحاً، تفادياً من سخط الله، وعقوبة الآخرة.

وقصة ماعز بن مالك الأسلمي وقصة الغامدية عندما اعترفت لرسول الله بأنها زنت «القصة في صحيح مسلم رقم 1695»^[1].

[إن القرآن الكريم هو الدستور الأصيل للإسلام، وهو الذي يحدد للمسلم بدقه تامة واجباته وحقوقه، ويرتب التكليف المنوطة به، ويوزع العبادات على حياته، فلا تطفى عبادة على أخرى...]^[2].

والسنة شارحة لكل تفاصيله، قال رسول الله ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا ما شئتم» «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» الأحزاب/6^[3].

هذا هو رسول المحبة والسلام. لقد صدح الإسلام، وانتشر، وهذا باختصار [من كتاب الإسلام في عيون غربية، ص 8-15/].

• الإسلام دين التوحيد.. توحيد لله ﷻ... في الألوهية والربوبية، الذات.. والصفات.. والأفعال، فخلاصة الإسلام، والإخلاص للإسلام هو التوحيد، كما جاءت به سورة الإخلاص، قال تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^[1] «اللَّهُ الصَّمَدُ»^[2] «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ»^[3] «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» سورة الإخلاص.

• فالإسلام هو الدين القيم: أي الدين المستقيم، والمقوم لأمر الناس قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ» الروم/43.

• الإسلام دين القيمة: أي دين الأمة التي تسلك سبيل العدل والاستقامة «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» البينة/5.

(١) - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي، ص 105 و 105.

(٢) - فقه السيرة، ص 37.

(٣) - رواه البخاري برقم (4781).

• الإسلام دين البينة: التي تبين الشيء، وتوضحه، حسياً كان هذا الشيء، أو عقلياً.... ولقد ورد هذا المصطلح ومشتقاته في القرآن الكريم، في ثلاثمائة وسبعة وخمسين موضعاً، قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال/42.

○ الإسلام دين البرهان: أي الحجة الفاصلة البينة.. يقيم البرهان على عقائده وحقائقه، ويدعو الآخرين إلى البرهنة على ما لديهم من مقولات وتصورات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النساء/174.

○ الإسلام علم: قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَّنْهُنَّ أَلْفًا مِّن ذُرِّيَّتَيْنِ يُغْفَرُ لَهُنَّ جَنَاحُهُنَّ مِنَ الْبَاطِلِ إِنَّهُنَّ أَهْلٌ بَاطِلٍ وَهُنَّ كَافِرَاتٌ﴾ النور/35.

والله في الإسلام هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ التوبة/94.

قال تعالى: ﴿نُبَيِّنُكَ لِيَعْلَمَ أَن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الأنعام/143.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ الأنعام/148.

والإسلام نور، قال تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ النور/35.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ البقرة/257.

○ ورسول الله ﷺ نور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة/15.

والعدل في الإسلام اسم من أسماء الله ﷻ، والله ﷻ يأمر بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/90.

○ ولأن العدل نقيض الظلم، فلقد حرم الله الظلم على نفسه، وعلى عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ النساء/40.

ولذلك، كان العدل هو الروح السارية في الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية. ولقد أوجب الإسلام العدل في كل المعاملات، حتى مع العدو، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى الْأَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ المائدة/8.

هذا هو إسلامنا، فلماذا ينعوتونه بنعوت، لم ينزل الله بها من سلطان؟ فهو مؤسس على الوسطية والاعتدال والتوازن، الحب والخير للناس جميعاً! هذا هو إسلامنا!.

○ [أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلق لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها، نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب.

وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصبت القبلة، وعليها أُسست الملة، ولأجلها جُردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنهما يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدما العبد بين يدي الله، حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتُم المرسلين؟، فجواب الأول بتحقيق (لا إله إلا الله) معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثاني بتحقيق (أن محمد رسول الله) معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباد، المبعوث بالدين القويم، والمنهج السليم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدي به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته، وتعزيره، وتوقيره، ومحبته، والقيام بحقوقه، وسدّ دون جنّته الطرق، فلن تُفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ورفع له ذكّره، ووضع عنه وزره، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمره^{1}.

[قال سبحانه وتعالى لرسوله العظيم ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ محمد/19.

(١) - زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام ابن قيم الجوزية.

فاعلم أن الله تعالى قدّم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار، والسبب: أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول، والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع، والأصل يجب تقديمه على الفروع، فإنه ما لم يعلم وجود الصانع، امتنع القيام بطاعته وخدمته، وهذه الدقيقة معتبرة في آيات كثيرة، منها:

أولها: أن إبراهيم عليه السلام لما اشتغل بالدعاء، قدّم المعرفة على الطاعة، فقال: **«رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ»** الشعراء/83.

وثانيها: أنه تعالى لما أوحى إلى موسى عليه السلام، فقال: **«وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى»** 13 **«إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»** طه/13-14. **ثالثهما:** أن عيسى عليه السلام لما أنطقه الله تعالى قال: **«قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ»** مريم/30.

فقوله: **«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ»** إشارة إلى علم الأصول، وقوله: **«آتَانِيَ الْكِتَابَ»** إشارة إلى علم الفروع، فإن احتياجه إلى الكتاب إنما يكون من معرفة الأحكام والشرائع^{1}.

بالإسلام، انقلبت النفوس، فلا علوّ في الأرض، ولا فساد... بل محبة ومودة ورحمة، قال تعالى: **«فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»** محمد/19.

بهذه الرؤية التوحيدية، دخل نور الحق إلى قلب المسلم. ومثالنا على ذلك منهم ربيعي بن عامر، رسول سعد بن أبي وقاص إلى رستم قائد الفُرس، عندما دخل عليه بسلاحه ودرعه، فقالوا له: ضَعْ سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعتُ، فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها، فقال له: ما جاءكم؟ فقال: الله ابتعثنا، لنُخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^{2}.

(١) - عجائب القرآن: محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، ص8.

(٢) - تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري.

فعلينا نحن المسلمين أن نعرف كيف نعبد الله حقَّ عبادته .
[العبادة غاية الخضوع، وغاية الحب، غاية الاستسلام، طاعة طوعية ممزوجة
بمحبه قلبية، أساسها معرفة يقينية، تقضي إلى سعادة أبدية، فيها جانب معرفي
وجانب سلوكي، والجانب السلوكي هو الأصل، لا يمكن أن نقطف من الدِّين شيئاً،
إن لم نستقم على أمر الله، فالدين بكلمة واحدة هو الاستقامة]{1} .

(2) - محاضرات: د . محمد راتب النابلسي .

العبادات

[العبادة خضوع مشرب بحب، إنها طاعة المحب لمن يهاب ويجل، وتفانيه فيمن يُقدّس ويعز، وهذه الحالة لا تليق بإنسان إلا مع ربه. إن الإسلام دين وصّاف للحقائق، يُعرّف الخلق ببارئهم الأعلى، تعريفاً لا تزيد فيه، ولا نقص^{1}].

إذاً؛ العبادة أن تعرف الله معرفة اليقين. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/56.

العبادة علاقة مباشرة وخاصة بين الإنسان وبين خالق هذا الكون، إن الله الذي أنار الكون بنوره، فكيف لا نعبد، والإسلام يعلمنا، ويشرح لنا، ويعلمنا بخالقنا، وفي الحديث الشريف:

﴿بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً﴾^{2}. وهي الكمال المقصود، وهي التي تساعد النفس المسلمة على السمو والتطهر والنطق بالشهادة.

1- النطق بالشهادة:

ورد في الأثر: قال عليه السلام: ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِحَقِّهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قِيلَ: وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: أَنْ تَحْجِزَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ﴾.

2- الصلاة:

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت/45.

حقيقة الصلاة الإبعاد عن الرذائل، والتطهير من سوء القول والعمل، وبالتالي؛ الابتعاد الكلي عن المراتع الشيطانية.

(١) - هذا ديننا: الشيخ محمد الغزالي.

(٢) - البخاري برقم (8).

وقد جاء في حديث، رواه النبي ﷺ عن ربّه، جلّ جلاله: ﴿إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلَاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي، وَلَمْ يَبْتَ مَصْرًا عَلَى مَعْصِيَتِي، وَقَطَعَ النَّهَارَ فِي ذِكْرِي، وَرَحِمَ الْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْأَرْمَلَةَ، وَرَحِمَ الْمَصَابِ﴾^{1}.
فالصلاة تقرب العبد من ربّه، وتزيد النفس طمأنينة وسكينة، وتحصّنه من عبث الشياطين، فلا يكون عبداً للهوى، ففريضة الصلاة مقترنة بطهارتين: طهارة النفس بإقامة الصلاة، وطهارة البدن بالوضوء.

وفي الحديث ﴿فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَنَفْسِهِ وَجَارِهِ، يَكْفُرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^{2}.

عن رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبِرْهَانًا وَنَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بِرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنْ خَلْفٍ﴾^{3}.

إنه منهج يومي بضوابطه الزمنية والنفسية، أن يطهر النفوس في بوتقة الطهر، ويضبط السلوك الأخلاقي للإنسان برقابة دائمة، رقابة من معرفته باللّه، وبذلك تطمئن النفوس.

قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ طه/131.

3- الصيام:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة/183.
فالصيام منهج للروح والجسد.

○ وقوام الصوم هو إعطاء زمام الإرادة الإنسانية لله ﷻ، وجعلها تحت أمره، وكبح رغبات النفس، وهواها.

(١) - سند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار.

(٢) - رواه البخاري برقم (3586) وبرقم (1895) جزء من الحديث.

(٣) - رواه أحمد.

○ الصيام تذلل النفس والجسد لأوامر الله، والابتعاد عن الهوى، في الصوم تثبت الإرادة والعزيمة، في الصوم نصوم عن الكذب وقول الزور، وفيه تصوم جوارحنا عن كل شيء مكروه. ولهذا قال رسول الله ﷺ عن الصوم: ﴿نصف الصبر﴾، والصبر نصف الإيمان.

○ إن الصوم يذكر المسلم بأن كثيراً من الناس، لا يملكون قوت يومهم، تذكر أيها الصائم أنك قبل الغروب تشعر بالجوع والعطش، تذكر أن الصوم أيام معدودات، وتتقضي، ولكن الجائع الفقير، هذا المسكين، هو وأسرته، صائم عن الطعام إكراهاً! هو صائم لعدم تمكنه من شراء الطعام، تذكر هذا.

لهذا؛ كان شهر رمضان شهر البذل والعطاء والتضحية، شهر الصدقات. ابذل ما استطعت من صدقات وعطايا في هذا الشهر، بشكل خاص. ابذل ما استطعت من صلة الرحم، والتقاء الأقارب.

ابذل ما استطعت من عبادة التفكر وضبط النفس والتأمل بقراءة القرآن الكريم. فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان^{1}.

وقال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ﴾^{2}.

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: ﴿الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. ويقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه، قال: فيشفعان﴾^{3}.

4- الزكاة:

تمتد للنفس، كي تطهرها، وتعيدها مطمئنة ومرتاحة الضمير، ففي الزكاة، تنال الرضاء من الله ﷻ، وتأخذ المحبة وصلة الرحم من المجتمع، وتبعد الشحنة

(١) - رواه البخاري برقم (1902).

(٢) - رواه البخاري برقم (1903).

(٣) - رواه أحمد.

والبغضاء والحسد عن صاحبها . قال الله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة/103 .

فتطهير مال التاجر المؤمن لا بد أن يمرّ بالزكاة والصدقة، والزكاة هي قربة لله وحده، تُعطى لمستحقّيها . وكثيرة هي الآيات التي قرنت الزكاة بالصلاة والتقوى، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف/156 .

الزكاة تطهر القلب والنفس، وتبعد الحسد عن الأغنياء، تُحبّب الناس فيما بينهم، وخاصة الأقرباء والمحتاجين، وهي صلة رحم، وتقوي التآخي بين أفراد المجتمع، أنفق في السراء والضراء . ستجد ما أنفقته عاجلاً أم آجلاً، لذلك قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ البقرة/274 .

5- الحج:

قال تعالى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ البقرة/197 .

تعالوا، نقرأ سورة الحج في بدايتها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ 1 ﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ الحج/1-2 .

هذه الآيات كأنها تلمح إلى مغزى الحج، وأن الدنيا ستنتهي لا محالة، ويجتمع الناس كافة في يوم الحشر، وهو يوم الجمع الأكبر. فتذكّر -يا أيها المسلم- فريضة الحج تذكرة لك .

انظر... انظر... إلى هذه الجموع قادمة من جميع أنحاء العالم، لتقول لربّ العزة وهي مُحَرَّمَةٌ في ملابس الإحرام: (لبيك، اللهم، لبيك... لبيك، لا شريك لك، لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك) {1} .

(١) - رواه البخاري برقم (1549) .

إنه مؤتمر لجموع الموحدين في البيت الحرام، يُعقد كل سنة مرة واحدة، أعظم مؤتمر إسلامي، ملايين المشاركين يأكلون ويشربون، ولكن الأهم إيمانهم الخاشع بالله، تجردهم من كل مظاهر المدنية والثراء، أتوا عرفات عباداً متطهرين، ينادون بصوت واحد: لا إله إلا الله.

فريضة الحج إثبات الإيمان بالله واليوم الآخر، فريضة الحج دقة في المواعيد، في الميقات، في الملبس، في الطواف، في عرفات، وهؤلاء قصدوا ربّ هذا البيت ليقولوا له.. أنتَ الله، ربنا ورب كل شيء، ونحن نعبدك، ونطلب رحمتك، أتينا من كل فجاء الأرض.

وفريضة الحج تذكّرنا بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي أرسى قواعد البيت مع ابنه إسماعيل، سائلين الله أن يتقبّل عملهما، وأن يجعلهما مسلمين له، ومن ذريتهما أمة مسلمة له، إنها رحلة من العشاق إلى بيت المعشوق، لينهلوا بركاته ورضوانه ورحمته ومغفرته.

ما أجمل وأروع كلمات نبي الرحمة، ألقاها في حجة الوداع. إنه صلى الله عليه وسلم يوجه خطابه للإنسان، لكل إنسان ﴿يا أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري، لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً.. إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم... فاتّقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله... وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعد إن اعتصمتم به: كتاب الله... أيها الناس، لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربّكم، وصلّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وتحجّجوا بيت ربكم، وأطيعوا أولاد أمركم، تدخلوا جنة ربكم﴾...^{1}.

(١) - الرحيق المختوم، ص 422.

الفصل الثاني

أخلاقنا في الميزان

إن رسالة الإسلام رسالة لكل زمان ومكان، ولكل المجتمعات المدنية وغير المدنية. لكل الأجناس والألوان، إنه إشعاع نوراني من السماء إلى كافة أرجاء المعمورة، فنحمد الله.. على نعمة الإسلام... إن الإسلام يقدم أفضل منهج علمي وعملي للناس جميعاً، كي يعيشوا بأمان وسلام وطمأنينة وسعادة الدنيا والآخرة.

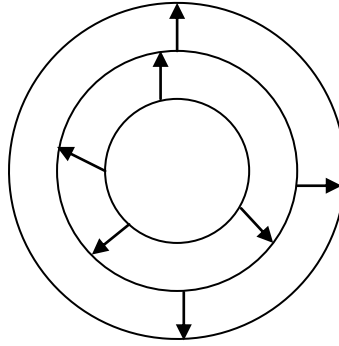
فلو نظرنا إلى العلاقات الاجتماعية بين المسلمين، وإلى هذا التكافل الاجتماعي السلوكي الذي أُمِرنا به، وامتنلنا له، لكننا أسعدنا الناس، فالمؤمن يؤثّر ويتأثّر، هو دائم الحركة، قال رسول الله ﷺ: ﴿تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى﴾^{1}.

هذا هو ديننا، دين الرحمة والتآخي، دين العطاء، كل فرد في المجتمع هو لبنة لا بد منه، كالشمعة يضيء لنفسه وللآخرين، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه﴾^{2}.

ما أجمل التكافل والتآلف بين أبناء الأسرة الواحدة، الكل بحاجة للكل، الأب يقدم الرعاية والنصائح والأكل والمشرب والملبس، والأم تقوم برعاية الأولاد، والاهتمام بهم، وكذلك أفراد الأسرة كلهم في انسجام رحب، فإذا مرض أحد أفراد الأسرة، ترى هذه الأسرة المسلمة الطيبة قد دبّ فيها الحمية والاهتمام المتزايد بهذا المريض، ليشفى، وتتسع الدائرة إلى الأهل والأقارب، إنه بحاجة لدم، يركض العمّ والخال للتبرّع بالدم. هذا هو ديننا، دين اجتماعي سلوكي أخلاقي، دين معاملة، دين رحمه تتسع الدوائر، وتتسع، لتشمل كافة أبناء المجتمع.

(١) - رواه البخاري برقم (6011).

(٢) - رواه البخاري برقم (6025).



هذه الدوائر هي عبارة عن شبكات متصلة ببعضها [فالمجتمع ليس مجموعه أفراد، بل هو (شبكة علاقات)، تنظّم الأفراد، فإذا أردنا تصوّر (الشبكة الاجتماعية) أو (النسيج الاجتماعي) أمكن تشبيهه بالخيوط والعُقد، والعُقد مرتبطة كلها بالخيوط]^{1}.

هذه الشبكة أعتبرها كشبكة الكهرباء أو الهاتف، مقاسم مركزية تُصدر الطاقة، وأسلاك تنقل الطاقة، والمركز الرئيسي ينظّم هذه العمليات، فأى عملية غير صحيحة، أو عطل في الشبكة، يؤثّر على جزء منها، ويتعطّل، عندها؛ يجب الإسراع بالإصلاح، وإلا سيكون هنالك أعطال كبيرة، تتفاقم، إلى أن تؤدي إلى فساد وانهيار شديدين.

إن المجتمع هو مجموعة أسر ملتزمة متحدة، تحبّ بعضها البعض، فإن كان هناك فاقة ومجاعة وكوارث، قامت الجمعيات المدنية بمؤازرة الدولة، وهبّت النجدة من هنا وهناك لإزالة آثارها.

قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُوْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُقِلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمِتْ﴾^{2}.

(١) - مخطط الانحدار والبناء للدكتور خالص جليبي، ص117، أهداني كتابه مشكوراً عندما كنتُ أعمل في القصيم سنة 2001م.

(٢) - رواه البخاري برقم (6018).

إذا؛ لا بد من العمل الصالح لهذا المجتمع، لا بد من أن يكون سلوكنا قريباً، بل متطابقاً مع أخلاق نبي الأمة الرحمة المهداة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الأعراف/157.

إذا المنافع عمّت المجتمع بكامله في كل الميادين، وخاصة ميدان الألفة والمحبة وصنائع المعروف، فهذا الخير وطمأنينة النفس والسعادة سيعمّ على كل أفراد المجتمع، فلا خوف ولا وجل لأية كارثة أو حدث جلل يعمّ أسرة أو حياً، لأن الكل كالجسد الواحد.

هذا هو ديننا، أخلاق إسلامنا، إن هذا المؤمن الذي هو إيجابي، همه همّ بلده، فرحه فرح بلده، حزنه حزن بلده، هو -بلا شك- صاحب نخوة ومروءة وشهامة، هو معطاء لذاته ولأهله ولبلده، وآئذ ينتفع منه كل أفراد المجتمع دون تمييز، فهو خادمهم، إنه يرحم الفقير والأرملة والمسكين، فما بالك -يا أخي- بكافة أفراد المجتمع على هذا المنوال؟! نبي الرحمة ﷺ يقول: ﴿الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار، ويقوم الليل﴾^{1}.

نعم، أنت الذي تملك السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، لأنك عرفت الله تعالى، وطبقت منهجه، وعملت أعمالاً صالحة، فأنت -ياذن الله- من الفائزين في الدنيا والآخرة. أنت حققت غاية وجودك واستخلافك في الأرض، بمعرفتك بالله ﷻ، فهنئاً لك على نجاحك ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل/97.

فهنئاً لك، يا صاحب المعروف... يا صاحب المروءة، فأنت مع الله، وهو معك. ﴿كل معروف صدقة﴾^{2}، والحسنة تتضاعف إلى سبعمئة حسنة وزيادة، لا، بل حتى الكلمة الطيبة لها وقع كبير في ديننا ﴿الكلمة الطيبة صدقة﴾^{3}، وكذلك الابتسامة صدقة. فلا بد لصالح المجتمع من صلاح العقيدة، وصلاح العقيدة

(١) - رواه البخاري برقم (6006).

(٢) - رواه البخاري برقم (6021).

(٣) - رواه البخاري في باب طيب الكلام.

-يقيناً- بحاجة إلى صلاح الأخلاق والسلوكيات، كي يتمكن الفرد من أن يكون بنّاءً، لا هداماً لنفسه ولأهله ولبلده. فعليه بالاستقامة والابتعاد عن الأنا القاتلة التي تؤدي إلى تحطيم هذه الشبكة المتوازنة والمترابطة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران/101.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هود/112.

هذا ديننا، دين الأخلاق ودين الاستقامة، دين الوسطية والاعتدال.

هذا ما يسمى الفضيلة: وهي الوسطية والاعتدال العقلي في السلوكيات الطبيعية، لا إفراط ولا تفريط، فالشجاعة فضيلة سلوكية طبيعية وسطية بين طبعي التهور والجبن، والكرم فضيلة سلوكية طبيعية بين طبعي السرف والبخل.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف/31، فالاعتدال هو عين الفضيلة، وهذا يدل على أن الغلو الديني غير مقبول في شريعتنا.

تعالوا، نقرأ قول الحسن البصري، رحمه الله (سبحان الله الذي جعل اعتدال هذا الدين بين اللاتين)، نعم، إن هذا الدين دين متكامل، بعباداته، بأركانه، بفرائضه، بسلوكياته، وبأخلاقه.

لكن؛ وا أسفاه على هذا الزمان الذي تغيرت أكثر مفاهيمنا، فأصبح المعروف في نظر بعض الناس منكراً، والمنكر معروفاً، حتى أصبح الإسلام في وادٍ، والمسلمون في وادٍ آخر.

نعم، لقد ابتعدنا كثيراً عن هدي الإسلام، فقد يقول أحدهم نحن بألف خير، والله الحمد، لماذا هذا التشاؤم؟ أقول صدّقني، يا أخي، لست متشائماً، ولكن؛ تعالوا جميعاً ننظر إلى واقعنا بدقة، وسنرى العجائب من هذا الانهيار الأخلاقي الذي وصلنا إليه، من عري، ورذيلة، ومنكرات الأخلاق، من قطع رحم، والأمر بالمنكر، وحب الأنا والانتهازية، ورشوة هنا وهناك، مخدرات، وشذوذ جنسي! حتى أصبحنا نخاف على أنفسنا من أنفسنا!! إلى أين؟! هل سنركب قطار اللهو والفساد الأخلاقي؟ أم نقف ونفكر؟ الذي يحدث اليوم على مستوى الأرض هو بداية النهاية تماماً.

... هل سأل أحد منكم كم نسبة الطلاق في بلادنا؟ ولماذا؟
كم جريمة انتحار يومياً في البلاد العربية والإسلامية؟ كم جريمة قتل من أجل
حفنة من المال؟ كم عدد الشباب الذين يتعاطون المخدرات؟
المطلوب منك أنت الذي تقرأ هذه الكلمات، ومنه، ومنها، ومنهم، ومنهن،
ومنا نحن أبناء هذه الأمة العربية والإسلامية وقفة تأمل وتفكر!
وقفة صغيرة مع الذات.. لماذا هذا الذي يحدث؟
ماذا أصاب هذا المجتمع؟
أكثرنا يلهث وراء اللهو والرذيلة! وراء الشهرة! نعم، يتنافسون من الأغنى؟ من
يملك السيارة الأحدث! حتى أصبح همنا هذه المظاهر الخداعة! وتركنا القيم
الإنسانية والأخلاقية، وانزويننا! وبدأ النخر يأكل منا مأكلة عظيمة.

هل المجتمع العربي والإسلامي في أزمة أخلاق

إن الأخلاق إذا سادت المجتمع، فاحت منها رائحة زكية، تشدّ إليها الآخرين. [ولما كان الخلق أبرز ما يراه الناس من الإسلام، ويتأثرون به سلباً أو إيجاباً، فقد حدثنا التاريخ أن الشرق الأقصى ممثلاً اليوم في أندونيسيا وسومطرة وماليزيا لم يعتنق أهله الإسلام بفصاحة الدعاة، ولا بسيف الغزاة، بل بأخلاق التجار وسلوكهم من أهل حضرموت وعمان، وذلك لما تعاملوا معهم بالصدق والأمانة والعدل والسماحة]^{1}.

والأخلاق أساس بقاء الأمم، فالأمة التي تنهار أخلاقها، يوشك أن ينهار كيانها، كما قال شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

فاحذروا من فساد الأخلاق، لأن ذلك يُفسد الإيمان، ويؤدي إلى الهلاك، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء/16.

[أمرهم بالطاعات، ففعلوا الفواحش، فاستحقوا العقوبة]^{2}.

هذه الفواحش هي كسرطان في الجسم [فإذا تورم الأفراد، وتحوّلوا إلى (قوارض اجتماعية) تلتهم الشبكة الاجتماعية، انحدر المجتمع صوب الفناء والموت، بنفس الآلية التي يموت فيها الأفراد]^{3}.

فالانحلال الأخلاقي إذا استمر، أفسد الإيمان، وأفسد جميع الروابط التي تربط أفراد المجتمع، ويبدأ كل شيء بالانحلال والفضوى، فقد يدخل المجتمع كله في موت سريري، ظاهره كائن موجود، وداخله كل الأجهزة معطلة، فلا ترابط، ولا محبة، ولا رحمة بين أفراد، لأن الانتهازية والأنا أصبحت هي سيدة الموقف. وبالتالي؛ تتفكك روابطه الاجتماعية، وتتحلل، حتى تصبح هذه الروابط ضعيفة

(١) - معالم الشخصية الإسلامية، ص14.

(٢) - مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص367.

(٣) - مخطط الانحدار وإعادة البناء: أ. د خالص جليبي، ص121.

واهنة كشبكة العنكبوت، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت/41.

نعم، يجب أن نعترف أمام أنفسنا أولاً، وأمام بعضنا البعض، بأننا في هذا الزمان، غابت أخلاق النبوة فيما بين المسلمين، إلا من رحم ربي، لقد غابت كثير من هذه الأخلاق في تعاملنا ومعاملتنا! في أقوالنا وأفعالنا.

لقد غابت هذه الأخلاق المحمدية في العلاقات الأسرية، واستبدلت بالخلافات والنزاعات والتناحرات حول قضايا ما أنزل الله بها من سلطان، فظهرت بيننا العداوة والبغضاء والمشاحنات، وذلك لأننا ابتعدنا عن ديننا، وعن تعاليمه، وابتعدنا عن التمسك بأخلاق النبوة، وأصبحت أنفسنا خربة، وقلوبنا خاوية، وترابطنا ضعيفاً واهناً.

تعالوا، ننظر إلى نسبة الجرائم.. والطلاق.. والانتحار.. والسرقا.. والاغتصاب.. والشذوذ الجنسي.. والمخدرات.. والمال الحرام.. الرشوة.. إنه الفساد بعينه.

لابد من التوقف والتفكير والتعقل.. لماذا هذا التناذر والأحقاد والتباعد بين الناس؟ لماذا انعدمت صلة الرحم بيننا؟ لماذا انهيار وتفكك الأسرة؟ لماذا انتهافت على الدنيا ومتاعها وزينتها؟ لماذا نطحن بعضنا البعض، ونصطاد عيوب الآخرين؟! لماذا أصبح أحدنا لا يسمع نصيحة أحد، ويعتبر رأيه هو الأصح؟ لماذا تضخمت الأنما، حتى أصبحت كالغول.

إن ضعف الخلق دليل على ضعف الإيمان، وذلك لأن بواعث الشر كبيرة في قلب هذا الإنسان، وفي قلبه يرتع الشيطان، ويلهيه عن عمل الخير لنفسه ولمجتمعه، ولا يستحيي من الناس... يحسد هذا... ويبغض هذا، وهو مسلم، لكن تصرفاته وأفعاله وسلوكياته تُشعرك بأنه غير سوي.

لقد سأل ﷺ أصحابه يوماً: ﴿أ تدرّون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له، ولا متاع، فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب

هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم، فطُرح عليه، ثم طُرح في النار ﴿1﴾.

انزع البواعث الشيطانية، وقوّ البواعث النورانية بقراءة القرآن، والسير على سُنّة رسول الله ﷺ، كي يكون لديك قلب يضيء بنور الله، لا قلبٌ ظاهره أخلاق وهمية وداخله السواد والكراهية والحقد والبغض، لا... إن القلب الكبير الرحيم يستمد قوّته من الله ﷻ، وهو -دائماً- يضيء لصاحبه الطريق، فلا فواصل بين عتمة الليل وضوء النهار... لا أفتعة نلبسها في النهار، ونزعاها في الليل.. الإسلام لا يقبل هذه الأفتعة المزيفة! المسلم هو هو في الليل والنهار، في خلوة مع نفسه.. في دائرته.. في بيته... في عمله. إنه النقاء والصفاء في السر والعلن، فلا تردد بين الحق والباطل.. كن إيجابياً، واحسم أمرك، كي تُقوّ نوازع الخير والحق في داخلك. لأن الإسلام حارب ذات اللسانين، وذات الوجهين، ويرفض الأفتعة.

عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: ﴿لأعلمن أقواماً من أمّتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة، فيجعلها الله هباء منثوراً، قال ثوبان: يا رسول الله: صفهم لنا، جلهم أن لا نكون منهم، ونحن لا نعلم، قال: أمّا إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله، انتهكوها﴾ {2}.

إذا؛ نحن أمام قضية أخلاقية، أليس كذلك؟ فهم يتعبّدون كما يتعبّد المسلم، لاحظوا معي ﴿يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبل تهامة...﴾ ما الذي حدث؟. جواب بسيط جداً ﴿ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله، انتهكوها﴾ لأن بواعث الشرّ والشهوة قد طغت على قلبه وعقله، وانطفأ معها لمعة النور. يُظهر للناس أعمالاً حسنة من صلاة وصيام وصدقة، ويخفي حقيقة الذنب الماكر! ما إن يختلي بمحارم الله من زوجة جار، أو امرأة ترعى أبنائها اليتامى وهو قادر على أن يتصدّق عليهم، ولكن؛ تأبى نفسه الدنيئة إلا أن ينتهك محارم الله.

(١) - رواه مسلم برقم (2581).

(٢) - رواه ابن ماجه.

يقسم بالله بأنه ما أراد إلا الإحسان وصلة الرحم والصدقة، ولكن الحقيقة أنه ذئب مخادع مكار... نفسه مريضة أمارة بالسوء... كاذبة.. في داخله مرض، عبث الشيطان به، وزاد مرتعه في قلبه، فيزداد رياءً ومكراً وخداعاً.

هذا نموذج لكثير ممن إرادتهم ورغبتهم وأهدافهم ماضية في الدناءة وقلة المروءة، لكن الله ﷻ لن يترك هؤلاء الناس، لا في الدنيا، ولا في الآخرة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ القمر/53.

وعنه قوله ﷺ: ﴿قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة﴾^{1}، فلا تتردد وتصبح من أهل الحق، لأن الصراع بين الحق والباطل على الأرض هي من السنن الكونية التي لن تنتهي إلا بنهاية الحياة على الأرض.

فأين أنت في هذا الصراع؟... أين موقع أسرتك.. أولادك.. جيرانك.. أهلك؟ هل ستقف تنفرج على هذا الانهيار الخُلقي السلوكي لابنك.. لابنتك.. لأهلك؟ هل أنا سأقف بهذه السلبية، مكتوف اليدين؟ هل أنت -أيها المعلمة- ستقفين على الحياد السلبي، وأنت تشاهدين السلوكيات السيئة لبعض الفتيات؟ أنت -أيها المدير- ألا تعرف ما قاله رسولنا محمد ﷺ: ﴿ما من عبد استرعاه الله رعيته، فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة﴾^{2}.

ليست الإدارة للمظاهر الخداعة، ولإظهار حبّ الأنا، هي مسؤولية أمام دولتك... مسؤولية أمام دائرتك! مسؤولية تجاه الناس... ومسؤولية اتجاه دينك.. هي أمانة في عنقك، ستُسأل عنها يوم القيامة أمام الله ﷻ، تعالوا، نتذكر معاً ماذا تعني هذه المقولة (الجزء من جنس العمل)، فكما تزرع يا أخي ستحصد، فكما تزرعين أيها الأم ستحصدين.. وأنت أيها المسؤول، وأنا.. وهو.. وهي.. وكلنا سنحصد ما زرعناه لأنفسنا ولأهلنا، حتى الأمم البائدة والسائدة تدخل في هذا المنطق (ذاقت ما قدمت)، فاحذروا الهلاك والبلاء، ولا تقولوا لماذا أصابنا هذا...؟!

(١) - صحيح ابن حبان: الحافظ محمد بن حبان التميمي.

(٢) - رواه البخاري برقم (7150).

احذروا الاستكبار وقطع الرحم. احذروا التناذب والشحناء والبغضاء، لأنها تجفف القلب من نور الله، فيصبح قاسياً صلباً.

إن الأفعال والأعمال السيئة التي لا ترضي الله تجتمع وتجتمع، إلى أن تنحرف البوصلة، لا سمح الله باتجاه آخر، فهذه الأفعال هي سبب الهلاك:

كما قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ 81 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة/ 81-82.

فالنتيجة بدأت تتضح صورتها فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ الشورى/ 30.

والمسؤولية تقع على كل فرد منا بصفة خاصة، كما قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصافات/ 24.

نعم، بهذا الفساد وهذه الذنوب يقع الإهلاك للأمم والمجتمعات، تتحلل القيم الأخلاقية والدينية، وتتغفن روابطها، عندها؛ تصبح هشّة ضعيفة، فتتكالب عليها الذئاب من كلّ حذب وصوب، وتصبح عاجزة عن تأمين الأمن والأمان والطمأنينة لأفراد مجتمعتها، لأنها ابتعدت عن أوامر الله ﷻ، وانتهكت حدود ما شرع الله ﷻ لها.

نعم، الله تعالى هو الحكيم، لذا؛ فقضاء الله نتيجة عادلة من قرار حكيم عادل، يدبر الأمر، من قبل، ومن بعد.

فالغفلة والمعصية والبغي والفساد من أسباب الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العنكبوت/ 36.

[لقد نهاهم عن العبث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها، والبغي على أهلها]^{1}.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم/ 41.

(١) - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص234.

الحذر من مخالفة أوامر الله ﷻ وأوامر رسوله محمد ﷺ، لأن غضب الله شديد، وعقوبته في الدنيا واضحة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور/63.

إن الحياة الضنكة من قلق وتشاؤم وهمٍّ وغمٍّ وقهرٍ وعدم الطمأنينة وقلة الأمن وعدم الاستقرار سببه الابتعاد عن منهج الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/124.

فكيف لا نشعر بالخوف! فلقد ابتعد الكثير من شبابنا... أولادنا... وبناتنا عن القرآن الكريم عن سنة رسول الرحمة ﷺ عن السلوك الأخلاقي، حتى بدأنا نقطع أرحامنا، ونرفض المعروف، ونرفض النصيحة، أصبحت الأنا في داخل كل واحد منا كبيرة كالغول! رأيه هو الصحيح والصائب!.

تعالوا، ننظر إلى عقوق الوالدين بين شباب هذه الأمة، أهو قليل؟ أم حالة استثنائية.. أم.. أم.. ماذا؟ لن أجيب.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق﴾ {1}.

البغي: مجاوزة الحد، سؤال برسم الإجابة! هل نحن تجاوزنا بعض الحدود التي فرضها الله علينا؟.. ألم نغض النظر عن تصرفات أولادنا الطائشة؟.. ألم نغض النظر عن المواقع الإباحية في الإنترنت... حتى استشرت الفاحشة.

✓ أوليس قوم صالح أهلكوا بالترف الزائد؟.

✓ أوليس قوم لوط أهلكوا بالفاحشة والفساد الأخلاقي؟.

✓ أوليس قوم عاد أهلكوا بالاستكبار والطغيان؟.

✓ أوليس قوم شعيب أهلكوا بنقص الميزان؟.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ العنكبوت/40.

(١) - رواه الحاكم، وصححه الألباني.

الآن: إمّا أن نفكر في ضبط سلوكنا الأخلاقي كما يرضاه الله ﷻ ورسوله ﷺ،
وإمّا أن نترك الفساد والانحيار الأخلاقي يزداد كالسيل العرم.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ هود/116.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود/117.
نحن نقرّ أن هناك مسلمين كثير يخافون الله ﷻ تراهم ركعاً سجداً.. هم في كامل السلوكيات الأخلاقية، ولكننا نحن نتحرّى عن أسباب الأزمة الأخلاقية بشكل عام في مجتمعنا العربي!.

وهذه هي بعض النماذج من واقعنا:

○ قد يسأل أحدهم السؤال التالي: إني مسلم، لكن نوازع الشر تطفئ على تصرفاتي، ما العمل؟، لا أحب أهلي، ولا أتقرب إلى أقربائي! دائماً في نزاع معهم!.

○ الآخر يقول: اسمع، الدنيا تتغيّر... بلا أخلاق.. بلا مروءة.. بلا فضائل.. كلام لا يهمّ الكثير من الشباب -بدنا نعيش- اللهم، إني أسألك نفسي.. ورأيي هو الصحيح، ولا أريد أن أسمع، لا نصائح، ولا آراء!.

○ الآخر يقول: إني بعيد عن العبادات. إني أعترف!... لأنني مغموس إلى أذني في الملاهي مع الأصدقاء.. هنا وهناك.. وقد تعلّمت منهم المخدرات و...! لكنني عندما أريد النوم، أريد الطمأنينة، تدمع عيني، وأشعر بضيق في نفسي، وكأن قلبي يهوي من علوّ! لا أعرف السبب! والدي لديه شركة، ولكنه بخيل جداً علينا.

○ الآخر يسأل السؤال التالي: أنا متعلّم، وأنهيت الجامعة، لا يوجد لدي عمل، أريد الزواج.. أنا شاب مسلم وأخلاقي، لكنّ أخاف على نفسي؟ لا زواج.. لا سكن.. لا حياة سعيدة! ما العمل؟، لقد خارت قواي وعزيمتي، أصبحت متشائماً! ما العمل؟.

○ آخر يسأل، ويقول: إنني من عائلة ميسورة، ولدي سيارة، وأخذ مالا كثيراً من أهلي، ولكن والدي ووالدتي مشغولان عني وعن إخوتي، همّهم كيف يزدون من شراء العقارات، وأنا لا أريد المال والجاه، أريد الحياة الهادئة والطمأنينة!.

○ أخرى تسأل: أنا فتاة جامعية، أخاف الله، عمري 29 سنة، لا أعمل، وكل أهلي مشغولون عني، أصلي، وأصلي، ولكن الوقت طويل. ما العمل؟ أنا في حالة اكتئاب شديد، أخاف من الوحدة.. أخاف من المستقبل!.

○ سؤال آخر: أنا شاب طموح، وأنهيتُ تعليمي، ومن بيئة فقيرة ومحافظة، لكنّ؛ يا أخي، الحياة قاسية، وبحاجة إلى شقة وسيارة وشركة، سأحاول أن أتزوج من ابنة هذا الغني..

○ شاب يقول: أنا صريح.. أُمي وأبي مُطلقان.. أنا تعبان.. أكره الزواج، لا أحد يعلمنا حتى كيف نتعبد الله... لا أحد يعلمنا كيف نقوم بالطهارة والوضوء؟ لا أعرف عن الحياة إلا المشاكل.. والمحاكم بين والديّ.

أبي متزوج، ولا يصرف على المنزل.. أُمي مريضة!.. لا أحد يقدم لنا العون الحقيقي، نريد أن نعرف من الذي يستطيع أن يقدم لنا العون الحقيقي؟ أجيبونا.. أرجوكم: من يسمع النداء.. من يسمع النداء؟.

هذا جزء بسيط من مشاكل الشباب، وقد يكون الأسوأ والأسوأ موجوداً!.

السؤال: ما العمل؟ هل نضعف؟... أم نقول ليس لي علاقة، ونطبّق المثل القائل ﴿كل واحد على دينه، الله يعينوه﴾!

نحن أمام انهيار أخلاقي وأزمة أخلاقية في مجتمعنا، هل صحيح؟ أم لا؟.

فإذا كان الجواب نعم.. نعم يوجد انهيار أخلاقي في مجتمعنا العربي، فما هي أسبابه؟.

ما هي الأسباب التي أدت

للانهيار الأخلاقي والاجتماعي في مجتمعنا

1. ابتعادنا عن الله ﷻ في كل أمورنا، وعدم اللجوء إليه، والتوكل عليه، فمن يبتعد عن منهج الله، يبتعد الله عنه، فيضعف الوازع الديني في داخله.
2. حبنا للدنيا وزينتها والمفاخرة وسيطرة الأنا، مع إطلاق عنان الشهوة والهوى دون أي اعتبار ديني، كثيراً من الناس يركّزون على أن غايتهم في الحياة هي اللذة والمفاخرة ولذة السعادة!.
3. دفع ذلك لطلب المزيد من المال والجاه، ممّا سهّل الاقتناع بسهولة بالتعاملات الربوية والرشوة والسرقة والسطو والمخدرات والمتاجرة بأعضاء الناس.
4. الوضع الاقتصادي العالمي والغلاء الفاحش قد يكون من العوامل المؤثرة.
5. تفاقم مشكلة البطالة والعاطلين عن العمل، حتى إن الجيل المتخرج منذ عدة سنوات من الصعب إيجاد فرص عمل له، إضافة إلى أن بعض الشباب والشابات قد يطلبون وظائف لا تناسبهم، فينتظرون، وينتظرون، إلى أن يفوت بهم القطار، وحتى لو تمّ التوظيف، فالمعاشات قد لا تكون تقي بالحد الأدنى من المعيشة.
6. شباب بلا عمل... أوقات مشتتة.. الفراغ؟، هذا الفراغ القاتل مع عدم العمل لا مجال سيُستهلك في أمور خطيرة.
7. صحبة سيئة عاطلة لا عمل لها سوى إضاعة مال أهلها، وإضاعة الوقت بالنميمة والشتيمة.. إضاعة الوقت في الإنترنت ساعات وساعات، فترى الشباب والفتيات ينامون قبل الفجر إلى المغرب منهكين من من؟... من متابعة الإنترنت والتشات، إضافة إلى تخويف الأمنين على الطرقات، وقد يزداد الأمر سوءاً، فيفكّروا بالسرقات، فالمخدرات، فالقتل، أي من أسوأ إلى أسوأ، ممّا يؤدي إلى الانهيار الأخلاقي، وتردي السلوكيات إلى البهيمية، ومنهم من يدخل في مرحلة الضياع النفسي والإحباط والقلق والتوتر، إلى أن تصل الحالة إلى الانتحار.

8. إن نسبة الطلاق قد ارتفعت ارتفاعاً غير طبيعي، أليس كذلك؟ هذا التفكك الأسري بين الأم والأب سينعكس حتماً على الأولاد، على تربيته ونشأتهم، فلا أب يعظ، ولا أم تعظ أولادها، فتراهم في المحاكم، فتنتج هذه الأسرة جيلاً واهناً متعباً من القيل والقال، ومن عدم رغبته بالزواج، من عدم حبه للعمل، من عدم تطلّعه وتفاؤله لمستقبله، أتعرفون نسبة هؤلاء؟ واللّهُ، إنها لكبيرة جداً.

9. إن عموم الشباب والشابات -وبسبب الغلاء الفاحش وقلة الوظائف وقلة الوعي الديني لديهم- ينحرفون رويداً رويداً عن جادة الصواب، فتسمع أن فلاناً وفلانة قد تزوّجا زوجاً عريضاً، والآخر اغتصب هذه، وتلك هربت مع هذا والمساكنة.

10. قلة وجود الجمعيات -التابعة للمجتمع الأهلي- الفاعلة، تساعد أفرادها على حلّ بعض المشاكل الاجتماعية والأخلاقية بالفعل وبالقول، ولو بالحد الأدنى! فالمشكلة تكون صغيرة، فإن تُركت، كبرت، وأصبحت أزمة، بل أزمت: بطالة - فقر - فساد - طلاق - مخدرات - شذوذ جنسي - رشوة - ظلم - انتهاك الكرامة - قطع صلة رحم - وهن - إحباط - توتر - قلق - انتحار.

11. البثّ الإعلاني والإعلامي الموجه لهذه الأمة بالتحديد (الناطقين باللغة العربية)، وعمل غسيل دماغ للشباب، فهناك عشرات المحطات، منها خاصة لإشعال النعرات الطائفية والمذهبية! ومنها لإظهار المشعوذين والعرافين! ومنها من يبيث المواد الخليعة المأجنة! ومنها من يبيث سمومه هنا وهناك، في كل مكان، لماذا؟ علينا أن نتعلّم أن نسأل لماذا هذا؟ من الذي يقوم بهذا؟ ولماذا؟ الجواب بكلمة واحدة، لهدم أخلاقنا، عندها؛ تنهدّم كل القيم التي نحملها...

12. دور المدرسة يتضاءل أكثر، فأكثر! لعدم وجود تفاعل بين دور المؤسسة التعليمية والطلاب عن طريق المتابعة التحضيرية، ومتابعة مشاكل الشباب، والاتصال بالأهل لمساعدتهم، وللرفع من سوية الطالب السلوكية بأسلوب يرتاح له هذا الطالب، دون عقاب. مع ملاحظة هامة هي عدم تقبّل الآخر النصيح والإرشاد، فالكلّ يعتقد أنه هو على صواب.

13. العدل... فكلما كانت الرشوة والمحسوبية في أي مجتمع يكون ميزان العدل في تأرجح شديد، ممّا يؤدي إلى ضياع الحقوق، وازدياد الظلم والجور.

14. ظهور المخدرات والحبوب المنشّطة بكميّات هائلة، ممّا يدل على وجود عصابات بحاجة إلى قمعها وبترها، فهي تحمل معول الهدم في هذه الأمة. هذه بعض الأسباب -التي حاولتُ أن أضعها بين أيديكم- أدت إلى ازدياد الانهيار الأخلاقي والسلوكي من كافة جوانبه، حتى إن بعض الشباب كأنهم غناء السيل، اقتنعوا بالهزيمة الفكرية والنفسية، اقتنعوا بالفشل وعدم الرغبة بالعمل. اقتنعوا بحياتهم التي ليس لها معنى، لا زواج، ولا أسرة متماسكة، ولا عمل، ولا مصروف... إحباط، وخوف، فانهيار نفسي، فالهزيمة في كل شيء، ممّا يُضعف الإرادة، ويشلّها عن الحركة، فيصبح متشائمًا، فلا رغبة في العمل، وتموت فيه روح التفاؤل والنشاط.

وهنا؛ تزداد المشكلة، لأنه مُعرّض للانحراف بشدة، وأكثر، فتراه حاقداً حاسداً للناس، يكره النجاح للآخرين، فيدخل مرحلة خوار الهمة والإرادة، وهي الهزيمة النفسية الكاملة.

علينا أن نعترف أن هناك جانباً مظلماً دامساً، فمن يقول نعم، فليتابعنا، وليكمل الطريق معنا، رجاءً.. أحبائي.. أهلي.. إختوتي.. أولادي.. إلى الناس، كل الناس كبيرهم.. صغيرهم.

هل اتفقنا على هذه الأسباب أو بعضها التي أدّت إلى هذا الانهيار الأخلاقي؟
هل هذه المشاكل قائمة! موجودة! حقيقية؟! نعم.. نعم.. نعم.

إذا؛ المشكلة ومسبباتها قد عرفناها.. ما هو العلاج.. ما هو العلاج؟ لن يكون العلاج بإعطاء مضاد حيوي قليل الفاعلية، ولا إعطاء مسكنات ليوم ويومين.

العلاج يكمن في تضافر جهود جبّارة من أجهزة الدولة، ومن الجمعيات الأهلية -المجتمع الأهلي- ومن كل فرد من أفراد المجتمع شبابه وشيابه، الكل له دور هام.. الكل إيجابي -الكل يؤثّر ومؤثّر- الكل يؤيّد البناء، وإعادة اللحمة بين أبناء المجتمع الواحد، الكل له حقوق، وعليه واجبات، تعالوا، نشحذ الهمة لإعادة الجسور والروابط الاجتماعية الأخلاقية... الكل له رأي.. الكل يسمع رأيه، والرأي الآخر..

الخطأ والاعوجاج يُصححان... الكل للعمل والبناء، عندها؛ تعود هذه الشبكة الاجتماعية، وهذا النسيج الرائع إلى العمل واللحمة، وإلى السمو والأخلاق. عندها؛ نقول إننا كلنا نحب بلدنا... كلنا نحب أرضنا... لا للتخوين، لا للتفرقة.

لا للعنصرية، بل للعيش المشترك والمحبة والتعاون وإعادة الثقة. تعالوا معاً نفكر كيف نغير سلوكنا، ونحدد أهدافنا، كيف نغير أفكارنا؟.. كيف نبني ولا نهدم؟.. كيف نؤثر ونتأثر؟.. كيف نحفز بعضنا، وأن نكون كالبنيان المرصوص؟ الكل ذو أهمية، ولا يجوز أن نكون كأصحاب هذه القصة. قصة الملك الذي أحب أن يختبر محبة شعبه له، بأن نصب في الميدان العام للبلد حوضاً كبيراً، وطلب من كل فرد عربوناً لحيه قدحاً صغيراً من العسل، وفي اليوم التالي، كان الحوض فارغاً، لأن كل واحد فكر بنفس الطريقة (وما الذي سيؤثر في الوعاء الكبير بأن ينقص منه قدحي الصغير).

إذاً؛ علينا بالأثرة والمحبة والرحمة وإصلاح ذات البين، لإعادة اللحمة والروابط لهذه الشبكة الاجتماعية الأخلاقية.

عندها؛ نفهم إنسانية الإنسان، فلا طائفية، ولا عصبية، عندها؛ نعي كيف نؤدي واجبنا اتجاه الآخر، ونطالب بحقوقنا، وهذا هو معيار التوازن بين الحقوق والواجبات... أن نعرف ما علينا، وما لنا. عندها؛ تنشأ شبكة اجتماعية إنسانية بكل أطياف المجتمع.

قرار التغيير بيدك

1- قانون ربّاني؛ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

الرعد/11.

التغيير لا بد أن يبدأ من الداخل، بقرار منك أنت.

○ قم، انفضّ عن نفسك غبار الكسل والقلق والهزيمة، أنت المسؤول عن نفسك.

○ قومي، وابتعدي عن القيل والقال وحب الثثرة، وتصالحي مع نفسك، يصطّلع زوجك، وتصطّلع أسرّتك، فأنت المسؤولة عن وضعك.

○ قم، وانفضّ عن نفسك، وأنزل ما عليها من أثقال الهموم، لقد أتعبك حملها هموم.. هموم.. قلق، فأنت المسؤول عن حالك، قررّ بسرعة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ المدثر/38.

○ هو وضعك وإرادتك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام/164.

أصدق الله في هذا التغيير الذي من أهم مبادئه وقواعده تغيير ما يدور في خاطرك من أفكار، صمّم على ذلك بالعمل والفعل، لا بالقول، كما قال الله ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ 2 ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف/2-3.

فإذا عزمّت، فتوكّل على الله، واحذر التباطؤ والتأجيل والتسويف، فذلك يكرهه الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة/46.

ماذا فعل الله بهم؟ ثبّطهم.. فهل تريد أن تتثبّط.. أن تكون مهزوماً من داخلك؟ أم قوياً نشيطاً صاحب همّة وتفاؤل؟.

2- مبدأ هام للتغيير؛ ابدأ بالعمل، وتحرك على هدف التغيير بعزيمة وثبات وتصميم واضح. تكلم، وتحذّث مع نفسك، وحاسبها، وانتفضّ عليها، خاصمها..

اهجرها.. قل لها أنت السبب فيما يحدث لي، ابدأ بتغيير داخلك، قال تعالى:
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ {9} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ الشمس/9-10.

قرار التغيير في عقلك.. في خاطرك.. في أفكارك، عليك أنت أن تقود نفسك،
وتتفوق عليها، لا أن تقودك هي.

والله ﷻ أعطى الإنسان قدرة هائلة على التكيف والتغيير، فالعزيمة والإرادة
الداخلية فينا تدفعنا إلى هذا التغيير للأحسن، فأنت قوي، أنت مؤمن بالله، تعالوا
نقرأ حديثاً هاماً في هذا المجال. عنه ﷺ قال: ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله
من المؤمن الضعيف، وفي كل خير﴾ {1}.

اشحن عقلك بأفكار خلاقة مبدعة وإيمانية، بأن التغيير قد دبّ فيك،
ستلاحظ التغيير قد بدأ، كرر هذه الإشارات يومياً، فالعودة إلى الله تعالى خالق الكون
كله.. خالق الإنسان.. فكر بأسمائه وصفاته، اعبده، فهو المعبود الوحيد الذي علينا أن
نعبده، وتوكل وفوض أمرك لله ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الطلاق/1.

الالتجاء إليه، والتضرع له، ودمعة تذرفها آخر الليل، اطلب من الله كل شيء،
فهو لا يردك خائباً. أسأل الله ما يحلو لك، مهما كنت مذنباً، فالتوبة مفتوحة
ومقبولة، شرط عدم الرجوع إلى الذنب، والإنابة إلى الله، وسيكون التغيير وتحديد
البوصلة قد بدأ، فأنت قوي، ما دمت مؤمناً بالله تعالى.

إن كنت تريد الهدوء والطمأنينة، إن كنت تريد الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة،
إن كنت تريد العزة، تريد الرضا.. تريد القوة.. تريد ما تريد، عليك بالتقرب إلى الله،
والدعاء له، واستمسك بالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء/9.

لا بد من العودة إلى سنة رسول الله. عنه ﷺ: ﴿كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من
أبى﴾، قالوا: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: من أطاعني، دخل الجنة، ومن عصاني،
فقد أبى﴾ {2}.

(١) - صحيح مسلم رقم (2664).

(٢) - رواه البخاري برقم (7280).

لا بد من أن تكون متوازناً وسطياً معتدلاً، واحذر من التهور والانحراف المتطرف.

إذاً؛ أهم مبادئ التغيير إعادة الصلة بالله، والدأب على الشحن الروحي، لأخذ الطاقة هي أهم الأولويات، والمحور الأساسي لكل الأهداف، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ محمد/17.

وأبدأ بالتفكير المستقيم، اعرف البداية والنهاية، إلى أين؟.

1- ضع بين عينيك أمانة الله في عنقك:

○ أسرتك هي أمانة الله عندك، حافظ عليها، صحح العلاقة مع زوجتك.

○ أولادك هم أمانة الله عندك، فأنت راع للأسرة، وأنت المسؤول عنها .

○ عملك هو أمانة عندك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال/29.

○ أهلك، أقاربك، وجيرانك هم أمانة عندك، بصلة الرحم، بالأمر بالمعروف، هذا اليتيم الجائع هو أمانة، كي تطعمه، وتكسيه.

هذا المفهوم للأمانة ينمي فيك العلاقات الإنسانية، وتصبح أكثر ميلاً للتغيير للأحسن ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت/69.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ النساء/28.

2- الصحبة والصدقة: فالشباب المؤمن بالله، ويخاف الله دائماً، هو في ذكر

وعبادة، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف/28.

○ التأثير الإيجابي بين الأصدقاء، وتدارسهم في محاولة للتغيير للأفضل في سلوكهم وأخلاقهم.

فقد خرج رسول الله ﷺ، على حلقة من الصحابة، فقال: ﴿ما أجلسكم؟﴾ قالوا: جلسنا نذكر الله، ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا، قال الله ما أجلسكم

إلا ذاك، قالوا: واللّه، ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل، فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة {1}.

○ لأن من أخطر عوامل الانحراف رفاق السوء، فاحذروا، يا بني، أن تتعامل معهم، التق مع الصحبة الطيبة التي تخاف الله، واحذروا من بعض الصحبة التي تشعر في نفسك أن وراء هذه الصحبة جمعيات سرية، أو أحزاباً سرية، احذروا، يا ولدي، احذروا، يا ولدي، ابتعدوا عنهم فوراً، فمنهم باسم الدين، يتقربون إليك، ولكنهم يسعون إلى أغراضهم الخاصة، ابتعدوا عنهم، وابتعدوا عن المخدرات، فباسم الزمالة والصدقة يقول لك اشرب، وانس همك، احذروا، يا ولدي، فهي السم القاتل.

○ بشأن الوضع الاقتصادي العالمي وانعكاسه على المجتمعات كلها، أقول لا بد من تضافر جهود الدولة مع الشعب، فالدولة عليها تأمين الطبابة والتأمين الصحي من مشايخ ومستوصفات وطرح السلع التموينية والمعيشية من مأكّل ومشرب وملبس بأسعار منافسة، وبأقل ما يمكن، ومراقبة أسعار السلع التي يطرحها التجار.

أما أنا وأنت وهي وهو؛ فكل رب أسرة عليه أن يفكر بصدق، وعزم، وإقبال، لا إدبار، على التفكير بهذه الأسئلة.

كوني مسلماً مؤمناً بالله واليوم الآخر، فأنا لا أسرق، ولا أرتشي، ولا أزور، ولا أنهب، ماذا عليّ أن أفعل؟ وأعمل، ولدي أسرة كبيرة، ولا أحد يساعدني؟.

علينا أن نفكر ونميز بين المهم والأهم في كل شيء، فهنا تكمن إدارة الحياة بالتركيز على الأهم، فمثلاً:

أن نفكر بتنظيم المصروفات، وإلغاء الثانوي من الحاجات والسلع، واستبداله بالأهم أولاً، والضروري في كل شيء، وكذلك في المأكّل والملبس.

أسرة تملك سيارة، من الممكن القيام بنزهة كل ثلاثة أيام مع الأهل، بدل كل يوم، وهكذا الاقتصاد في المصروف قدر المستطاع. مع إدخال الحب والبهجة والسرور للأسرة، وعدم إدخال الرعب والذعر بسبب الحالة الاقتصادية التي قد تسوء على كل مستوى العالم. وكذلك إلغاء المصروفات الهامشية، جوال للولد، وجوال للبنات، وجوال للأم، وجوال للأب... إلخ، وكذلك في الكهرباء والماء... إلخ.

(١) - رواه مسلم برقم (2701).

○ نمط استقبال الضيوف يجب أن يتغير، فأيام العزائم والولائم ولّت، الآن يجب أن يقتصر على الضيافة البسيطة، ولا مانع إن كان بالإمكان إيجاد عمل إضافي بسيط، يساعد في استمرار الحياة، فهذا الأمر مهم الآن، والمستقبل الأسرة، وهو من الأولويات الهامة للعائلة.

3- بشأن البطالة التي تفاقمت على مستوى العالم أجمع، لا ننكر بأن هذا الأمر من مسؤولية الدول، بإيجاد فرص عمل لهؤلاء الشباب، وخاصة ذوي الشهادات الجامعية، لكن؛ لست هنا لأقوم بالتنظير صراحة! الفكرة هي الإنسان وأخلاقه، لا تكن عنصراً خاملاً، كن عنصراً فعالاً بالمجتمع.

البطالة وعدم العمل هي من أهم أسباب الانحراف، فيجب أن يكون الشباب كلهم مشغولين، يعملون بأي عمل، المهم، لا يجوز أن تكون الحياة فراغاً بفراغ، لأن الفراغ يؤلّد حالة إحباط شديدة، وقلقاً واكتئاباً شديدين.

ابدأ بالاهتمام بالوقت، ابدأ بعمل برنامج رياضي بسيط لك، أو سفر لمدينة أخرى، تستفيد في ذلك تغييراً نمطياً، وقد تجد الفرصة للعمل. نعم، كثير من الشباب عاطلون عن العمل، ويحملون شهادات جامعية، ما العمل؟ الجواب يقول أحدهم: العمل عمل ربنا، بأسلوب استهزائي، والآخر يلعن، ويشتم، أنا شهادتي كذا وكذا، والآخر يريد فرصة أفضل! بل يريد أن يكون مسؤولاً! أيها الشباب الأحباء، أجمل وأحلى زينة الدنيا أنتم، وأجمل ما فيكم القوة والعزة، ولكن؛ أحيائي، لماذا ندور في حلقة مفرغة؟.

العمر يمضي، ويمضي، والأجيال تتعاقب بسرعة، والشهادات كثرت، أليس صحيحاً؟ أم لا؟، مَنْ أراد أن يفكر إيجابياً، عليه أن يفكر بعدة خيارات بعقلانية، ويضع الأولويات الأهم، وأن ينظّم وقته، فأرض الله واسعة. تحرك، تحرك، لا للسكون، لا للعجز.. لا للعجز.. لا للعجز... وتدبر قول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ الملك/15.

علينا أن نفكر، ونضع أهدافاً قريبة وبعيدة، لحلّ هذه المشاكل، ونفاضل في الخيارات المتاحة.

فمثلاً يجب أن أعمل، ولو عملاً مؤقتاً، أحصل على مصروفي، أفضل من أن أكون عالة على الأهل، فهذا من الأولويات الضرورية والمستعجلة.

مهما كان العمل المتوقّر، ولو بغير اختصاصي، أو قريب منه، فلا مانع، فهو درجة للبدء في الصعود، لدرجة أعلى.

بعض الأصدقاء، وبأفكار خلاقية وتصور عقلائي، يستطيعون عمل مشروع صغير، برأس مال بسيط، حاول أن تستشير أصحاب الخبرة.

مثال: شباب من لبنان عاطلون عن العمل. بدأت الفكرة بأن اشتروا درّاجات نارية، وأعلنوا في الصحف، [بخمسة دقائق، نغسل سيارتك، أينما كنت] فيمكاملة هاتفية صغيرة، يذهبون إليه، ويغسلون السيارة بأجر جيد، مجموعات من الشباب في كل الأحياء؟! مردود مادي جيد - عمل جيد - تنظيم للوقت..

○ قد لا أجد عملاً يناسب تخصصي؟! ولكن؛ هناك شركة من الممكن العمل فيها ليلاً، لماذا لا؟! لحين إيجاد فرصة أخرى.

○ سمعتُ وقرأتُ عن فرص عمل في دول مجاورة، أحاول.. أتتبع الأمر، لعل الله تعالى يهديني، طالما أنني مؤمن بالله، وأفكر بعقلي، ودائم البحث، فإن الله ﷻ سيهديني إلى وظيفة، تليق بي، وبشهادتي، أرسل (CV) إلى كل من تعرفه، إلى كل العناوين الموجودة، إلى كل الشركات، سيأتيك الرد، لا محالة.

○ فتاة معها شهادة... لا يوجد عمل...!، اعملي، ولو سكرتيرية، ولو موظفة بسيطة.

السؤال الهام لهؤلاء الشباب، الشهادات موجودة.... جزاكم الله خيراً، والمعدلات مقبولة وجيدة، بরাڤو!.

هل يعني أن الدنيا توقفت، العلم انتهى، هناك الدورات التعليمية والتدريبية في كل المجالات: الإدارية والمحاسبة واللغات والكمبيوتر... إلخ، تعالوا معاً، ندخل هذه الدورات، فهي عنصر هام من عناصر أدوات التغيير.

نصقل مواهبنا، ونفكر إيجابياً، وعلينا بأن نحدّد ما نريد في داخلنا! ما هي أهدافنا المهمة، وما هي الأولويات؟، كيف باستطاعتنا أن نعمل شيئاً ما، ونسعد به، إذا انتصرنا، وحققنا بعض أهدافنا، يجب علينا أن نطمح للعمل بطريقة عصرية،

مثلاً التسويق الإلكتروني، مندوب مبيعات، مسؤول مشتريات، مدير تسويق، حتى ولو كان الشاب طبيباً، ولظروف ما لا يعمل... باستطاعته العمل في الشركات الطبية، أي كل إنسان في داخله نوازع الخير، تحثه على العطاء، ويريد أن يعطي.. أن يتعلم.. أن يكون إنساناً فاعلاً في المجتمع، بإذن الله، سوف ينجح.. أبنائي، كونوا كلكم أرقاماً صعبة، بعقول منفتحة، اقتبسوا العلم بعقلية ذكية، الفرص قادمة، بإذن الله، وبعد التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه.. المهم ابدأ.. ابدأ.. ابدأ.. (واستعن بالله، ولا تعجز)، اجعل هدفاً في حياتك واضحاً، واطمح لتحقيقه، واحذر من التواكل والركون واللامبالاة، إن الله أعطانا حرية الاختيار والتصرف.

احذر من الغفلة الدينية، فتضيع دنياك وآخرتك، فأنت مسلم، والله يحب المؤمن القوي، فكُن واثق النفس، لا تسمح للقلق يدخل صدرك! لا تسمح لشخص ما أن يسبب في انهيارك، لأنه هو المهزوم، ويريدك مثله. ابتعد عنه فوراً. فهؤلاء من ثقافة الانكفاء، وشعارهم (ما دخلنا)، كُن متفائلاً، بإذن الله، ستجد العمل، وستجد - لاحقاً - الزوجة والشريكة التي تناسبك، أو التي يناسبك، يا ابنتي، دائماً، ضعوا التفاؤل نصب أعينكم، وابتعدوا عن التشاؤم.

دائماً قلبنا مع الله تعالى، عقلنا يفكر. دائماً ضميرنا صاح، لا ينام، دائماً نعرف الحلال، ونطلبه، ودائماً نعرف الحرام، ونبتعد عنه، فسيكون الله معنا كلنا، بإذن الله في كل أمورنا، والتغيير سيظهر علينا، وعلى أفكارنا وعقولنا، سيظهر على سلوكياتنا وأخلاقنا سيظهر على كل المستويات، والناس عندها ينظرون إلينا باحترام وتقدير، ونكون نحن قدوة المجتمع في هذا، بالتغيير السلوكي والأخلاقي والفكري.

4- هذا التغيير هو دائم ومستمر، فلتحاول أن ترسم خطوطه على ورقة، وتضع برنامجاً صغيراً، يومياً وأسبوعياً وشهرياً، للأولويات، فلا تردد، ولا وهن، ولا عجز، ولا قلق.

عندها؛ تمتلك الطاقة النورانية من الله ﷻ، وتمتلك الفكرة المبدعة، عندها؛ تشعر بأنك واثق من نفسك... تمتلك السيطرة عليها، عندها؛ تكون إنساناً إيجابياً، ومحفزاً للآخرين، معطاء لهم.

عندها؛ تعرف كيف تدير حياتك كلها، فإرادة الحياة تتحقق غايتها بمعرفة الله ﷻ، وبتطبيق شرعه، وبالتخلق بأخلاق نبي الرحمة ﷺ أن تتعلم ثقافة قبول الآخر، وتكون معطاء للآخرين. هذه الرسالة يجب أن تعيش من أجلها، وتتمحور حولها كل أهدافك، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ المطففين/26. أي قم بتوسيع دائرة اهتمامك للآخرين، تكن من أهل الإحسان والمعروف، فكما قلنا سابقاً إن الروابط بين أبناء المجتمع في التحلل والتعفن، حتى إن الأسرة الواحدة أصابها الوهن والتمزق. فعلينا جميعاً أن نمد يد العون لهم بالإمكانات المتاحة، وإعادة الوصل الاجتماعي والتواصل.

زيادة ربط مشاكل المجتمع بالجمعيات الأهلية (المجتمع الأهلي)، حيث ازدادت -في الآونة الأخيرة- نسبة الطلاق، لدرجة تدعو إلى الاستغراب، ما الذي يحدث؟ ما الذي أدى إلى تمزق الأسرة وضياع الأولاد وضياع الحقوق والواجبات بين الأم والأب؟ إنها المناوشات والقبل والقال والمحاكم وتأخرها عن إصدار الحكم. هذا التفكك يجعل الأرض خصبة للأوبئة الاجتماعية من فساد الأخلاق والشذوذ والسرقة والاحتيال، فرقابة الأب والأم للأولاد، وتربيتهم، له تأثير كبير على سلوك الأولاد، وعدم وجود الرقابة هنا تتفاقم المشكلة، وهنا تلعب الجمعيات الإنسانية والمجتمع الأهلي دوراً هاماً وفاعلاً في إعادة التوازن، ولو بشكل بسيط، شرط أن تكون هذه الجمعيات فاعلة بالقول والفعل، ولها مساندة من قبل الدولة ورجال الأعمال وأهل الخير والمحامين وأهل الدين، عندها، نقدم فوائد عظيمة للمجتمع، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة/2.

وخاصة إذا وزعت نشاطها بين المادي والمعنوي والنفسي والصحي والسلوكي لأفراد المجتمع عامة، والعناية الخاصة بالأسرة، وإصلاح بين الأزواج، وعمل برامج تطويرية، ونشر القواعد الخاصة في تنمية العلاقات الاجتماعية والأسرية، وبرامج خاصة تحث على الزواج، ومساعدة الشباب مادياً ومعنوياً، ومتابعة أحوالهم لسنة كاملة مثلاً.

فإذا قمت أنت بهذه المهمة، وأنت بهذه الفكرة، وهو بالمال، والمحامي بالإصلاح، والمدرس للتعليم، والطبيب للمساعدة، أسألكم بالله: ألا نكون قد حمينا أهلنا

ووطننا وبلدنا من الفساد والانحيار الأخلاقي والاجتماعي، فمن لديه فكرة، فليبدأ بإيجاد مَنْ يقف معه، لتنفيذها، والفكرة تظل فكرة، إن لم يكن باعث يحركها، وتتحول إلى عمل صالح، يرضاه الله ورسوله، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ المؤمنون/61.

اقرؤوا معي بتمعن حديث رسول الله ﷺ، ويتضمن منهاجاً واضحاً للمسلم، في تعامله، مع نفسه، ومع الآخر، من أجل إعادة اللحمة الاجتماعية في المجتمع.

يقول ﷺ: ﴿مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مَعْسَرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً، يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارِسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشَّتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ﴾ {1}.

○ فمثلاً فكرة بسيطة: فكرة إنشاء لجان ضمن أحياء المدينة ﴿أي لجنة لكل حي﴾، مؤلفة من خمسة رجال (دعونا نسميها لجان الأحياء الاجتماعية).

الرجل الأول: هو شخص ذو قيمة اجتماعية ودينية معتبرة: أي له رأي مسموع، بمعنى من وجهاء الحارة -كبير الحارة- مطاع لعمره ودينه.

الرجل الثاني: رجل صاحب شأن وتأثير مادي، أي صاحب شركة - أو موظف ذو مركز قيادي، يستطيع أن يحلّ ويربط، ومن صفاته الكرم والجود، وحبّ الخير.

الرجل الثالث: صاحب خبرة في مجال العلاقات الاجتماعية، محامي - طبيب - مدرّس - متفهم للأمور الاجتماعية - صاحب رأي - صاحب تأثير وإقناع.

الأفضل امرأة واحدة، أو اثنتان، متعلّمة - تعرف أحوال المجتمع، ذات تأثير اجتماعي ومسموعة الكلمة.

لو اجتمع هؤلاء لحل أي قضية في الحي، وخاصة القضايا الاجتماعية، وبين الأسرة الواحدة، أو بين أفراد المجتمع، ضمن الحي، لنجحوا نجاحاً باهراً،

(١) - رواه مسلم برقم (2699).

وَقَلَّتْ نسبة الطلاق، والسرقَة، والزنا، وكل شيء، وبذلك تكون الصلّات بين أفراد المجتمع قد تحسّنت، وتفاعلت، وعادت اللحمة والمحبة بينهم.

حتى بشأن إنشاء مشاريع صغيرة، وقد يمولّها رجال الأعمال، هذه المشاريع الصغيرة قد تساعد أسرة، بالحفاظ على تماسكها، وعدم انهيارها، ما أجمل التكافل الاجتماعي، وتكامله.

هذا هو إسلامنا، هذا هو مجتمعا، هذه هي بلدنا، لست أفلاطونياً، وأحب المدن الفاضلة، لا، لكن؛ لا محال علينا أن نفكر معاً ونقرر معاً، ونعمل معاً، من أجل بلدنا، من أجلنا كلنا، لنجعل شعارنا قول رسول الله ﷺ ﴿المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، مَنْ كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه بها كربة من كُرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة﴾^{1}.

○ الظلم -للأسف- قد قويت شوكته، نعم، انتشر على كل المستويات، وخاصة بعد الأزمة الاقتصادية. قال رسول الله ﷺ: ﴿أيها الناس ﴿إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها﴾^{2}.

وعنه ﷺ: ﴿اتَّقُوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة﴾^{3}.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ الطلاق/1.

ما أروع كلمات رسولنا الكريم ﷺ في حجة الوداع ﴿فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام﴾، والقاضي الذي يعلم الحق، ثم يقضي بخلافه ظالم، والذي يقضي بجهل ظالم. وقال ﷺ: ﴿القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة، فرجل عرف الحق، فقضى به، ورجل عرف الحق، فجار في الحكم، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل، فهو في النار﴾^{4}.

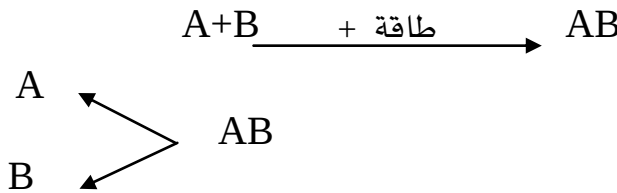
(١) - رواه البخاري برقم (2442).

(٢) - رواه مسلم برقم (1688).

(٣) - رواه مسلم برقم (2578) جزء من الحديث.

(٤) - أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

إن جريمة الظلم جريمة عظيمة. وعنه ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ﴿يا عبادي، إني حرّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا﴾^{1}، فعلينا أن نعرف حقوقنا، وأن نقوم بواجبنا اتجاه خالقنا ووطننا وأسررتنا. ○ أمّا بشأن التوجيه الإعلاني والإعلامي العالمي ضدنا وضد مبادئنا الأخلاقية؛ فما برح الأعداء يقذفون الحق بالباطل، من كل حذب وصوب. هم يعرفون ويعلمون أن انهيار المجتمع يبدأ من تفكّكه أخلاقياً وسلوكياً، كالمعادلة الرياضية أو الكيميائية:



عملية الهدم عملية سريعة، على عكس عملية البناء، فهم يزرعون اللامبالاة والوهن في عقول شباب الأمة... يبتئون الرذيلة والفحشاء والمنكر... لماذا؟ لماذا؟ لأنهم يعلمون أن هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس.

روى الإمام أبو داود عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿توشك الأمم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة على قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن﴾، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت، وفي رواية أخرى، حب الحياة، وكراهية الموت^{2}. لهذا؛ علينا أن لا نكون غافلين وجاهلين! بل نحن أصحاب حق، نعرف الحق، نعرف الخير من الشر، علينا الانتباه من هذا الغزو الفكري والإعلامي المبرمج. علينا أن نصحّ سلوكنا الأخلاقي بالتدريج، وبهدوء، ودون انفعال، فعلينا أن نعيد ونرتّب سلوكنا الأخلاقي، ويكون قدوتنا رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ

(١) - أخرجه مسلم برقم (2577) جزء من الحديث.

(٢) - رواه أبو داود في سننه.

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
الأحزاب/21.

فتعالوا معاً نمسك كلنا بأيدي بعض، ونبدأ السير في بناء سلوكنا الأخلاقي،
فلا يأس ولا قنوط من رحمة الله.
إذاً؛ بدأنا نفكر بطريقة التغيير، إلى الأفضل، إلى الاستقامة، إلى الأخلاق
الحميدة، أليس كذلك؟.

مَنْ هُوَ قَائِدُ هَذِهِ الْحُلُولِ مَنْ هُوَ مُلْهِمُ هَذِهِ الْأُمَّةِ

أنا بصفتي الشخصية سأقول أنا الآخر سيقول لا، لا، بل أنا! وهي تقول
ولماذا لستُ أنا؟! وهناك الرجل واقف يرفع يده، ويقول أنا الأحسن، أنا لها!.

إذاً؛ نحن نريد قائداً ملهماً، نتأسى به، وبأفعاله، وتصرفاته، وصفاته: القيادة
- الحكمة - الورع - العطاء - الأمانة - ثاقب النظرة - قوي - شهم - كريم -
رحيم لهذه الأمة، مَنْ هُوَ..؟ لا أحد يجيب... انخفضت الأيدي..!
كانت مرتفعة، ما بكم..؟ انخفضت الأصوات! كانت عالية، ما بكم؟ الكل اتجه إلى
صاحب هذه الصفات، نعم، أنا وأنت وهو وهي عرفنا مَنْ الذي يحمل هذه
الصفات، هو مُلْهِمُ الْأُمَّةِ، هو ﴿الرحمة المهداة﴾ رسول الله ﷺ.

الرحمة المهداة

نعم، إنه النور الذي به هداانا الله للإسلام، إنه صاحب الرسالة العظيمة الذي قال عنه ربّ العزّة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/4. شهادة من الله ﷻ لرسول الرحمة ﷺ. [يعجز كل قلم، ويعجز كل تصوّر، عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود، هي شهادة من الله في ميزان الله، لعبد الله، يقول له فيها ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/4. ومدلول الخلق العظيم هو ما هو عند الله، ممّا لا يبلغ إلى الإدراك مداه أحد من العالمين^{1}].

ما أجمل وأحلى أخلاقك، يا سيدي، يا رسول الله ﷺ؛ حيث تقول: ﴿إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾^{2}، وأسلوب رسولنا الكريم يعكس أهمية الخلق في ديننا، فبالرغم من أنه ليس أهم شيء بُعث النبي ﷺ من أجله، فالعقيدة والعبادة أهمّ منه. بهذا الأسلوب تنويه بالإشارة إلى أهمية الشيء على نحو ما قاله عن الحجّ ﴿الحج عرفة﴾^{3}، وقوله ﷺ: ﴿الدين النصيحة﴾^{4}.

(١) - من معين الشمائل: صالح أحمد الشامي، ص143.

(٢) - الموطأ: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

(٣) - رواه الترمذي.

(٤) - رواه مسلم برقم (55).

فالأخلاق سلوك وعبادة، الأخلاق معاملة، الأخلاق تقرّبنا من الله ﷻ، ومن عباده، هذا ما قالته أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وصف خلق رسول الله ﷺ: ﴿كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ﴾^{1}.

إنها جملة قصيرة، ولكنها معبرة، أليس حريّ بنا أن يكون حبيبنا محمد رسول الله ﷺ هو قدوتنا في كل شيء، نتأسّى به، وبأفعاله، وبأقواله، وبأخلاقه، إنه ليقن القلب، رحيم الأمة، مع أهله، مع جيرانه، مع زوجاته، مع أصحابه، ومع الناس أجمعين، عندها؛ نكون أسعد الناس. نعيش بحب وصفاء، ويكون الله ﷻ راضياً عنا، وسعيد بنا.

إذاً؛ علينا أن نتبع أقواله وأفعاله، وهذا ما أكّده الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب/21.

[هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسّي برسول الله ﷺ، في أقواله، وأفعاله، وأحواله]^{2}.

قوله ﷺ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الأحزاب/6.

[علّم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمّته، ونصحه لهم، فجعله أَوْلَىٰ بهم من أنفسهم.

وفي الصحيح: ﴿والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحبّ إليه من نفسه، وماله، وولده، والناس أجمعين﴾، وفي الصحيح أن عمرًا رضي الله عنه قال: يا رسول الله، واللّه، لأنّ أحبّ إليّ من كل شيء، إلا من نفسي، فقال ﷺ: ﴿لا، يا عمر، حتى أكون أحبّ إليك من نفسك﴾. فقال: يا رسول الله، واللّه، لأنّ أحبّ إليّ من كل شيء، حتى من نفسي، فقال ﷺ: ﴿الآن، يا عمر﴾^{3}.

قال الله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ المائدة/15.

(١) - رواه مسلم.

(٢) - مختصر ابن كثير، ج 3، ص 86.

(٣) - مختصر ابن كثير، ج 3، ص 80.

وهكذا وصفه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي عاش مع رسول الله ﷺ،
يخدمه ﴿كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً﴾^{1}.

إذاً؛ علينا أن نفتدي برسول الرحمة والمحبة بأخلاقه، بأفعاله، بكلامه،
لأن مكانة حسن الخلق في ديننا عظيمة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
﴿كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟
قال: من أطاعني، دخل الجنة، ومن عصاني، فقد أبى﴾^{2}.

قد جعل الله لهم نوراً، يمشون به في الناس، وجعل لهم شريعة، يحكمون بها، وسنة
مطهرة، تزكّيهم، وتؤدّبهم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص/83.

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: ﴿إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثلي
رجل، أتى قومه، فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان،
فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم، فنجوا، وكذّبت
طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش، فأهلكهم، واجتاحهم، فذلك مثل
من أطاعني، فأتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق﴾^{3}.

[وهذا ما يمتاز به أصحاب النبي ﷺ، بأنهم جامعون بين الديانة والأخلاق
والقوة والسياسة، وكانت تتمثل فيهم الإنسانية، بجميع نواحيها، أن يسيروا بالأمم
الإنسانية إلى غايتها الروحية والخلقية والمادية]^{4}.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس
الجنة؟ فقال: تقوى الله وحسن الخلق﴾^{5}.

(١) - أخرجه مسلم.

(٢) - رواه البخاري (7280).

(٣) - رواه البخاري رقم (7283).

(٤) - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 131.

(٥) - أخرجه الترمذي وابن ماجه.

[عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسَنَكُمْ أَخْلَاقاً، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ﴾، رواه الترمذي.

○ (الثرثار): هو كثير الكلام تكلفاً.

○ (المتشدق): المتناول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه.

○ (المتفيهق): أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسّع فيه، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره^{1}.

إذا؛ نحن اتفقنا أن ملهمنا وقائدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد رسول الله ﷺ، وعلينا أن نتخلّق بأخلاقه، وبأقواله، وبأفعاله.

كان يدعو الله لكمال الأخلاق ﴿اللهم، كما أحسنتَ خلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي﴾^{2}، ﴿اللهم، إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى﴾^{3}.

﴿اللهم، آت نفسي تقواها، وزكّها، أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها﴾^{4}. عندها؛ نستطيع أن نبني أفضل العلاقات مع أنفسنا، ونتصالح معها، ومع الآخر بأسس دينية أخلاقية، وبذلك يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة. إذا؛ علينا أن نبدأ بالتفكير بأخلاقنا... بعادتنا...

- ماذا تعني كلمة الأخلاق والسلوك؟.

- هل من الممكن أن تتغيّر طباع وسلوك الإنسان؟.

- كيف السبيل لتغيير سلوكنا الأخلاقي إلى الأفضل؟.

- هل غريزة الخوف هي التي تعطينا ومضة النجاح؟.

- ماذا تعني الغريزة؟.

- كيف يتشكّل السلوك والعادة؟ من الذي يُشكّل العواطف؟.

(١) - شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: يحيى بن شرف النووي، ص 252.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد .

(٣) - أخرجه مسلم برقم (2721).

(٤) - رواه مسلم برقم (2722). جزء من الحديث.

يبدو أننا علينا أن ندرس بعض سلوكيات الشعوب الأخرى، كي نفهم معنى الغرائز، وتأثيرها على السلوك البشري.

في الحرب العالمية الثانية، خسرت اليابان الحرب، ودُمّرت مدينتا نازاكي وhiروشيما بالقنابل الذرية! في بداية أغسطس 1945 م. وقُدّر الضحايا بمئتي ألف وأربعين ألفاً، ما الذي حدث بعد ذلك؟.

هلع شديد، وخوف ما بعده خوف، أول قنبلتين وآخر قنبلتين إلى هذا التاريخ، أنزلتا فوق شعب مدني آمن. كان الخوف هو المرحلة النهائية التي غيّرت وجهة اليابان.

هي لحظة الألم التي غيّرت مسار البوصلة! ببساطة شديدة، كانت غريزة الخوف وغريزة البقاء هما العاملين الرئيسيين في استنهاض شعب اليابان خلال فترة قصيرة من الانفجار المروع، تنضبط الأمور، ويقررون أنّ عليهم أن يعيشوا... أن لا تصل عتبة الخوف والألم إلى اللا عودة. هنا؛ كان القرار حاسماً عقلاً، العودة إلى مدارس hiروشيما وناغازاكي فوراً، ومن ثم؛ تم بناء مدرسة بسيطة مكان إلقاء القنبلة، وانتظم الطلاب!.

لا لشيء، إلا لأن غريزة الخوف والبقاء فجّرت فيهم التمسك بالعيش، ونزع رداء الخوف والألم عنهم، وبهذه الطريقة، كانت نقطة الانطلاق.

فخلال أربعين سنة، أصبحت اليابان أكثر شعوب الأرض علماً، فهي أول دولة في العالم في صناعة الإلكترونيات والآلات، وهي من أوائل دول العالم في البناء.. في العلم.. في الأخلاق المدنية.. في التعامل.. في كل ميادين الحياة.

نعم، إن غريزة الخوف وغريزة البقاء امتزجت مع الألم والمعاناة مع أن تكون أو لا تكون. فكانت اليابان الآن.

اتفق الشعب مع السلطة على استنهاض اليابان، الكلّ يعمل، دون صوت، الكلّ يعرف ماذا يعمل، ما هو المطلوب منه، لا يوجد موظف يراقب العمال في اليابان، لا يوجد موظف تفتيش لكرت الأوتوبيس أو سلامة العمال في المصانع، الكلّ يعرف واجباته، وبالمقابل؛ يعرف حقوقه، وهكذا ألمانيا، وهكذا عدة دول، لم تبك على

الأطلال، كانت نقطة الألم، نقطة الانكسار، هي التي شحذت الهمّة.. التي نكشت خاصرة الأمة، كي تنهض.

إنها غريزة البقاء والخوف فينا، إذًا؛ لو تتبّعنا الغرائز التي يحملها الإنسان لما قُدِّرَ لنا أن نعدّدها على كثرتها، غريزة الخوف-غريزة البقاء-غريزة الحب-غريزة الشجاعة-غريزة الكرم-غريزة حب الأم لأولادها.

وكذلك غريزة الغضب والبخل، فغريزة الخوف والألم قد تساعد الإنسان على أن يتقدّم كردة فعل، فلا يريد أن يكون فاشلاً أو منهزماً أو غير ناجح، وكذلك الشعوب.

وأهمّ الغرائز التي نحملها هي فطرة الله التي يحملها كل البشر، تشعّرتنا بأن خالق هذا الكون هو الله ﷻ.

إذًا؛ الغريزة هي المادة الأولى لبناء السلوك والأخلاق، وهي المادة الأولى لكل عمل. فغريزة الشجاعة تعطي صاحبها دافعاً يظهر أنه مقدام، وغريزة الشح إذا زادت، تصل بالإنسان إلى أنه يُدعى بخيلاً، لأن غريزة الشح أوصلته إلى أن يكرّر عادة البخل وقلة السخاء.

فأصبحت عادة، ومع تكرارها، لاحقاً؛ تصبح سمة، ويُسمّى بها أنه يعمل لها (أخلاقه ذميمة، إنه شحيح بخيل)، وهكذا.

إذًا؛ الغرائز ما هي إلا مورثات سلوكية طبيعية موجودة في قلب الإنسان، فالملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، فالفعل يقع أولاً، وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً.

ثم يزيد التكرار، فتكون ملكة أي صفة راسخة^{1}، وعنه صلى الله عليه وسلم: ﴿إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم من يتحر الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه﴾^{2}.

¹ - المقدمة: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ص554.

² - سنن الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني.

الفصل الأول

هكذا ينشأ السلوك والعادة

غريزة الشحّ موجودة فينا كلها.. تأتي بواعث تزيد من جرعته.. بواعث كثيرة خواطر كثيرة تقول للإنسان في داخله، في نفسه: لا تصرف، خبّي هذه الدراهم لعند الحاجة، نعم، لديه ميل نفسي يصرّ عليه، لا تُعط! لا تصرف! أنا تعبْتُ حتى حصلتُ على هذه الدراهم.

وهكذا، فتأتي بواعث وخواطر وأفكار تزيد من قوة هذه الغريزة، فتصبح متأصلة في الإنسان، نعم، بيئته وأهله من العوامل المؤثرة على ذلك، لكن ميله النفسي يتّجه نحو البخل، وهو يستجيب لهذا الميل، فيكرّر سلوكه. عندما يتكرّر العمل بأنه لا يُعطي أحداً، لا يريد أن يصرف، تراه حريصاً في كل الأوقات على درهمه، يحافظ على ما عنده، هذا التكرار اليومي يؤدي إلى أن ترسخ هذه الأعمال والأفكار في العقل الواعي، ثم تختزن، وتتحفر في العقل اللاواعي، لتتشكّل سلوكاً متكرراً، ويتحول إلى عادة متأصلة، ويسمّى باسمها، لأنها حُفرت في داخله (العقل اللاوعي).. عندها؛ يسمّى هذا الإنسان بخيلاً، وتتطبع العادة فيه، لأنه أصلها في نفسه، وكرّرها وهو مرتاح لهذا، فتتحوّل إلى سمة، يتصف بها، وتدعى الخلق.

غريزة الكرم موجودة، تقويها بواعث الخير، بواعث العطاء، بواعث إيجابية، تحثّه على مساعدة الآخرين بواعث الضيافة، بواعث كثيرة، فإذا كان ميل هذا الإنسان لهذه البواعث متقبلاً وراضياً (وتساعد على ذلك بيئته وتربيته)، دخلت، وتعشّقت قلبه وكيانه، وفي عقله اللاواعي، وبتكرار العمل ضيافة الناس، مساعدة الآخرين، حب الجود والكرم، تصبح عادة الكرم والسخاء متأصلة فيه، ويتطبع فيها، وتختتم على جبينه، كما يقال، فتراه كريماً، مقداماً جواداً، مضيافاً.

إذاً؛ هذه الغرائز -الطباع- هي المادة الأساسية لتشكّل السلوك والأخلاق، وهي بحاجة لحاضنة، كي تنمو فيها، وتكبر، لكي تصبح واضحة المعالم، والحاضنة هي

البيئة والتربية. هذه الغرائز تجتمع الواحدة تلو الأخرى، لتتضبط تحت مسمى
العواطف، نتيجة تجمع البواعث والأفكار في العقل اللاوعي.
هذه العواطف تكون محفورة في أخاديد العقل اللاوعي متأصلة به، تفرز للخارج،
لتعطي السلوك، وتكرار السلوك تكراراً يومياً، والتعود عليه، تتحول إلى عادة، ومجموع
العادات هذه المحفورة بعمق في أخاديد العقل اللاوعي راسخة في القلب، عندها؛
تسمى خلقاً، ويتصف الإنسان بها .

الفصل الثاني

ماذا تعني كلمة الأخلاق

الأخلاق: هي إظهار العزم والإصرار لميل واضح ومستمرّ لعادة ما في داخلنا إلى خارجنا، عندها؛ يتصف الإنسان بها كخُلُق له.

مثال: إنسان يظهر عليه ميل لعادة الشحّ والبخل، فتظهر بقوة وعزيمة للخارج، في مواقف جليلة واضحة متكرّرة، عندها؛ يقال يحمل خُلُقاً ذميماً هو البخل والشحّ، وإنه ليس كريماً، والعكس صحيح، كريم وسخي، يقال إن خُلُقَه الكرم والسخاء.

مثال: إنسان دائم الكذب، فميله الشديد للكذب يظهر دائماً أنه لا يقول الحقيقة، ومخادع، وهكذا يقال عنه إنه كذّاب، لأن ميله طَبَعُهُ على هذا الأمر. لكثرة بواعث الكذب فيه، فينطبع قلبه وسلوكه، ويصبح كذّاباً. هل تتأثر أخلاقنا وسلوكنا بالآخرين؟ بالتأكيد، وخاصة:

1- التربية: لها دور كبير في تنمية هذه الأخلاق الحميدة أو الذميمة - وخاصة الوالدان، فنوعية الرسائل المرسلة للأولاد هل هي إيجابية أو سلبية؟ فمثلاً عائلة ما دائماً تقول لولدها أنت جبان، فعند تكرار هذه الرسالة السلبية، تقوم بعملية تثبيط لكل بواعث الهمّة والقوة والنفوان التي قد يحملها هذا الولد، ويُستعاض عنها ببواعث سلبية: ضعيف الإرادة - الخذلان - التردد، لأن الرسائل التربوية القادمة إليه كانت مُرسلةً إليه بأنه جبان ضعيف، لأن عقولهم اللاواعية تشربت هذه المعتقدات والعواطف والأفكار، وحفرت ورسخت فيها. عندها، نكون قد أنشأنا جيلاً من الجبناء والمنهزمين.

نعم، لقد أضعنا الأمانة ﴿كل راعٍ مسؤول عن رعيته﴾، فاحذروا من هذه الرسائل الملوّمة، والتي قد تنفجر بحاملها ومُرسلها.

فعلينا جميعاً الانتباه والحرص على تلقين أولادنا، فلذة أكبادنا، سلوكيات ورسائل إيجابية مشجّعة، مثل: أنت شجاع بطل، مع تكرار هذه الرسائل. كنّ على ثقة، سيكون شجاعاً وبطلاً.

مثال: أنت فنان، خطك رائع، مع التكرار والمساعدة على إنماء خطّه، سيصبح خطّاً ماهراً.

أنت كريم معطاء.. برافو عليك، ساعد أخاك، شاطر، أعطه هذا الدفتر.. وهكذا ستصل الرسائل بالتكرار، سيكون -بإذن الله- كريماً معطاءً جواداً. فما بالكم بالتربية وفق تعاليم الإسلام؟.

2- الصحبة والصدّاقة: بطبيعة الإنسان هو اجتماعي، يحبّ المعاشرة، يحبّ الحديث والسّمَر، يحبّ تقليد الآخر، وخاصة إذا كان تحت تأثيره (قلّ مَنْ تعاشر، أقلّ لك مَنْ أنت)، ونحن أمام مفترق صعب: إمّا صحبة كريمة خلوقة، تخاف الله، رُحِمَ، فلا محال، تجعل صاحبها كريماً -خلوقاً.

وإمّا صحبة ذميمة ورفاق الهوى والشهوة، لا محال، تجعل صاحبها مثلهم. فمعاشرة اللّيم تجعله لثيماً، ومعاشرة المتذبذبين أصحاب الأفتنة، سيكون فرداً منهم، وينطوي تحت لوائهم، ويتلونّ مثلهم في كل موقف. ومعاشرة أهل الإيمان والأخلاق، سيكون مثلهم.

3- قد تتأثر سلوكياتنا وأخلاقنا بتغيّر الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وظهور الكوارث، وهذا ما أكّده كثير من التجارب.

مظاهر التقشّف بسبب الحروب وقلة الموارد، تضعف مع تكرارها بواعث الكرم والجود، وفي الكوارث والحروب، تزداد السلوكيات الذميمة، كالكذب والنفاق والخداع والسرقة والنهب، بأشكاله كافة.

إلا المتّقين المتمسّكين بمبادئهم الراسخة، في نفوسهم، وفي عقولهم. كيف السبيل إلى التخلّق بالأخلاق الحميدة؟.

نعم، كما اتفقنا، يمكن تغيّر السلوك والعادات، لكنّ؛ علينا أن نجتهد بذلك، وبالتدرّج، ففي القسم السابق، تمّ شرح موجز عن السلوك الشيطاني الذميم،

كيف بدأ؟ وكيف أصبح؟ والآن، سنحاول أن نعكس هذه السلوكيات والعادات التي كانت معنا إلى الأفضل.

لكي ننقي قلوبنا، عندها؛ يشع نور، يصدق أمام الناس بالتعامل الأخلاقي والكلمة الطيبة والابتسامة المريحة، عندها؛ نتصالح مع الذات، ولا داعي للبس الأقنعة في كل مناسبة ومناسبة، لأن كثرة تنوع هذه الأقنعة تؤدي بصاحبها إلى النفاق، وتقلب الأمور عليه.. ويشار عليه بأنه مكار خداع كذاب لئيم انتهازي.. فاحذروا هذا!.

إذا؛ قدوتنا هو رسول الله ﷺ، ونريد أن نتخلق بأخلاقه وسلوكه، هل اتفقنا؟ أم لا؟.. عفواً.. تعالوا نتصالح، ولا نخجل من بعضنا البعض، من يدعي أنه يحمل صفات وأخلاق رسول الله ﷺ كاملة، نقول له كلنا، بارك الله بك، نرجو أن تغلق هذا الكتاب، وتهديه لصديقك، فقد يستفيد منه.

أما من يشعر بأنه يسعى ويحاول ويجاهد نفسه في سبيل أن يتخلق بأخلاق رسولنا الكريم ﷺ، فأقول له اصعد معنا على نفس القاطرة التي تسير بنا لهذه الغاية، فو الله، إنني أحاول وأحاول وأجاهد كي أتخلق بأخلاق نبي الرحمة، فمن أراد الصعود على هذه القاطرة، عليه أن يدفع مقدماً هذه الشروط البسيطة:

1- أن يتجه لله ﷻ بنية سليمة خالصة، بأنه يرغب في مجاهدة نفسه، لكي يتخلق بأخلاق نبي الرحمة المهداة.

2- أن يصمم على أن يبدأ الآن، ودون تراجع أو تردد.

3- من أراد وصمم أن يجاهد نفسه، فليبدأ بالاستقامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الأحقاف/13.

4- لأن الإسلام هو منهج كامل متكامل للحياة السعيدة في الدنيا والآخرة. والمؤمن سر انتصاره في إيمانه ورجائه لثواب الله ﷻ، عندها؛ تتحدد البوصلة بالاستقامة، فلا ظلم، ولا جريمة، ولا عدوان، بل محبة، ورحمة، ورأفة.

المبادئ الخمسة لتغيير السلوك والتخلق بالأخلاق الحميدة

1- لا بد من اتخاذ قرار التغيير من نفسك، تغيير بالأفكار والتصورات، وبعد معاتبة شديدة متكررة معها لفترة محددة.. لماذا أنا عصبي؟.. لماذا هذا التهور؟ (مثال) أنا مسلم، أنا أخلاقي، ولكن؛ لماذا هذا التهور عليّ بضبط وبرمجة ردود أفعالي..؟ لا يجوز أن تكون ردة فعلي سريعة وغير منسجمة وغير لائقة.. عندما ترد هذه العبارات، وتزداد في إعادتها كخاطرة، وحديث النفس ستبدأ بأخذ قرار تغيير هذا السلوك بوضوح النية والعزيمة.

عندها؛ يبدأ التغيير، لأن الميل النفسي بدأ يتغير بأفكار جديدة، تصل إلى العقل الواعي، يتشربها بحب ورغبة، ويوصلها إلى العقل اللاواعي - مركز تجمع المعتقدات والأفكار والعواطف - وتنطبع فيه، في قلبه، في عقله، في نفسه.

2- العلم بالتعلم، والصبر بالمصابرة:

التخلق بأخلاق وصفات رسول الله ﷺ بالتدريج، وبالمجاهدة مع النفس مع الذات بالمصابرة، اسمعوا قول رسول الله ﷺ، وأرجوك كرر هذا الحديث كثيراً، أرجوك، قال رسول الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ، يَعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِي، يُغْنِيهِ اللَّهُ، وَمَنْ تَصَبَّرْ، يَصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾^{1}. ما أروع هذا الكلام ﴿وَمَنْ يَتَصَبَّرْ، يَصْبِرْهُ اللَّهُ﴾. إذا؛ عليك بالتعود والتدريب والإعادة، وإدخال هذا السلوك لداخلك.. لقلبك.. لعقلك.. عندها؛ بواعث الصبر وخواطر الصبر تبدأ تقوى.. فتزداد فيك عزيمة الصبر رويداً.. رويداً.

تبدأ بالتصابر، بالإمساك عن الغضب، تعود أن يكون ميل نفسك لهذا التغيير أشد فأشد، والتصابر على مشقة الطاعة، لأنك تجاهد نفسك، وتمرنها على أن تتصابر بالتكرار والمتابعة.

(١) - رواه البخاري برقم (1469) ومسلم برقم (1053).

عندها؛ يتحوّل هذا الصابر إلى سجية. وعندها؛ يتحقّق قول رسول الله ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ، يَصْبِرْهُ اللَّهُ»، و«وإنما العلم بالتعلّم»، وبهذا عند مجاهدة النفس في التمرين والتدريب على التعفّف يتحوّل هذا رويداً إلى سجية وسلوك وسمة لهذا المؤمن، وهكذا التحلّم والتكرّم والتحمل، ويرتقي، هنا، الإنسان شيئاً فشيئاً في تهذيب نفسه، واكتساب هذه السلوكيات الأخلاقية بالتكرار الدائم والمتواصل. عندها؛ هذه الأفكار والمعتقدات تترسّخ بدل المعتقدات القديمة بالتعود والتكرار، وللحفاظ على هذا التغيّر، لا بدّ من مجاهدة النفس.

3- أقرأ القرآن، وتفكّر بآياته الدالة على الموضوع الذي تجاهد نفسك لتغييره، مثال: سورة يوسف تعلّمك الصبر، وهكذا، ومتابعة سنّة رسول الله ﷺ وسيرته العطرة وسيرة الصحابة والتابعين.

هذه الأعمال تعلّمك جماع البرّ والتقوى، فتحبّ المسكين، وتتصدّق، وتكون صاحب كلمة، ولا تُخلف عهدك، وتكن من أهل الصبر والتقوى. عندها؛ يصطلح القلب بصلاح النفس، لأن القلب الذي في الصدر هو مركز صلاح النفس، فإمّا صلاحاً، وإمّا فساداً، كما قال نبي الرحمة ﷺ: «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^{1}.

قال تعالى: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» البقرة/83.

ما أروع هذه الآية، هي من القواعد الهامة في بناء الأخلاق الحميدة، لو طبّقها كل فرد، لانتفت البغضاء والمشاحنات بين الناس.

فعلينا بالتسامح والعفو والصفح، والاستعاضة بالابتسامة، مع الصفح لكل من أساء، والعفو عن الآخر، والتوجّه بهذه الأعمال والأفعال بنية سليمة لله ﷻ.

لأن ضبط الإيقاع السلوكي كما يريده الله ﷻ ورسوله سيكون رضا الله ﷻ والفوز

بالجنة، قال تعالى: «فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُتَنَفِّسُونَ» المطففين/26.

عندها؛ نفهم معنى الترابط الأسري والاجتماعي بين الناس وصلة الرحم.

(١) - رواه البخاري برقم (52) جزء من الحديث.

تعالوا نقرأ معاً حديث رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَوْمَن أَحَدُكُمْ، حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ﴾ {1}.

وعن عبد الله بن عمر: ﴿أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ﴾ {2}، لزيادة الألفة والمحبة بين المسلمين.

وعن النبي ﷺ قال: ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ﴾ {3}.

تذكر أخى المسلم، الجزاء من جنس العمل، تقرب بالأعمال الصالحة مجاهدة النفس، تلق النتائج في نفسك وأخلاقك وسلوكياتك.

كما قال رسول الرحمة ﷺ: ﴿إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ: أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا﴾ {4}.

[قالوا: والمزاوالت تعطي الملكات، ومعنى هذا أن من زاول شيئاً، واعتاده، وتمرن عليه، صار ملكة له، وسجية وطبيعة، قالوا: والعوائد تنقل الطباع، فلا يزال العبد يتكلف التصبر، حتى يصير الصبر له سجية، كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات، حتى يصير له أخلاقاً، بمنزلة الطباع] {5}.

اقرأ معي قول رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَّحَلُّمِ، وَمَنْ يَوْقُ الشَّرَّ، يَوْقَهُ﴾ {6}، وكلنا نعرف هذا القول ﴿كُلْ إِنَاءً بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ﴾. فاجعل في إناء قلبك الرحمة والصبر والصفح والألفة، تفر برضا الله تعالى.

فيا أخى الحبيب، تعال نقف وقفة تأمل في هذا الذي قيل، ونتجه بالدعاء معاً.. كلنا، أن لا نكون منهزمين، ولا متشائمين، ولا ضعفاء، فنحن أمة قوية بقرآنها

(١) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (13).

(٢) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (12).

(٣) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (10).

(٤) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (3559).

(٥) - عِدَّةُ الصَّابِرِينَ وَذَخِيرَةُ الشَّاكِرِينَ: الْإِمَامُ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّة، ص 18.

(٦) - رَوَاهُ الدَّارُ قُطْنِي، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وسنة نبيها، إنها قوية بلغتها، بحاضرها، بماضيها، فلا تكن إلا ذا الهمة، قوياً مبادراً شجاعاً كريماً صبوراً.

إن الصفات السامية تسمو مع النفس إلى الأعلى [السِّرُّ هو أن من تعلق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلته تلك الصفة عليه، وأوصلته إليه]^{1}.

صبور يحب الصابرين، كريم يحب الشاكرين، حلیم يحب أهل الحلم.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران/186.

عندها؛ تقترب رويداً رويداً من أخلاق رسول الله ﷺ ﴿الرحمة المهداة﴾. هذه الأخلاق التي خلقه الله بها من صفاته ﷺ.

4- الصحبة الحسنة:

من العوامل الأساسية على التغير الصحبة الصالحة. لو تتبعنا الفتية في سورة الكهف: قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف/13.

نعم، الصحبة الصالحة تؤدي إلى صلاح القلب والعقل والسلوك.

فمعاشرة الصالحين تجعلك -ياذن الله- من الصالحين، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف/28.

5- تقوية الشعور الداخلي للإنسان بأن رياح التغير بدأت، وأنه في تحسن واضح لهذا التغير، وأنه يجاهد نفسه، لأن إرضاء الذات ستساعد على التقدم والمتابعة على

ممارسة هذا السلوك، قال رسول الله ﷺ: ﴿أفضل الجهاد مجاهدة النفس﴾.

والذي يسعى أن يصطبغ بسلوك الكرم، فلا بد له من مزاوله عادة الكرم، لأن صفة الكرم للإنسان، لا تعني أنه يسرف على موائد الضيافة، لا، لا، فالكريم بوجدانه كريم، بقبلته لزوجته، كريم برأفته على الآخرين، كريم بتقديم يد العون للمحتاجين والأرملة والمسكين، هو كريم بكل شيء، فعليه أن يتعمق في استدراك أن

(١) - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص36.

هذه الصفة بحاجه دائماً، ليسبر أغوارها لنفسية، وتتبع مساراتها ومسالكها، والعمل، وتكرار ممارستها وفنونها، إلى أن يتطبع عليها، ويعشقها من داخل كيانه. هذه المبادئ الخمسة هي -ياذن الله تعالى- تساعد الإنسان على أن يتخلق بأخلاق نبي الرحمة محمد ﷺ.

وبهذا؛ يكون هذا الفرد قد وضع لبنة كبيرة ودعامة عظيمة في الطريق الصحيح، لأن السلوكيات والأخلاقيات قد بدأت تأخذ منحى الاستقامة، لأنه يريد إصلاح أخلاقه وسلوكياته، لكي يصطلح أمر دينه، يطلب الهداية والإيمان من الله تعالى، يطلب المزيد، فهل يستجاب له؟ أم لا؟ إنه يطلب المزيد والترقي والسمو.. ياذن الله، له ما أراد بالتأكيد. قال تعالى: ﴿لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ الفتح/4. قال تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ الكهف/13، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ مريم/76، «وهنا؛ عين الاستقامة».

قال تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ الأنعام/126. عندها؛ يستقيم المرء، ويستشعر معنى حلاوة الإيمان في قلبه، لأنه مستعد لتقبل الطاعة والخضوع الكامل لمعبوده، الله ﷻ، فعن أنس، عن النبي ﷺ قال: ﴿ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ﴾^{1}.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران/31.

(١) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (16).

الصفات الحسنة

الفصل الأول

إخلاص العمل لله تعالى

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ البينة/5.

[الإخلاص: هو روح العبادة، فكل عبادة تفقد الإخلاص تكون كالجسم الذي فقد الروح، فلا يُنتفع به، والعمل بالإخلاص يزكو ويطيب، وتظهر ثمرته على صاحبه، حتى يكون له نور يتلأل على وجهه، وتوجد له حلاوة في منطق صاحبه، وتؤثر كلماته في نفوس سامعيها، فيعمل بها السامعون، ويهتدي بها الضالّون، لأن الكلام إذا كان صادقاً في قلب المتكلّم، وصل إلى قلوب السامعين]^{1}.

إذا؛ لا بد أن تكون قبل كل شيء النية وإخلاص العمل والقول والفعل.

والنية محلّها القلب، وعلى المسلم أن ينوي [نويت لله - إن شاء الله - يا ربّ، وفّقني لعمل هذا العمل، لوجهك، يا الله - يا ربّ، قربني لعمل هذا الأمر، لإعلاء كلمتك في الأرض].

بهذه المحادثة بينه وبين ذاته، يدخل في دائرة أن هذا العمل يتّجه فيه، وبنية صافية خالصة لوجه الله تعالى.

شرط آخر هو أن يكون هذا العمل أو القول أو الفعل وفق منهج الشريعة الإسلامية.

(١) - الأحاديث القدسية: يحيى بن شرف النووي، ص264.

وإن كانت نيته صادقة، وحاول أن يعمل، ولكن؛ منعتة ظروف معينة، فهو -بإذن الله- كأنه قد قام بالعمل.

وعلى المسلم أن يُسلم وجهه لله، ويُخلص نيته، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَخْلَصَ نَيْتَكَ، يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلَ﴾^{1}.

وعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه﴾^{2}.

[﴿إنما الأعمال بالنيات﴾، أي كمال الأعمال، وصحة الأعمال بما ينويه الإنسان، فالله سبحانه لا يجازي على العمل، فحسب، بل على قصد الإنسان ونيته، من خير أو شر، فمن قصد بهجرته نصره الدين، أثابه الله، ومن قصد النكاح أو تجارة الدنيا، حُرِمَ أجر المهاجرين]^{3}.

قال الإمام النووي: النية القصد، وهي عزيمة القلب، وقد يتسرّب إلى النية بعض الشوائب، ومهمّة (الإخلاص) هي تخلص النية ممّا تسرّب إليها من الشوائب، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فصلت/46.

[الإخلاص شيء، إذا صفا عن شوبه، وخلص عنه، سمّي خالصاً، ويسمّى الفعل المصفى المخلص إخلاصاً. قال تعالى: ﴿مَنْ بَيْنَ قَرْثٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَاتِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ النحل/66.

فإنما خلوص اللبن أنّ لا يكون فيه شوب من الدم والفرث، والإخلاص يضادّه الإشراك، ولهذا؛ مَنْ كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى، فهو مخلص، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب.

(١) - المستدرك على الصحيحين: الحاكم.

(٢) - رواه البخاري برقم (1) و(6953).

(٣) - من شرح رياض الصالحين لـ النووي، تعليق الصابوني.

والخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء^{1}. ومصدقا لقوله ﷺ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ الفرقان/23.

سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عن الرجل، يقاتل شجاعة ورياء، فأَيُّ ذلك في سبيل الله. فقال ﴿مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^{2}.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾^{3}.

إذا؛ عندما تكون أعمالك صافية لوجه الله، فأنت سعيد بداخلك، رَضِيَ بِدَاخِكَ. فلا بد من باعث خفي ينشأ من خاطرة أو إلهام في قلب الإنسان، فإذا تحرَّك هذا الباعث، انبعثت الإرادة والهمة والعزم (النية) (وهي عزيمة القلب)، وهو المحرِّك على تنفيذ العمل. وهنا مكمن الداء، فإذا كانت النية لوجه الله، ووفق الشريعة الإسلامية، كان العمل مقبولا، وإذا دخل الرياء، وكانت النية لشيء آخر، فلا يُتَقَبَّلُ منه.

قيل في الإخلاص الكثير. [[معروف الكرخي أحد التابعين -يرحمه الله- كان يضرب نفسه، ويقول: يا نفسُ، أَخْلِصِي، تَتَخَلَّصِي)، وقيل (المخلص مَنْ يَكْتُمُ حَسَنَاتِهِ، كَمَا يَكْتُمُ سَيِّئَاتِهِ). وقيل (في إخلاص ساعة نَجاة للأبد).

وقال الجنيد: (إن لله عباداً عقلوا، فما عقلوا، عملوا، فلما عملوا، أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع)، (الإخلاص أن يكون سكون العبد وحرركاته لله تعالى خاصة)^{4}.

وآفات وأمراض الإخلاص كثيرة: إن شعلة الإخلاص ينطفئ نورها في القلب كلما هاجت في النفس حب الظهور وحب الهوى حب النفس والأنا والإعجاب... إلخ. ولكن أخطر مرض يصاب به الإخلاص هو:

(١) - إحياء علوم الدين، ص1725 - ص1744 - ص1745، ج2، طبعة دار السلام.

(٢) - رواه البخاري برقم (7458).

(٣) - رواه مسلم برقم (2564).

(٤) - إحياء علوم الدين، ص1734 - 1744.

الرياء: هو الشُّرك الخفي، وكلما كبر، ابتعد الإنسان عن الإخلاص، وهو مرض قاتل فتاك، والإسلام حذر منه، لأنه إذا استفحل، قتل صاحبه، وأضله. في الحديث الشريف ﴿إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم لا ريب فيه، نادى مناد مَنْ كان أشرك في عمل عمله لله، فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك﴾^{1}.

وقال النبي ﷺ: ﴿مَنْ سَمِعَ، سَمِعَ الله به، وَمَنْ يَرَأَى، يَرَأَى الله به﴾^{2}، فإن علاج وتقوية الإخلاص هو في كسر حظوظ النفس وبواعثها الشريرة وهواها، وقطع دابر الدنيا وشهوته، والتقرب إلى مرضاة الله في القول والعمل.

وهذا ما قاله سيد الأولين والآخرين ﷺ إذ سُئِلَ عن الإخلاص، فقال: ﴿أَنْ تَقُولَ رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ تَسْتَقِيمُ كَمَا أُمِرْتَ﴾^{3}.

اعمل، ولا تتوقف عن العمل، لأنه سيدخل الشيطان وسوسته، ويقول لك لن يتقبل الله منك، أنك ضعيف الإخلاص، فإذا استولى عليك وسواسه... وصدقت ظنه، غلبك، وضحك عليك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ سبأ/20.

فالضعيف تتطلي عليه حيل الشيطان، وأنه قليل الإخلاص، وأن الله لن يقبل عمله، فيتوقف عن عمل الخير وأداء العبادات، ثم يبدأ بالضلال والانحراف، فاستعد بالله من الشيطان الرجيم.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصلت/36.

(١) - أخرجه ابن ماجة من كتاب الأحاديث القدسية، ص 263.

(٢) - رواه البخاري برقم (6499).

(٣) - رواه الترمذي وابن ماجة.

فضائل الإخلاص

○ الإخلاص لله يحفظك من إغواء الشيطان، قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ ص/83.

○ مجاهدة النفس توصلك إلى الإخلاص في عملك.

إذًا؛ أخلص العبادة لله ﷻ، تحرر الصدق فيها، اجتنب كل ما حرّمه الله، ونفذ الطاعات وأوامر الله، تدخل الجنة بسلام، وتسعد في الدنيا والآخرة سعادة أبدية. ولهذا؛ جاءت آيات كثيرة حول هذا الموضوع، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ البينة/5.

○ الإخلاص في التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ 53-54. إلى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ الزمر/53-54.

○ إن سحرة فرعون كانوا آية في اليقين والإخلاص، رفضوا دنيا فرعون، وما فيها، وقالوا كلمات، سطرّت خالدة إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ 72 ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ طه/72-73. فأنت في حفظ الله، ما دمت مخلصاً لله، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ

السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ يوسف/24.

هذه هي الغاية المنشودة للمؤمن، أن يكون الله ﷻ راضياً عنه، فيعطيه الأمان والطمأنينة، يعطيه السعادة الدنيوية والأبدية، فأخلص العمل لله، وتذكر أن الله مالك كل شيء، وعنده مفاتيح كل شيء، فإن أردت الأمن، أعطاك، إن أردت التوفيق، أعطاك، إن أردت النجاح بالعمل، أعطاك، إن أردت السعادة، أعطاك، فكن مع الله، ولا تبال، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَخَبَتُوا إِلَى

رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ هود/23، فكن مطمئناً، طالما أنت تسعى؛ لأن تكون من أهل التقوى.

تقوى الله والعمل الصالح

كلما كان المؤمن مخلصاً في عمله، ارتقى، وتقرَّب إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ البقرة/197.

وعنه ﷺ: ﴿لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتى يدع ما لا بأس به، حذراً ممّا به بأس﴾^{1}.

[أصل التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه، ممّا تجعله حاجزاً بينك وبينه. فالمتقي: هو الذي يقي نفسه ممّا يضرّها، وهو الذي يتقي عذاب الله بطاعته.

وجماع التقوى أن يمتثل العبد للأوامر، ويجتنب النواهي، قال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقون هم الذين يتقون الشرّك، ويعملون بطاعة الله]^{2}.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران/102.

ولهذا حثّ القرآن الكريم على الإخلاص لله في العمل، فيعمل إيماناً واحتساباً، وفق ما شرعه الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ النساء/125. يجب أن يكون التطابق بين القول والعمل، وهذا جزء من التربية القرآنية، وهو يدلّ على صحة العمل.

قال الحسن البصري: (ليس الإيمان بالتمني، ولكن؛ ما وقر في القلب، وصدّقه العمل، إن قوماً ألتهتهم الأمانى، حتى خرجوا من الدنيا، ولا حسنة لهم. وقالوا: نُحسن الظنّ بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظن به، لأحسنوا العمل).

ولهذا؛ أمرنا الله ﷻ أن يكون رسول الله ﷺ قدوتنا في كل تصرف، نقوم به، وقد أكّد القرآن هذا الأمر، فقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب/21.

(١) - رواه الترمذي وابن ماجة.

(٢) - من صفوة التفاسير، ص24، وص25.

ضَعْ هَدَفًا سَامِيًّا نَبِيلاً، وابدأ العمل، وتوكل على الله. لا تتردد.
قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف/110، وقال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ﴾ {1}.

قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمَّعةً، يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس، أحسنت، وإن أسأؤوا، أسأت، ولكن؛ وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس، أن تحسنوا، وإن أسأؤوا، أن تجتنبوا﴾ {2}.

لهذا، عليك -أخي الحبيب- أن تكون مجاهداً لنفسك كثيراً، راقب نفسك، حاسب نفسك، جاهد نفسك.

كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم، قبل أن تحاسبوا).

(١) - رواه مسلم برقم (1718).
(٢) - رواه الترمذي.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا

قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ القيامة/14.
راقب نفسك، تسلّم، جاهد نفسك، تسلّم. سنقف كلنا أمام الله، قال تعالى:
﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ النبأ/40.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ النازعات/35.
فما بالك، يا أخي؟ إن الله رقيب علينا في سكّناتنا، في أعمالنا، وسوف يسألنا
عن كل صغيرة وكبيرة، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ 92 ﴿عَمَّا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ الحجر/92-93.

فلهذا اعمل الصالحات، وبإخلاص، تتل الرضا من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿مَنْ
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ الأنعام/160.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿يقول الله ﷻ: مَنْ عمل حسنة، فله
عشر أمثالها، وأزيد، وَمَنْ عمل سيئة، فجزاؤه مثلها، أو أغفر، وَمَنْ عمل قراب
الأرض خطيئة، ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً، جعلتُ له مثلها مغفرة،
وَمَنْ تقرب إلي شبراً، اقتربتُ إليه باعاً، وَمَنْ تقرب إلي ذراعاً، تقربتُ إليه باعاً، وَمَنْ
أتاني يمشي، أتيتُهُ هرولة﴾ {1}، وقال ﷺ: ﴿لن ينجي أحد منكم عمله، قالوا: ولا
أنت، يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سدّدوا، وقاربوا،
واغدوا، وروحوا، وشيء من الدلجة والقصد، القصد تبلغوا﴾ {2}.

إذا؛ مجاهدة النفس هي أفضل الجهاد، فراقب نفسك كل يوم، اتفق معها أن
تكون بينك وبينها جلسة مصارحة وعتاب قبل النوم: ماذا عملتُ اليوم.... لا، لا،
هناك غلط، لقد عملتُ كذا، وهذا لا يقبله الله... استغفر الله، عاتب نفسك،
اضغط عليها... هدّبها بالدعاء إلى الله، بعدم الرجوع لهذا الخطأ، وتذكّر أن يوم
الحساب قادم، وكل شيء مستطر في كتابك: قال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ

(١) - رواه ابن ماجة.

(٢) - رواه البخاري برقم (6463).

بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿29﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿الْجاثية/ 29-30﴾.

[قال تعالى: ﴿وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ الحشر/ 18، أَي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادّخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم، وعرضكم على ربكم^{1}].

تذكر يا أخي أن الله قريب منك برحمته، إنه ينتظر منك الدعاء والخشوع، لكي يرسل لك مدداً من عنده، فلا تتس الله، لا تتس ذكره يومياً، تذكر بأنك إنسان، قد تقصر في بعض الأمور، قد تغلبك هفوة من هنا، وشهوة من هناك، ولكن إيمانك بالله وتقواك بالله، تعمل عملها، فسرعان ما يرجعك هذا الإيمان الذي يملأ قلبك نوراً، فيشع منه نور، يحرق كل وسوسة الشيطان، تعال، واقرأ معي هذه الآيات، بهدوء وروية، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف/ 200.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ آل عمران/ 135.

وعنه ﷺ قال: ﴿يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك، رسول الله، وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك رسول الله، وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم^{2}].

هكذا يريدك الله تعالى أن تكون إنساناً مؤمناً بالله، تعمل الخير، تعمل الصالحات، تعمل مخلصاً النية لله، لكي يكافئك على عملك جنة عرضها السموات والأرض، وهو ينتظرك، ليسعد بك، فهل أنت تريد هذه السعادة أم لا؟.

(١) - مختصر ابن كثير، ج3، ص474.

(٢) - رواه البخاري برقم (6500).

لذا؛ حاسب نفسك، ابتعد عن القلق والخوف والذلّ والمهانة، أنت قوي، جاهد نفسك، فبإذن الله، ستكون من الفائزين. كن صادقاً أميناً، وتمسك بفضائل الأخلاق، تفرّ فوزاً عظيماً.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْدَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً﴾ المزمل/20.

عليك بتهديب النفس من الهوى والشهوة، هذا عين المجاهدة. عندها سيفتح الله طريق الهداية بأوسع أبوابه. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت/69.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، حُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ﴾ {1}.

لأن الغفلة والهوى أصل الشرّ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطاً﴾ الكهف/28. فعليك بالصلاة والدعاء لله، ليمكّنك من نفسك، وعاهد الله أن تكون صالحاً، وهذه المجاهدة ثمنها الجنة، إن شاء الله. فاذكر الله، واستغفره دائماً.

وعنه ﷺ قال: ﴿يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَّكَ، وَأَنْ تَمْسُكَهُ شَرٌّ لَّكَ، وَلَا تَلَامُ عَلَى كِفَافٍ، وَابِداً بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى﴾ {2}. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: ﴿لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ﴾ {3}.

احذر من سماع ما تقوله ألسنة الغير عنك. فطالما أنك متأكد بأنك تمشي على النهج الذي رسمه الله ﷻ وفق ضوابط أخلاقية، تابع عملك، وتذكر قول الله ﷻ:

(١) - رواه البخاري برقم (6487).

(٢) - رواه مسلم برقم (1036).

(٣) - رواه مسلم برقم (2626).

﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام/116.

طالما أنت تُرضي الله في عملك، نيتك متّجهة لهذا العمل، تبغي فيه وجه الله، فلا تبالي من ألسنتهم. إنهم مهزومون وحاسدون، يقفون في قارعة الطريق، يقذفون هذا، ويلعنون هذا... عليك أن لا تُسمع أذنيك ما يقولون، إنهم هُمّل. ولا تيأس، ثابر على عملك، كن واثقاً بالله، ثم بنفسك، وتوكل على الله.

كُنْ صَادِقًا وَلَا تَبَالٍ

حثَّ الإسلام على الصدق، فهو من الأسُس الأساسية في بناء سلوكيات المسلم الأخلاقية، والصدق لا يجتمع مطلقاً مع نقيضه (الكذب). هذا، وإننا نسجّل بعض الملاحظات من هذه الأساسيات الإسلامية في موضوعنا المطروح:

- 1- [وصف الله ﷻ ذاته بالصدق، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء/87.
- 2- وصف الأنبياء -عليهم السلام- بالصدق، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ مريم/41.
- 3- قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم/54.

وجعله من مقتضيات الإيمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة/119^[1]، قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق، حتى يُكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب، حتى يُكتب عند الله كذاباً﴾^[2].

وذكر أنه ينفع أهله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المائدة/119.

(١) - من كتاب معالم الشخصية الإسلامية، ص125 + 126، بتصرف.

(٢) - رواه البخاري برقم (6094).

إن الصدق خُلِقَ، ينبغي التزامه في كل أمر صغير وكبير، وتطهير النفس من أدران الكذب وسوء الظن. تلك هي الاستقامة التي ينادي بها رسول الله ﷺ.

[والصدق والإخلاص هما - في الحقيقة - تحقيق الإيمان والإسلام، فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين مؤمن ومنافق هو الصدق. ولهذا ذكر الله تعالى حقيقة الإيمان، ونعته بالصدق، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ الحجرات/14^{1}.

إن الكذب رذيلة، وهي من أقبح مساوئ الأخلاق، وهي من أهم صفات المنافقين: قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ النساء/50.

والكذاب هو خداع لئيم الطبع في المجتمع، وبين أهله، وفي عمله، قد ينشر أحد الكذب على أنه رأى وشاهد أخبار فلانة، أو يكذب على مديره في العمل، ويعمل المؤامرات... أو التاجر قد يكذب في بيان سلعته، أو المحامي قد يكذب أمام القاضي، ليأخذ حق الآخر لمصلحة موكله، وعنه ﷺ: ﴿ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب﴾^{2}، ومنهم من يقول هذا حلال، وهذا حرام، فيحرمه الله ﷻ من الفلاح، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل/116.

قال رسول الله ﷺ: ﴿ويلٌ للذي يُحدِّث بالحديث، ليضحك منه القوم، فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له﴾^{3}، وقال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يَوْمُنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَيْقَلْ خَيْرًا، أَوْ لَيْصِمَتْ﴾^{4}.

(١) - مكارم الأخلاق، ص127.

(٢) - رواه أحمد.

(٣) - رواه الترمذي.

(4) - رواه البخاري برقم (6475) جزء من الحديث.

لا تنطح الجبل

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾
الأعراف/10.

عندما أفكر بموضوع، أكتب الأهداف، ثم أحدّد ما هي الخطوات التي يجب أن أتبعها، لتنفيذها وفق إمكانيات الظروف المتاحة، إذا تعثّرت أي خطوة، أفكر بالخطوة البديلة، طالما الهدف منصوب أمامي، أفكر بالموضوع بكامل التبصر، وصدقوني، أدعو الله، وأتوكل عليه، إذا بالخطوات التي وضعتها تتحقّق بتسلسل غريب، سبحان الله.

أجل، ابدأ بالتفكير العقلاني، وبإرادة وتصميم في تحقيق هدفك، تذكر، لن تتجح إلا أن يكون مراد عملك متقبّل من الله تعالى، وأخلص النية، وستجد الطريق سالكة، قد تصادفك عقبة في هذا الطريق، قف، ولا تتراجع، قف، وفكر، هنا عقبة، كيف السبيل لإزالة هذه العقبة، لا تتراجع، إنما فكر بطريقة عملك، وكنت دائماً أشرح للآخرين، لو صادفك وأنت تسير على الطّرق صخرة ضخمة، لا محال، ستتوقّف! الطريق مقطوعة، ماذا أنت فاعل؟ الصخرة ضخمة جداً، هي كالجبل، ماذا ستفعل! هل تشبّط عزيمتك؟ ستتوقّف كل الأفكار الموصلة للحلّ.

- اسأل نفسك، بهدوء، وبدون تردد: ماذا أنا فاعل؟ صدّقني، يجب أن تحدثّ نفسك، اسأل نفسك، بهدوء، ماذا أنا فاعل؟، الجواب يأتي بسرعة.

- ترجّل من السيارة، ادرس الموقع، ادرس المشكلة، قيّم الموضوع (توقّف، لبرهة، عن المتابعة)، توقّف للاستكشاف، احذر، لا تتراجع للوراء.

- ادرس جميع العوامل الموصلة إلى هذا الأمر، ستجد الآتي: المثال صخرة ضخمة في الطريق، والمقصود مشكلة كبيرة، أو هدف لا يتحقّق.
أسئلة تدور في ذهنك:

1- هل بالإمكان أن أصعد على هذه الصخرة؟، أم أخترق الصخرة بالسيارة؟.

2- أن أتراجع، وألغي الرحلة (الهدف)؟.

3- أن أحاول الالتفاف والتفكير بالبدائل، طالما هذا الهدف من الممكن تحقيقه؟.

لو قررت المتابعة، لا محالة، سيتم الاصطدام بالصخرة، وتتكسر أنت وسيارتك. وإذا رجعت إلى الوراء، وعملت (وراء دُر)، تكون قد أفشلت كل مخطّطك، وانهزمت. هل تريد لنفسك ولفكرك هذه الهزيمة؟! لا .. لا .. لا .. قلّ لنفسك، واحفر في داخلك أنك رجل المهام الصعبة، وأنت صاحب إرادة وتصميم، ولا شيء مستحيل، طالما أفكر، ولدي القدرة على تنفيذ الهدف.

إذا؛ فكرّ بطريقة شفافة، قد تفكر بتغيير وسيلة النقل، أي أن تترك السيارة جانباً، وتسير وتقطع الصخرة، وتتابع مسيرتك، أي ركّز على تغيير الوسيلة، واستبدالها ببدائل أخرى، طالما الهدف واضح أمامك. وطالما أنك مؤمن بهذا الهدف، وتعمل بإخلاص، كنّ على ثقة، سترى آثار رحمة ربك قريبة جداً منك.

وستُفاجأ بأن وراء الصخرة هذه عشرات السيارات وعشرات الإمكانات والبدائل للمتابعة، طالما أنت صاحب عزيمة وإرادة، وتعرف ما تريد، تحرك، واحذر من الوقوف، لا تنتظر المساعدة من أحد، عليك بوضع هدفك، حاول أن ترسم طريقة العمل، وخطوات التنفيذ، لا تخف من التنفيذ، لا تخف من الظروف المحيطة، بل استفد منها، اجعلها لمصلحتك. واطلب من الله المعونة، وتوكل على الله، ولا مانع من المشورة، وخاصة أصحاب الاختصاص.

الهدف نبيل، وتحقيقه لا يضرّ أحداً، ومع هذا، دائماً حاسب نفسك، وعملك، هل هو نحو البوصلة بالاتجاه الصحيح؟.

فإذا عزمْتَ، فتوكل على الله. حدّد هدفك، نعم، قد تكون المعطيات قليلة، لكن؛ ابدأ، أمّا أن تنتظر، لتأتي كل الإمكانات، فلن تأتي أبداً، وعندها؛ تخسر الهدف، ابدأ بالإمكانات المتاحة، اكتب الخطوات، حلّها .. ادرسها، استفد ممّا معك، وما هو متاح، ابدأ عملك، ببسم الله، يتحقّق هدفك، وتنال مرضاة الله. وتذكّر كل نجاح في الحياة مرتبط بعزيمة وإرادة قوية في داخل الإنسان،

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران/159.

الأمانة

إن الإسلام أعطى المسلم مميّزات تشعره أنه هو راع لهذه الأمة، وذلك لأن الإسلام بثّ في المسلم روح المسؤولية، روح همّ الأمة، أي أن يكون كل مسلم أميناً على كل شيء، على أهله وماله، على عمله، على دينه، وهذا، وإن دلّ، فيدلّ على يقظة الضمير وحسّ المسؤولية وإدراك أن الأمانة هي صون حقوق الله، وحقوق العباد، هي مسؤولية سيُسأل عنها أمام ربّه، فلقد جعلت الأمانة من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون/8.

ونهى الله ﷻ عن الخيانة في الأمانة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأنفال/27.

أمر الله بحفظ الودائع. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ النساء/58.

وعنه ﷺ قال: ﴿كلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيته، والإمام راع، ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، ومسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، ومسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع، ومسؤول عن رعيته﴾^{1}.

إن الأصل في فطرة الإنسان الأمانة، وليس الخيانة، قال ﷺ: ﴿إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال﴾^{2}، وكان النبي ﷺ قبل البعثة يُوصَف بلقب ﴿الصادق الأمين﴾.

وقد أثبت القرآن هذا الوصف، كما قال تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الشعراء/107.

ضمان الجنة للأمين: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أضمنوا لي ستاً من أنفسكم، وأضمن لكم الجنة، اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم﴾^{1}.

(١) - البخاري برقم (2751).

(٢) - رواه البخاري برقم (6497) جزء من الحديث.

ويذكر القرآن الكريم في وصف موسى عليه السلام على لسان ابنة الشيخ الكبير قولها :
قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ القصص/26.
✓ عرفت أمانته من نخوته في السقاية لهما .
✓ عرفت أمانته في غضبه لبصره .
✓ عرفت أمانته في تقدمه في السير أمامها .
✓ عرفت أمانته في عفة لسانه لعدم تفوهه بأي كلمة .
✓ عرفت أمانته؛ لأنه القوي الأمين، وهذه الصفات تميز من وصفهم الله
قال تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ الإسراء/5.
إذا؛ الأمانة والصدق والوفاء بالعهد وإخلاص النية والعمل الصالح كلها تعطي
طاقة وإمكانات لحاملها . كلها مبادئ سامية، تشع قلب المؤمن نوراً، فيقوى إيمانه
وعقيدته، ويملاً قلبه نوراً، فأين؟ أين إبليس من هذا القلب؟ إنه هزيل يائس أخنس،
لا يستطيع مع هذا المؤمن أن يُوسوس له شيئاً، فتراه هزيراً مريضاً،
لأن أكله وشربه يقوم على الوسوسة، وتزيين الأمور القبيحة للإنسان، لكن المؤمن
القوي الذي يتصف بهذه الصفات الحميدة، يتابع طريقه الذي ارتضاه الله له،
وهو مطمئن وسعيد .
فصونوا الأمانة، وخاصة في أولادكم، وفي أسرركم، علّموهم مبادئ دينهم،
علّموهم معنى الفضيلة... كلنا سنسأل يوم الدين.
فاحذروا من تضييع الأمانة، فهي ثقيلة، حتى إن السموات والأرض والجبال
أشفقن منها، وحملها الإنسان، لكن؛ أي إنسان يستطيع أن يحمل هذه الأمانة؟
إنه المؤمن بالله العظيم، القوي الصادق، إنه ذو الهمّة الذي أدرك دوره في
الحياة، وأنه عليه الإصلاح، لا الإفساد .

الهمة والحياء لا تناقض بينهما

إن السلوكيات الأخلاقية المجتمعة تُظهر المؤمن كالوردة الحمراء، عندما يرى منظراً يخجل منه، أو يتحرّج من فعله، ترى وجهه يصبّب عرفاً، وأوردته حمراء، ما أجملك، أيها المؤمن، هكذا علّمنا رسول الله ﷺ الأخلاق بكل معانيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ الأحزاب/53.
(الحياء مُشتقٌّ من الحياة، فإن القلب الحي يكون صاحبه فيه حياً، فيه حياء يمنعه من القبائح)^{1}.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ﴿كان النبي ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها﴾^{2}.

ولاكتمال إيمان المرء أمور كثيرة، وشعب كثيرة، قال رسول الله ﷺ: ﴿الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان﴾^{3}.

وقال ﷺ أيضاً: ﴿الحياء لا يأتي إلا بخير﴾^{4}.

[قال العلماء: حقيقة الحياء خُلِقَ يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، وعن أبي القاسم الجنيد، رحمه الله، قال: ﴿الحياء رؤية الآلاء؛ أي النعم، ورؤية التقصير، فيتولّد بينهما حالة تُسمّى حياءً﴾، والله أعلم]^{5}.

تلك الأخلاق الإيمانية تطبع قلب المؤمن وفكره وعقله، فإذا تحدّث، كان هادئاً واثقاً من نفسه قوياً وصاحب كلمة حقٍّ وموقف، ولا يخشى في الله لومة لائم، ترى هيئته عن بُعد، يقول الكلمة والناس تُنصت له، صاحب همّة وعزيمة، صاحب قرار وحمية، صاحب أنفة وعزّة نفس، لا يخاف من صوت الرعد وجلجلة الصياح،

(١) - مكارم الأخلاق، ص73.

(٢) - البخاري برقم (6119).

(٣) - رواه مسلم برقم (35).

(٤) - رواه البخاري برقم (6117).

(٥) - شرح رياض الصالحين، ص270.

لا يريد الرضا إلا من الله ﷻ، هذا المؤمن الحق الذي يحبه الله ورسوله والمؤمنون، هذه من آيات الله تعالى يصنع بها المؤمن.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أَسْخَطَ اللَّهَ فِي رِضَا النَّاسِ، سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فِي سَخَطِهِ، وَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ، وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ، حَتَّى يَزِيَنَّهُ وَيَزِينَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِيهِ﴾ {1}.

هذا هو المؤمن الحق، يحمل يقيناً بالله مخلصاً لله في عمله وسلوكه وأمانته رحيماً للناس، وقال ﷺ: ﴿إِنْ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ﴾ {2}.

هو صاحب شكيمة صاحب المعروف والنهي عن المنكر هو ذو الهممة، يخدم هذا وذاك، إنه محرّك ناشط، إنه شعلة عطاء وحبّ وتفان، إنه قوي بالله، لكنه يستحيي من محارم الله، ويبتعد عن المحرّمات، عن الشهوات، عن أذية الناس، عن عبد الله ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ {3}. هذا هو ذو العزيمة، هو المؤمن القوي بالله، قال تعالى: ﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ الإسراء/5. همّه بلده كله، حياته وحياة الآخرين صاحب نخوة، يخدم هذا وذاك، يستمدّ طاقته من الله تعالى؛ لأنه مخلص لله، عهده مع الله، متوكّل بالله، وعنه ﷻ: ﴿مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ {4}، يركب الصعاب بدون تعب، ولا ملل مع عزّة النفس، فهو دائم التوكّل على الله تعالى؛ لأنه يعرف أن الله يمدّه بالقوة والإرادة والنصر.

(١) - المعجم الأوسط: الطبراني.

(٢) - الموطأ: الإمام مالك بن أنس.

(٣) - رواه البخاري برقم (2442).

(٤) - أخرجه ابن أبي الدنيا.

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قضى رسول الله ﷺ بين رجلين، فلما أدبر، قال المقضي عليه: حسبي الله، ونعم الوكيل، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيسِ، فَإِذَا غَلِبَكَ أَمْرٌ، فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^{1}. فكنّ من أهل العزم، وطلب الحياة بعزة وكرامة، واجعل إنجازاتك بقدر طموحك، فكنّ صاحب الهمة والعزيمة، فأنت المؤمن القوي، قال المتنبّي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

واحذر... من المتردد واليائس والضعيف الذي يشكو انكساراته الماضية، ويضع اللوم على الآخر؛ لأنه هو السبب. قال رسول الله ﷺ: ﴿المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن: قل: قدّر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾^{2}، هذا هو المؤمن الذي يصنع تاريخه بنفسه، ويريد الكرامة والعزة له ولأمته.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون/8.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّيْدُ فَيَدْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ الرعد/17.

فالعجز والجبن ليست من سمات المؤمن. لهذا كان النبي ﷺ يستعيز بربه من هذه المصائب الهدامة ﴿اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات﴾^{3}.

(١) - سنن أبو داود .

(٢) - رواه مسلم برقم (2664).

(٣) - رواه البخاري برقم (6367).

الفصل الثاني

الصبر على البلاء والشكر على الرخاء

قال رسول الله ﷺ: «الصبر ضياء»^{1}، لأنه نور من الله، يرسله للمؤمن، ليعصمه من الانهيار نتيجة الابتلاء، ويبصر به الطريق المستقيم، ومن كل مكروه قد يصيب المسلم، فيكون الصبر ضياء وسكينة له، لأنه مؤمن بقضاء الله تعالى. لذا؛ يجب أن يُعوّد نفسه على التحمّل، وعلى التماسك، وعلى الصبر دون كلل أو ملل. نعم، يوم لك، ويوم عليك، والدنيا في صعود وهبوط، فلا نجاح في الدنيا إلا بالصبر، ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر.

فانتظار الفرج مع محاولة إيجاد الحلول المناسبة، ودون الركون إلى الأزمة التي وقعت فيها، والبكاء على الأطلال والإحباط والانهيار واتهام الآخرين أنهم السبب فيما حصل، لأن المؤمن ثقته بالله أولاً عالية، وثقته بنفسه عالية، نعم، هي سحابة تمرّ... هي مرحلة تمضي... درس نتعلّمه... هو ابتلاء وامتحان. كل البشر سيمرّون به، فلا جزع، ولا خوف، بل صبر وتحمّل ومحاولة النهوض مرة أخرى بقوة وعزيمة وإرادة لا تنضب. هذا هو المؤمن الحق:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران/186.

قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ البقرة/216.

هذا المفهوم الديني يجب أن نضعه في عقولنا وقلوبنا، لأننا نؤمن بأن الخير كلّ من الله ﷻ، وأن ما يحدث من مصيبة أو ابتلاء لا بد أن يكون خيراً لهذه الأمة المؤمنة بالقضاء والقدر خيره وشره. ولنا نحن كأفراد.

[قال رسول الله ﷺ: «الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر»^{1}. وهما-أيضاً- وصفان من أوصاف الله تعالى، واسمان من أسمائه الحسنی،

(١) - أخرجه مسلم برقم (223) جزء من الحديث.

إِذ سَمَّى نَفْسَهُ صَبُورًا شَكُورًا، فَالْجَهْلُ بِحَقِيقَةِ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، جَهْلٌ بِكُلِّ شَطْرِي
الْإِيمَانِ، ﴿الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ﴾^{2}.

عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: دَخَلَ الْأَنْصَارُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: ﴿أَمُؤْمِنُونَ
أَنْتُمْ؟﴾ فَسَكَتُوا، فَقَالَ عُمَرُ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا عَلَامَةُ إِيْمَانِكُمْ، قَالُوا:
نَشْكُرُ عَلَى الرِّخَاءِ، وَنَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَنَرْضَى بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ ﷺ: مُؤْمِنُونَ، وَرَبُّ
الْكُعْبَةِ^{3}.

قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((بُنِيَ الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ:
الْيَقِينُ وَالصَّبْرُ وَالْجِهَادُ وَالْعَمَلُ، وَقَالَ أَيْضًا: الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ
الْجَسَدِ، وَلَا جَسَدَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ، وَلَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ))، وَالصَّبْرُ هُوَ ثَبَاتُ بَاعِثِ
الْخَيْرِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى قَمْعِ الشَّهَوَاتِ وَقَهْرِهَا (بَاعِثِ الْهَوَى)، وَتَبْدَأُ الْمَعْرَكَةُ فِي قَلْبِ
الْعَبْدِ، فَمَنْ ثَبَتَ وَقَهَرَ الْآخَرَ، فَازَ، فَإِنْ ثَبَتَ بَاعِثُ الْخَيْرِ، التَّحَقَّقَ بِالصَّابِرِينَ^{4}.

[قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الْبَقَرَةُ/153، فَالَسَّرَ هُوَ أَنْ مَنِ تَعَلَّقَ
بِصِفَةِ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى أَدْخَلَتْهُ تِلْكَ الصِّفَةَ عَلَيْهِ، وَأَوْصَلَتْهُ إِلَيْهِ. وَالرَّبُّ تَعَالَى
هُوَ الصَّبُورُ، بَلْ لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنْهُ، وَقَدْ قِيلَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ-
أَوْصَى إِلَى دَاوُدَ: تَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي، فَإِنْ مِنْ أَخْلَاقِي أَنِي أَنَا الصَّبُورُ﴾.

وَالرَّبُّ تَعَالَى يُحِبُّ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتَهُ، وَيُحِبُّ مُقْتَضَى صِفَاتِهِ، وَظُهُورَ آثَارِهَا فِي
الْعَبْدِ، فَإِنَّهُ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، عَفْوٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْعَفْوِ، كَرِيمٌ يُحِبُّ أَهْلَ الْكَرَمِ، عَلِيمٌ
يُحِبُّ أَهْلَ الْعِلْمِ، وَتَرٍ يُحِبُّ أَهْلَ الْوَتْرِ، قَوِيٌّ وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ
الضَّعِيفِ، صَبُورٌ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، شَكُورٌ يُحِبُّ الشَّاكِرِينَ، وَإِذَا كَانَ -سَبْحَانَهُ- يُحِبُّ
الْمُتَصِفِينَ بِآثَارِ صِفَاتِهِ، فَهُوَ مَعَهُمْ، بِحَسَبِ نَصِيبٍ مِنْ هَذَا الْإِتِّصَافِ، فَهَذِهِ الْمَعِيَّةُ

(١) - أَخْرَجَهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدِّيلَمِيُّ فِي مَسْنَدِهِ.

(٢) - أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتِ الْأَصْفِيَاءِ.

(٣) - أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ.

(٤) - مِنْ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ، ج٢، مِنْ ص١٣٩٩، وَص١٣٩٤، بِتَصَرُّفٍ.

خاصة، عبّر عنها بقوله تعالى في الحديث القدسي: ﴿فَإِذَا أَحْبَبْتُ عَبْدِي، كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَيدًا وَمُؤَيِّدًا﴾^{1}.

[وأصل كلمة الصبر: هو المنع والحبس، فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما، ويقال: صبر يصبر صبراً، وصبر نفسه، قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الكهف/28^{2}، والصبر هو حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ الرعد/22.

[إنما سمّي الصبر صبراً؛ لأن تمرّره في القلب وإزعاجه للنفس كتمرير الصبر في الفم]^{3}، فمن لم يصبر لم يظفر.

إن المؤمن أشدّ الناس تعرّضاً للمحن والمصائب. وكلما ازداد المؤمن إيماناً، ازداد البلاء عليه، وكله خير له، كما أكد نبي الرحمة ﷺ: ﴿ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها﴾^{4}.

لذلك كان الأنبياء -عليهم السلام- أشدّ الناس بلاءً، سئل رسول الله ﷺ: أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ قال: ﴿الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل. يُبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتدّ بلاؤه، ومن ضعف دينه، ضعف بلاؤه. وإنّ الرجل ليصيبه البلاء، حتى يمشي على الأرض ما عليه خطيئة﴾^{5}.

هل إيمان الإنسان سيخضع لامتحان من الله ﷻ؟

عائلة تعيش برغد ووضع اجتماعي جيد، ولأسباب كثيرة، تتغيّر معيشتها لضعف دخل رب الأسرة، لا يوجد عمل! انتكاسات اجتماعية أخرى، الأولاد ينشأ بينهم صراع، الكل لا يعرف ماذا يريد، فقط تبرّم من هذا الوضع، سخط!

(١) - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص36.

(٢) - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص14.

(٣) - من كتاب ذمّ الهوى، ص63.

(٤) - رواه البخاري برقم 5641.

(٥) - صحيح ابن حبان: الحافظ محمد بن حبان التميمي.

ضغط نفسي، قلق، همّ وغمّ، اللعنة على ما حلّ بهم! الكل يعزّون السبب إلى الآخر، مَنْ هو؟ هو شماعة، قد يكون أخاهم، وقد تكون المدرسة، وقد يكون المجتمع، المهمّ يدورون في دائرة مفرغة بعيدة عن تحكيم العقل وضبط السلوك الأخلاقي، ممّا أدخلهم في مرحلة الجزع وتحميل أنفسهم أموراً لا مبرر لها .

إن الصبر والجزع ضدّان، ولهذا يقابل أحدهما الآخر. قال تعالى عن أهل النار: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ إبراهيم/21.

والجزع قرين العجز، ومنّ دخل حلقة الجزع، والهلع، والاضطراب، وعدم القدرة على الصبر، والسخط على الحال، فإنه -لا سمح الله- يقترب من الرسوب في الامتحان الإلهي، وهذا سيؤدي إلى عواقب وخيمة لاحقاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَاتِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يونس/12.

الدنيا حفّت بالمكاره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿حُجِبَتِ النار بالشهوات، وحُجِبَتِ الجنة بالمكاره﴾^{1}.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد/3.

من أول امتحان وابتلاء نرسب وننهار! نعم، ضاقت عليك الأرض بما رحبت، وضاقت معك الأحوال المادية، أنتَ وهو وهي وأنا ونحن وكلنا.. ماذا؟ أ تسرق؟ أتجعل الحرام حلالاً؟ ما بك؟ ما هذا الذي يحدث اليوم؟ الكل في دوامة الحياة سخط في سخط؟ عليك بنفسك وعائلتك، وضعك المادي متوسط! الحمد لله، ربّ العالمين، قد تكون أفضل من تلك العائلة الميسورة، لا تحسدّهم، لا تبغضهم، قد يكون مالك حلالاً، وماله حراماً، هو تحت الابتلاء والامتحان الإلهي! تريد أن تحسّن وضعك، اعمل عملاً إضافياً، ادع الله أن يرزقك أنتَ وزوجتك، لا أن تبدّل دينك بدنالك، وتهلك نفسك، ثم تقول هو ابتلاء من الله تعالى.

(١) - رواه البخاري برقم (6487).

لا.. لا، هو من نفسك التي أوصلتك لهذا. قال رسول الله ﷺ: ﴿لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفقه آناء الليل والنهار﴾^{1}، فجعل الغني مع الإنفاق بمنزلة القرآن مع القيام به.

وعنه ﷺ قال: ﴿وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر﴾^{2}.

اصبر على ما أصابك، ولا تجزع، أنت مؤمن بالله، قد تفقد ابنك الشاب! قد تفقد وظيفتك! قد تمرض زوجتك، أو تموت! قد لا تتزوجين، أيتها الفتاة! قد يكون زواجك فاشلاً! احذر من الانهيار والهزيمة، فتفقد الأمل، وتفقد رضا الله، أ فلا تصبر وتقوي عزيمتك بالثبات والتحمل والاحتساب على الله، وتذكر قول رسول الله ﷺ: ﴿إنما الصبر عند الصدمة الأولى﴾^{3}.

اسأل الله أن يقوي عزيمتك، ويثبتك على ما أنت عليه، ويرضيك بقضائه. وعنه ﷺ قال: ﴿إذا أحبَّ الله قوماً، ابتلاهم، فمن رضي، فله الرضاء، ومن سخط، فله السخط﴾^{4}.

هذا السخط هو سخط على قضاء الله وقدره، فتكون قد أدخلت نفسك في الاعتراض على حكم الله، وتهرب إلى الوراء، فأنت عاجز منهزم. ادعُ الله.. ادعُ الله. اقترب منه، اسجد لله أن يثبتك ويقوي عزيمتك، وأن يعلمك الصبر، واسأل الله العافية، لأن الحياة كلها امتحانات، وعلينا أن نستمسك بالعروة الوثقى، ونجتهد في حمل الأمانة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ الأعراف/126.

كما قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، وتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يونس/49.

(١) - رواه مسلم برقم (815).

(٢) - رواه البخاري برقم (1469) جزء من الحديث.

(٣) - رواه البخاري برقم (1283) جزء من الحديث.

(٤) - رواه الترمذي.

لأنه كله خير لك ولأهلك ولدينك، وكن راضياً، تتج، وتفز، حمل في قلبك يقيناً أن هذه الابتلاءات هي رحمة من الله إليك، ونتائجها ستظهر في الدنيا أو الآخرة، اصبر، اصبر، اصبر، وادع الله بالفرج، واحتسب، واسترجع، وقل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة/156.

تعوّد على المصابرة، وادع الله الثبات. وعنه ﷺ قال: ﴿وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ، يَغْفِرَ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ، يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ، يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾ {1}.

ما هي الأسس العامة التي تُعين المبتلى

1. الرضاء بقضاء الله خيره وشره. يقول الله تعالى في الحديث القدسي: ﴿مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى بِلَائِي، وَلَمْ يَشْكُرْنِي عَلَى نِعْمَائِي، وَلَمْ يَقْنَعْ بِعَطَائِي، فَلْيَطْلُبْ رَبًّا سِوَايَ﴾ {2}.

2. عند البلاء والامتحان اللجوء إلى الله، والتضرع إليه، وطلب التوبة والمغفرة، وكشف الضر، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ الأنعام/43. أن يعلم المبتلى أنه عبد الله. وكل ما لديه من نعمه: من مال، أو ولد، أو صحة، أو جاه، هو ملك لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ النحل/53، ليميز الخبيث من الطيب، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الأنفال/37، فيظهر صدق الصادق وكذب الكاذب.

3. أن تعلم أن الدنيا دار تكليف وابتلاء، فلا تستغرب وقوع المصائب.

4. قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا، يَرِيحُ الْقُلُوبَ وَالْبَدْنَ، وَإِنَّ الرِّغْبَةَ فِي الدُّنْيَا، تَطِيلُ الْهَمَّ وَالْحَزْنَ﴾ {3}، قد يكون ابتلاء المرء في دينه، هذا الاختبار لا يزيد المؤمن إلا إيماناً وتسليماً، والمنافق يظهر على ما في قلبه من مرض إلى لسانه وجوارحه.

(١) - رواه البخاري برقم (1469) جزء من الحديث.

(٢) - مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، ص22.

(٣) - رواه الإمام أحمد.

5. المصيبة واقعة ومقدرة منذ الأزل، ومكتوبة بعلمه القديم في اللوح المحفوظ، فلا تحزن، ولا تدم، ولا تتوقف عن السير، فإن الله أراد ذلك، ولا راد لقضائه، فكن مؤمناً بقضاء الله خيره وشره. ومن أراد الإيمان بقضاء الله، عليه أن يكون مستسلماً لله في كل شيء، ويلتجئ إليه، لا لغيره، وأن يتوكل عليه، ويفوض أمره إليه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحديد/22، فلا ينجي حذر من قدر. إذا؛ عليك أن تؤمن بمشيئة الله كاملة شاملة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان/30، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يونس/49.

6. استعن بطوق النجاة بالصلاة والصبر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة/153، [قال الصابوني: ﴿فبالصبر تتألون كل فضيلة، وبالصلاة تنتهون من كل رذيلة﴾^{1}.

7. تذكر بعض ابتلاءات نبي الأمة محمد ﷺ: شج وجه نبينا محمد ﷺ، وأدميت قدماء، وحُوصر في شعب مكة، وكسرت رباعيته، وأثم بعرض زوجته، وصبر، إنه ابتلاء عظيم، ما أجمل ما قاله نبينا محمد ﷺ عند موت ابنه إبراهيم: ﴿إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك، يا إبراهيم، لمحزونون﴾^{2}.

8. عليك باختيار الأصدقاء، والتقرب من أهل الصلاح والخير، تهون هموم الدنيا. عنه ﷺ قال: ﴿لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي﴾^{3}. وقال أيضاً: ﴿خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره﴾^{4}، وقال أيضاً: ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً﴾^{1}.

(١) - صفوة التفاسير، ص90.

(٢) - رواه البخاري برقم (1303).

(٣) - سنن أبو داود.

(٤) - المستدرک للحاکم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ البقرة/237. فمساعدة المبتلين والوقوف معهم من سمات وأخلاق المؤمن ﴿كل معروف صدقة﴾ {2}.

وعنه ﷺ قال: ﴿مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ {3}.
أحمد الله على لطفه، واشكره على ما أبقي، واطلب العافية والاستعانة بالله، وتوكل عليه، والتجئ إليه.

11- إن الجزع واليأس والإحباط والهلع واللعن والسخط كلها ليست من صفات المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً {21} إِنَّا الْمُصَلِّينَ {المعارج/19-22}.
فاحذر من السخط، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ محمد/28، وقال ﷺ: ﴿وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ، قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحْ عَمَلَ الشَّيْطَانِ﴾ {4}.

12- الرضا والاطمئنان في عدل الله والصبر على الابتلاء: فما أجمل النفس المطمئنة الراضية لعدل الله وحكمته ورحمته، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ آل عمران/182.

ويعقوب الكحلل قال بعد فقد ابنه يوسف، قال تعالى: ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف/18.

[أي فاصبر صبراً جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقت عليه، حتى يفرجه الله بعونه ولطفه، وقال مجاهد: الصبر الجميل الذي لا جزع فيه، وقد روى مرفوعاً عن حيان بن أبي حيلة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل، فقال: صبر، لا شكوى فيه﴾، وقال الثوري: ((ثلاث من الصبر: أَنْ لَا تَحْدُثَ بِوَجْعِكَ،

(١) - رواه البخاري برقم (6026).

(٢) - رواه البخاري برقم (6021).

(٣) - أخرجه ابن أبي الدنيا.

(٤) - رواه مسلم برقم (2664) جزء من الحديث.

ولا بمصيبتك، ولا تزكّي نفسك))، وذكر البخاري هنا حديث عائشة في الإفك، حتى ذكر قولها: والله لا أجد لي ولكم إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^{1}.

○ تَكَلَّفَ الصَّبْرُ: أي حاول أن تصبر، فإن الله -لا محال- سيرزقك الصبر، ﴿وَمَنْ يَتَصَبَّرْ، يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أَعْطَى أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾^{2}.

○ الالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ: والتضرّع إليه، فيحوّل المحنة إلى منحة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ الأنعام/43، وهناك أدعية كثيرة تساعدك على اجتياز المحنة: ﴿اللهم، لا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا﴾، ﴿اللهم، اجعلني ممّن دعاك، فأجبتّه﴾، ﴿اللهم، أجرني في مصيبي، واخلفني خيراً منها﴾.

○ سَوَّالُ اللَّهِ بِدَعَاءِ الْكَرْبِ: كان رسول الله ﷺ يدعو عند الكرب: ﴿لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربّ السموات والأرض، ربّ العرش العظيم﴾^{3}.

○ التَّعَوُّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ: كان رسول الله ﷺ يتعوّذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء^{4}.

(١) - مختصر تفسير ابن كثير، ج2، ص240.

(٢) - رواه البخاري رقم (1469) جزء من الحديث.

(٣) - رواه البخاري برقم (6345).

(٤) - رواه البخاري برقم (6347).

بيان فضل الصبر

1- لقد بُشِّرَ الصابرون بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿155﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿156﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ البقرة/155-157.

[رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((ما أصابتنى مصيبة إلا وجدتُ فيها ثلاث نعمة: الأولى: أنها لم تكن في ديني، والثانية: أنها لم تكن أعظم مما كانت، الثالثة: أن الله يجازي عليها الجزاء الكبير، ثم تلا قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾﴾ البقرة/157]]^{1}.

2- وكذلك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ المؤمنون/111.

3- والتواصي بالصبر قرين التواصي بالحق. وقد أقسم الله ﷻ على أن الفلاح والفوز للإنسان يعتمد على الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق مربوطاً بالصبر. قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿1﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿2﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر. 4- وجعل منهم أئمة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ السجدة/24.

5- أعطاهم الجنة، قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل/97.

6- ابتلاء وتكفير الذنوب (كفارة المرض).

(١) - من صفوة التفاسير، ص90، للصابوني.

عنه ﷺ قال: ﴿ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياها﴾^{1}.

[قال ابن جرير: كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر جموعاً من الروم، وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد؛ فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة، يجعل الله له بعدها فرجاً، إنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران/200]^{2}.

ولهذا قيل ﴿الصبر معرفة﴾؛ أي إذا عرفت الله، صبرت على أحكامه، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الطور/48.

قال الغزالي: (ليس بالإمكان أبدع مما كان)، أي هذا الواقع الذي أنت فيه هو أفضل ما يكون لك، فاحتسب، واصبر، وتوكل على الله.

﴿لو علمت بالغيب، لرضيت ما بالواقع﴾، وردد كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ النساء/78.

(١) - رواه البخاري برقم (5642).

(٢) - مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص353.

كُنْ عَبْدًا شَكُورًا

[قال د. راتب النابلسي، جزاه الله خيراً: قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ النساء/147، لأن الشكر دليل رؤية النعمة، ولكن قارون ادّعى عكس ذلك ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص/78.

ليست هذه النعمة من نفسك ومجهودك، بل كل النعم هي من الله ﷻ، فالؤمن يجب ألا تفارق لسانه عبارة ﴿هذا من فضل الله عليّ﴾؛ لأن ﴿الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر﴾ {1}.

قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ لقمان/20، النعم الباطنة قد تكون المصائب، قد تعرف الله بالمصيبة، فتستقم لأمر الله، وتتب إلى الله، وما كان لك أن تتوب، لولا هذه المصيبة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرِّخَاءِ، يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ﴾ {2}.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ إبراهيم/6.

إن تسليط الهم والغم وقلة النعم والمصائب سببه الابتعاد عن الله ﷻ ومنهج الإسلام، بسبب غفلة الناس، عودوا إلى الله، تضرعوا إليه، اذكروا الله.. اشكروا الله على نعمه.

وإن القرآن يقول لك: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأعراف/144. وما أجمل الرضا بما كتبه الله لك ولها ولنا جميعاً.. الرضا والقناعة بما قسمه الله في هذه الدنيا، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم/7.

(١) - أخرجه أبو منصور الديلمي.

(٢) - رواه أحمد.

إن شكر الله يستدعي المزيد من النعم، فإذا أردت أن تزيد النعم التي من الله عليك بها، فاشكرها، اللهم ألهمنا الشكر، وقل: (هذا من فضل الله علي)، وصف الله تعالى سيدنا إبراهيم بقوله: قال تعالى: ﴿شَاكِراً لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النحل/121.

الأغبياء يرون النعم عندما تزول، والمؤمنون يرونها وهي موجودة، من دون أن تزول، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ إبراهيم/34، نعمة واحدة، ولو أمضيت عمرك في معرفة فروعها لما كفت المدّة. لذا؛ علينا شكر الله ﷻ، ليسعد بنا، ونسعد به^{1}.

[قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾ الإنسان/22. فجمع لهم سبحانه بين الأمرين: شَكَرَ سعيهم، وأثابهم عليه، والله تعالى شكر عبده، إذا أحسن طاعته، ويغفر له، إذا تاب إليه. فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته، إنه غفور شكور^{2}.

وقال رسول الله ﷺ: ﴿عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له﴾^{3}.

[الحمد يتضمن المدح والثناء على الممدوح، ويذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على الإحسان المشكور إلى الشاكر، ولهذا قال رسولنا ﷺ: ﴿الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله، لم يشكره﴾، ففي الفاتحة الشكر والتوحيد^{4}.

(١) - محاضرات، د. محمد راتب النابلسي، موقع موسوعة النابلسي.

(٢) - عدة الصابرين، ص204.

(٣) - رواه مسلم.

(٤) - من مكارم الأخلاق، ص119.

وفي السنن، عنه عليه السلام: ﴿مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ: اللَّهُمَّ، مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ، وَحَدِّكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ، إِلَّا أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ﴾ {1}.

وعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؟ فقال: ﴿أفلا أكون عبداً شكوراً﴾ {2}.

[قال وهب بن منبه: رؤوس النعم ثلاثة: فأولها: نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.]

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ تَفْضِيلاً، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ تِلْكَ النِّعْمَةِ.

وقال كعب: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا، فشكرها لله، وتواضع بها، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة.

وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا، فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقات من النار، يعذب به إن شاء، أو يتجاوز عنه {3}.

إذاً؛ علينا بحمد الله وشكره، ونسأل الله العفو والعافية والمعافة في الدنيا

والآخرة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدُّوا، وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنِينَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ: إِمَّا مُحْسِناً، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزِدَّادَ خَيْراً، وَإِمَّا مُسِيئاً، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ﴾ {4}.

(١) - أخرجه أبو داود.

(٢) - رواه مسلم برقم (2819).

(٣) - عدة الصابرين، ص 105، وص 106.

(٤) - رواه البخاري برقم (5673).

ولهذا كان رسول الله ﷺ يدعو بأدعية، وعلينا أن ندعوا الله بها، كان يتعوذ من زوال النعم، فكان يقول ﷺ: ﴿اللهم، إني أعوذ بك من زوال نعمتك عليّ، وتحول عافيتك، وفجأة نعمتك، وجميع سخطك﴾^{1}.

وقال أيضاً: ﴿اللهم، عافني في بدني، اللهم، عافني في سمعي، اللهم، عافني في بصري، لا إله إلا أنت﴾^{2}، وقال ﷺ: ﴿قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه﴾^{3}.

فكيف لا نحمد الله ونشكره على النعمة الأولى نعمة الإسلام التي من الله علينا بها، فما بالكم بنعم كثيرة وكثيرة، ولكن الجاحدين كثر، لا يشكرون الله، ولا يؤدّون حق النعم هذه، فكان جزاءهم كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾^{16} ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ سبأ/16-17.

[فأعرضوا عن شكر النعم، وكفروا بالله، فأرسلنا عليهم سيل العرم الذي دمر الله به سد مأرب الذي أقيم بين جبلين، للتحكم في ماء المطر، فأغرق الأراضي والبساتين، وأهلك الحرث والناس. وسيل العرم: هو السيل الذي لا يُطاق لقوته وشدته]^{4}.

إذاً: هذه هي العاقبة التي حلت بهم، وبكل قرية، وبكل عائلة، وبكل فرد. من يبدل النعمة بالنعمة، فتتحول العافية والنعمة إلى عقوبة، على ظلمهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُنُوْبِهِمْ﴾ الأنعام/6، هذه من سنن الله تعالى.

(١) - رواه مسلم برقم (2739).

(٢) - الإمام النسائي من كتاب عمل اليوم والليلة برقم (572).

(٣) - رواه مسلم برقم (1054).

(٤) - الموسوعة القرآنية الميسرة: الاستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، ص 431.

كُنْ رَحِيماً لِّئِنَّ الْقَلْبَ

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة/128، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء/21.

الرحمة المهداة من خالق السموات والأرض إلى الناس جميعاً ولهذه الأمة خاصة. وكما اتفقنا، فعلينا أن نتأسى بأخلاقه وسلوكه وتصرفاته.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: ﴿يا رسول الله: أخبرني بعمل، يدخلني الجنة، فقال النبي ﷺ: تعبد الله، لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم﴾^[1]، وهذه الرحمة من وصلها، وصله الله.

[فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؟ قال: نعم، أما ترضي أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، يا رب، قال: فهو لك، قال رسول الله ﷺ: فافقروا إن شئتم، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد/22﴾^[2].

إن المؤمن بالله نفسيته رضية، وبواعث الخير فيه كثيرة، ويعرف أن يفرق بين الخير والشر، فلديه ميزان واضح. المؤمن لا يخنس، ولا يضعف، طالما يوجد بينه وبين ربه حبل، لا ينقطع أبداً أبداً، طالما هو يمشي على الطريق المستقيم، ويعمل صالحاً، لوجه الله، مخلصاً لدينه، أميناً صادقاً، وفياً لعهد، رحيماً مع أهله والناس أجمعين، قلبه وعاء كبير، كأنه الأخ الأكبر لهم، صاحب همّة، لا يظلم، يتوخى الحقيقة صابراً محتسباً.

(١) - رواه البخاري برقم (5983) جزء من الحديث.

(٢) - رواه البخاري برقم (5987).

وقال ﷺ: ﴿وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان ومُقسط مُتصدّق موفق، ورجل رقيق القلب لكل ذي قُربى ومسلم، وعفيف متعفّف ذو عيال﴾^{1}.
والله ﷻ كتب على نفسه ﴿إن رحمتي تغلب غضبي﴾^{2}، وهو الرحمن الرحيم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ المؤمنون/118.

وعنه ﷺ قال: ﴿ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾^{3}، هذا التراحم والتكافل بين المؤمنين لو طُبّق في مجتمعا وبين كل الناس برباط البرّ والإحسان والإيثار، لكان مجتمعا خلّاقاً مبدعاً، لا تسوّل، ولا فقر، ولا همّ، ولا غمّ. الكل يحبّ الآخر، ويقدم يد العون للآخر. قال ﷺ: ﴿المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضه بعضاً﴾، ثم شبك بين أصابعه^{4}.

وقال أيضاً: ﴿ألا إن في القلب مضغة، إذا صلحت، صلح سائر الجسد، وإذا فسدت، فسد سائر الجسد، ألا وهي القلب﴾^{5}، فالمؤمن وعاء قلبه مملوء بنور الله تعالى. إن الرحمة لا تجتمع مطلقاً مع قسوة القلب، لأن كل العواطف محلّها القلب، فكيف إذا كان القلب قاسياً؟! قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة/74.

فقسوة القلب داء الغلظة، وهي صفة الجبارين المتكبرين الكفّرة.
أمّا المؤمن؛ ففي قلبه نور من الله، نور الحق، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الزمر/22.
لهذا كان رسول الرحمة المهداة ليّن القلب، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران/159.

(١) - رواه مسلم جزء من الحديث برقم (2865).

(٢) - مسلم برقم (2751).

(٣) - رواه البخاري برقم (6011).

(٤) - رواه بخاري برقم (6026).

(٥) - رواه البخاري برقم (52) جزء من الحديث.

كان رحيماً منذ نعومة أظافره، فعندما كان في غار حراء يتعبد، جاءه الملك، فقال: ﴿اقرأ﴾ قال له: ما أنا بقارئ، أكثر من ثلاث مرات. فرجع رسول الله ترجف بواده، حتى دخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني، زملوني، فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، ثم قال لخديجة: أي خديجة، ما لي؟ وأخبرها الخبر، ثم قال: لقد خشيتُ على نفسي، قالت له خديجة: كلا، أبشر، فو الله، لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلا، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^{1}.

لذلك سرعان ما تراجعت إليه نفسه، وكان موقف زوجته خديجة من أشرف المواقف التي تُحمد لامرأة في الأولين والآخرين، طمأننته حين قلق، وأراحته حين جهد، وذكرته بما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأبرار أمثاله لا يُخذلون أبداً، وأن الله إذا صنع رجلاً على مكارم الأخلاق والمناقب السخية، يجعله أهل إعزازه وإحسانه، وبهذا الرأي الراجح والقلب الصالح، استحققت خديجة السلام من رب العالمين، مع الروح الأمين.

هذا هو نبي الرحمة صاحب أنبل مشاعر عرفتها الإنسانية، أتعلمون ماذا تعني قسوة القلب؟ هو مرض فتاك، إذا دخل إلى القلب، يمتص منه ماء الرحمة، ويجفف منابع الرحمة والعواطف الإنسانية والرفقة، فيصبح صاحب القلب قاسي الطباع، غليظ القلب، أناني الهوى، إنه ابتعد عن ذكره لله، فأعرض عنه، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ 29 ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾ النجم/29-30.

هو عديم الشعور بالآخرين، همُّه مصلحته، أناني حاقد، يتصرف كالحيوان، لا يبالي، ومصلحته قد تقتضي تدمير الآخر، ويصبح قلبه فاسداً، لأنه تعشق هواه، [عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿القلوب أربعة: قلب أجرد، فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد، فقلب المؤمن، سراجُه فيه نور، وأما القلب الأغلف، فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس، فقلب المنافق، عرف، ثم أنكر، وأما القلب المصفح؛ فقلب فيه إيمان ونفاق﴾، أخرجه أحمد في مسنده.

(١) - فقه السيرة، ص 87 و 88.

ولهذا كانت أمراض القلوب كثيرة، ويتعلق مرضها ببعدها عن الله تعالى وهداه، فالذي أوعى في قلبه حبّ ذاته وأنانيته المفرطة، فهو لا يرى إلا نفسه، ولا يبالي بالآخر، مهما كانت صلته به، فأحب وعشق نفسه، فضلّ بحبّ هواه، فهو بليد المشاعر، قال ﷺ: ﴿حُبِّكَ الشَّيْءُ يَعْمي، وَيُصِمُّ﴾ رواه أبو داود في سنّنه. وعنه ﷺ: ﴿إِنْ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَ النَّاسَ اتِّقَاءَ شَرِّهِ﴾^{1}، فيجرح هذا وذاك.

فعلينا أن نعمل على تليين قلوبنا بذكر الله وبالصدقّة، لكي يزداد فينا نور الله في قلوبنا، علينا أن نساعد ونرحم كبيرنا، ونعطف على صغيرنا، وعلى الأرملة والمسكين. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^{2}.

إن الرحمة والرفق سمة المؤمن، وقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ﴾^{3}، فعلى المؤمن أن يمدّ يده لكل الناس، يقدم العون للأرملة والمسكين، يفرّج الكرب عن المؤمنين، ويخفّف عنهم مصائب الحياة، وهمومها ونكداتها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مَعْسَرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ﴾^{4}، فهذا هو ديننا دين المحبة والتسامح دين الفضيلة دين الرحمة.

(١) - رواه البخاري برقم (6032).

(٢) - رواه البخاري برقم (6007).

(٣) - أخرجه مسلم برقم (2594).

(٤) - أخرجه مسلم برقم (2699).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطي منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعطي ممسكاً تلفاً﴾^{1}.

عن النبي ﷺ قال: ﴿على كل مسلم صدقة، فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه، ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة﴾^{2}، ولهذا؛ قال رسول الله ﷺ: ﴿اتقوا النار، ولو بشق تمر، فإن لم تجد، فبكلمة طيبة﴾^{3}.

(١) - رواه البخاري برقم (1442).

(٢) - رواه البخاري برقم (1445).

(٣) - رواه البخاري برقم (6023).

الفصل الثالث

كُنْ صَاحِبَ بَصْمَةٍ وَمَبْدَأٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَلَا تَعْجِزْ

الحياة مواقف، فعليك أن تكون فيها كالأسد شجاعاً صاحب نخوة ومروءة صاحب عزة وكرامة، واحذر من الهزيمة والانكسار، احذر من الهوان والوضاعة والجبن، فأنت مؤمن، والمؤمن شجاع، يقف بثبات ورباط في مواجهة أي حدث. كن دائماً متفائلاً مقداماً، مهما أحاطت بك الظروف، كن عزيزاً بريك، وبدينك، وبنفسك. هو كبرياء الإيمان، لا كبرياء الطغيان، كن صاحب هيبة واحترام من الآخرين.

واحذر الخنوع والذلة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ آل عمران/139، وقال أيضاً: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة/62. فطالما إيمانك قوي بالله، فلا تقنط من رحمته، ولا من عفوه، وابتعد عن الحزن واليأس، لأنه يكدر معيشتك، ويجعلك في همٍّ وحزنٍ، فتدخل في التشاؤم وعدم الرضا، وعندها؛ تسخط، وقد تدخل في غضب الله عليك، أقبل على العمل والحياة بهمة عالية وقوة، ولا تعجز، وعنه ﷺ قال: ﴿المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف! وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا، لكان كذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾^{1}.

نعم، هذا هو المؤمن، كله لله، في سكّاته، في عبادته، في كل حياته، في أعماله، فعليه أن يكون قوياً، بريّه، وبدينه.

(١) - رواه مسلم برقم (2664).

ودعاء رسول الله ﷺ: ﴿اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات﴾^{1}.

توكل على الله، لا تتواكل، تنبض بالحركة والسعي، اجعل التوكل على الله أملاً باسماء، لا ينقطع، ورجاء واسعاً، لا يضيق، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَّاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف/87.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ أَصْبَحَ حزيناً على الدنيا، أَصْبَحَ سَاخِطاً على ربه، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مَصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ، فَإِنَّمَا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ تَضَعُضَ لَغْنِي، لِيَنَالَ مِمَّا فِي يَدَيْهِ، أَسَخَطَ اللَّهُ﴾^{2}.

الحديث هذا يُعلم المسلم أنَّ لا يكون حزيناً على بعض أمور الدنيا، إنَّ فقدها، وعدم الشكوى في المصيبة. والحدِّر، أيها المسلم من الهوان والاستذلال للآخر، أنت القوي، كنَّ صاحب شهامة وعزَّة، فعن عبد الله بن مسعود قال: ((ما زلنا أعرَّة، منذ أسلم عمر)).

نعم، قد تفقد منصبك، وتخسر، نتيجة موقف ناجم عن عزَّة وإباء، هذا هو مقام الترفع والعزَّة والكبرياء، لا تكنَّ وضيعاً، انتصر على مَنْ بغى عليك، فأنت ذو الشكيمة والأنفة، أنت من أهل الشهامة والنخوة، فكنَّ مع الحق، وانتصر له، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى/39.

﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ البقرة/194.

قال رسول الله ﷺ: ﴿ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمة، وتنتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن، يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك من حرمة،

(١) - رواه البخاري برقم (6365).

(٢) - أخرجه الطبراني.

إلا نصره الله في موطن، يحبّ فيه نصرته^{1}، وعنه ﷺ قال: ﴿المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه﴾^{2}.

قد تألم لما أصابك، فقوة الألم أو محرّك الألم قد يفجّر في نفسك طاقات إبداعية للعمل، اجعل بين عينيك هدفاً سامياً، وتحرك للنهوض، لكنّ؛ كنّ صاحب مبدأ، والمؤمن هو من يملك هذا المبدأ والموقف.

كنّ قوياً، لا تضعف أمام أي عقبة، فكثيرة هي المصاعب، تماسك، لا محال، ستمرّ هذه السحابة، ولكنّ؛ لا تذلل نفسك لأحد، كنّ متواضعاً لإخوانك المسلمين. قال ﷺ:
﴿.... ما زاد الله عبداً بغفو، إلا عزاً، وما تواضع أحد لله، إلا رفعه الله﴾^{3}، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ النحل/23.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا، إلا وضعه﴾^{4}، وقال بأبي هو وأمي: ﴿إن الله يحبّ معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها﴾^{5}. لا تكنّ مستباحاً لكل انتهازي وغاصب.. لا تكنّ إمعة.. لا تكنّ مثبطاً لعمل الخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ محمد/38.

إذا طلبت حاجة من الآخر، لا تطلبها وأنت مطأطئ الرأس، ضعيف الحيلة، اطلبها وأنت بعزة نفس، لأن المعطي والآخذ هو الله، فلا تخفّ، عن ثوبان ﷺ كنّ صاحب بصمة في عملك في مجتمعك، فلا تكنّ إمعة لأحد أبداً، أنت صاحب كرامة. تذكر أنّ الله هو الرازق، فلا تخفّ من أن يقطع رزقك أيّ مخلوق على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات/22.

روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ﴿لا ترضين أحداً سخط الله، ولا تحمدين أحداً على فضل الله، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن

(١) - رواه أبو داود، وحسنه الألباني.

(٢) - رواه مسلم رقم (2580) جزء من الحديث.

(٣) - رواه مسلم برقم (2588) جزء من الحديث.

(٤) - رواه البخاري رقم (6501).

(٥) - رواه الحاكم.

رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص، ولا تردّه عنك كراهية كاره، وإن الله بسطه وعدله، جعل الروح والفرج في الرضا واليقين، وجعل الهمّ والحزن في السخط^{1}.
لا يعني جحود المعروف رفض الفضل والمعروف لمن أسداه، بل كما قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَا يَشْكُرِ اللَّهَ﴾^{2}.

الابتعاد عن حطام الدنيا وهمومها

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص/77.

لو نظرنا وقرأنا ما يُكتب في الوضع الاجتماعي لأهل الغرب عموماً، نجد أكثرهم في حالة إحباط شديد وقلق، مع توتر عال جداً، ذلك لأن معركتهم الأولى معركة كيف السبيل والأسرع للحصول على المكاسب المادية وتكاثرها، لأن السعادة بمفهومهم كم ربحت وكسبت! فمنهم من يعيشون كالمحرّكات الأوتوماتيكية، صحيح بتنظيم دقيق، لكن؛ لا يوجد هدف واضح لحياتهم، إنهم بعيدون عن الأمان، وعن الطمأنينة [فيعتقدون أن الفضيلة في الفائدة العملية، وأن الفارق بين الخير والشر هو النجاح المادي]^{3}.

ولكن هذا السباق بدأ يغزو بلادنا العربية والإسلامية، فازدادت مراكز تعليم كيفية أن تكون غنياً، وكيف تستطيع أن تصبح رئيساً للدائرة، مادة في مادة، وهذا حقّ طبيعي، ومن لوازم الحياة المعاصرة، لكن جمهور الناس جرفتهم الحياة المادية، فازدادوا في التعلّق بها، يريدون الثراء، ولو كان حراماً من صفقة مشبوهة، أو من رشوة، أو من ربا، دوامة في دوامة، ليكسبوا أكثر، فيزداد الاضطراب النفسي

(١) - أخرجه الطبراني.

(٢) - حديث رواه أحمد في مسنده.

(٣) - ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمون، ص195.

والسلوكي والقلق عندهم، قال جابر رضي الله عنه: ﴿لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَكْلَ الرِّبَا، وَمَوْكَلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ﴾ {1}.

مَنْ قَالَ لَكَ لَا تَعْمَلْ؟ مَنْ قَالَ لَكَ لَا تَفْعَلْ؟ اَعْمَلْ وَاكْسِبْ، لَكِنْ؛ يَا أَخِي، تَحَرَّ الْحَلَالِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ﴾ {2} .
وَلَا تَفْشَلْ، وَلَا تَتَّقَعْصَ عَنْ أَدَاءِ عَمَلِكَ. فَجَاهِدْ مِنْ أَجْلِ أَهْلِكَ وَأَوْلَادِكَ، وَلَكِنْ؛ ابْتَعدْ عَنِ التَّكَالِبِ عَلَى الدُّنْيَا، لَا تَجْعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّكَ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِكَ،
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الْهُمُومُ، لَمْ يَبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ﴾ {3} .

إِنَّ الْحَيَاةَ هَذِهِ جَسْرٌ لِلْآخِرَةِ، فَحَاوِلْ أَنْ تَعْمَلَ، وَاتْرِكْ أَصْحَابَ النَّزَوَاتِ وَالشَّهَوَاتِ،
فَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم/7 .
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ الْحَجَرِيَّةَ، وَلَكِنْ كَثِيرًا اسْتَبَدَلُوهَا بِأَصْنَامِ الدُّنْيَا وَالْمَالِ وَالْعِظْمَةِ وَحُبِّ الْهَوَى، فَعَبَدُوهَا لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ.

يَجِبُ أَنْ نُوْثِقَ أَنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي نَعِيشُهَا الْآنَ هِيَ مَرَحَلَةٌ قَصِيرَةٌ جَدًّا، وَأَنَّ الْيَوْمَ الْآخِرَ قَرِيبٌ جَدًّا، وَلِقَاءُ اللَّهِ وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا هُوَ غَايَتُنَا؛ حَيْثُ يَسْعِدُ بِنَا، وَنَحْنُ نَسْعِدُ بِلِقَائِهِ وَبِالْأَحِبَّةِ، وَهَذَا هُوَ الْفُوزُ الْعَظِيمُ، فَيَجِبُ الْإِعْدَادُ لِهَذَا الْيَوْمِ.
وَلَكِنَّا طَالَمَا نَحْنُ أَحْيَاءٌ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمِنْ حَقِّنَا أَنْ نَحْيَا حَيَاةً سَعِيدَةً مُطْمَئِنَّةً، وَأَنْ نَعْمَلَ، نَعَمْ، مِنْ حَقِّكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَعْمَلَ، وَسَوْفَ تُسْأَلُ عَنْ عَمَلِكَ فِيمَا أَضْعَفْتَهُ، وَعَنْ مَالِكَ أَيْنَ أَنْفَقْتَهُ.

مَنْ قَالَ أَنْ تَتْرِكَ الدُّنْيَا، وَتَلْبِسَ لِبَاسًا رَثًّا، وَتَأْكُلَ مِنْ بَقَايَا الطَّعَامِ! لَا أَحَدٌ..
الدُّنْيَا هِيَ لَنَا، نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة/29.

دِينُنَا لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكُونَ صَعَالِيكَ، أَوْ هَمَلًا، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةٌ كَامِلَةٌ، تَسْمَى سُورَةُ الْحَدِيدِ، يَأْمُرُنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَقُومَ بِالْبِنَاءِ وَاسْتَخْرَاجِ الْمَعَادِنِ

(١) - رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (1598).

(٢) - رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (1054).

(٣) - رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

والنفائس من أرضنا، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ الحديد/25.

الدنيا كلها مُسَخَّرَةٌ لنا، ولكن؛ ليس بالعبثية والهوى وحبّ الشهوات، وليس بالظلم والسرقة والرشوة، يشبع أحدهم بها لذة سريعة، وليس بالتعدي على حقوق الآخرين. بل بالعقل والفكر والإبداع وبالاستعفاف ابتغاء ما عند الله، وما ينتظر الصابر من ملذّات الآخرة، نعم، نعم الله كثيرة، لكن؛ أصبحنا منهزمين في داخلنا، راضين بالتخلّف والوضاعة! حتى في أمور أخلاقنا، فتعفنّ الضمير، وأصبح فاسداً من قذارة الانحلال الأخلاقي، فلا يزعجه، ولا يهيجّه حادث جلل.

وعنه ﷺ: ﴿مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافِىً فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا﴾^{1}.

فمَنْ أراد بعمله الدنيا وزينتها فقط، فحظّه ما أراد، وهذا نصيبه، ليس له نصيب غيره.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ 15 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هود/15-16.

فكثير من الناس همّهم في الدنيا أن يعملوا ويحصدوا المال، ويريدون المزيد، دون الانتباه إلى حقوق الآخرين حقوق المحرومين وحقوق الأهل، ودخل في دوامة كيف أصبح الأغنى.. حتى أصبح يعبد المال!

اعمل، والله هو الرازق، ولا تبال، ولا تتحسّر على أولئك الذين يبنون المصانع من الرّبا وفوائد البنوك، بل مهما كنت تملك، تصدّق، ولو بالقليل على الأقارب والمحتاجين.

قال تعالى: ﴿فَاتِذَا الْقُرْيَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ الروم/38.

وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَالْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشَّبَهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشَّبَهَاتِ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ﴾^{1}.

(١) - أخرجه الترمذي.

[قال عليّ، كَرَّمَ اللهُ وجهه: ((ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل، ولا حساب، وغداً حساب بلا عمل))^{2} .

قد يدخل في نفوس المؤمنين بعض هموم الحياة من قلّة المال وقلّة العمل. الحياة أصبحت قاسية في هذا العصر، والهَمُّ أصبح من سماتها، ولكن؛ مَنْ كان مع الله، فلا يبالى، فقلّة المال مع البركة هو الأهمّ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يأتي علينا الشهر ما نُوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والماء، إلا أن نُؤتى باللحيم^{3} .

احذرْ يا أخي من أن تتجرّع كأس الكآبة والاستسلام، فتتهار إرادتك. كنّ قوياً، توكلْ على الله، ادعُ الله، فلا ينبغي للمؤمن أن ييأس من رحمة الله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ الزمر/53.

قال أبو سعيد الخدري: ﴿دخل رسول الله ﷺ المسجد ذات يوم، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: يا أبا أمامة.... مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمّتي، وديون، يا رسول الله. قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته، أذهب الله همّك، وقضى عنك دينك؟ قلت: بلى، يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم، إني أعوذ بك من الهَمِّ والحَزْنِ، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال﴾ . قال: فقلت ذلك، فأذهب الله همّي، وقضى عني ديني^{4} .

ما أعظمك، يا سيد العالمين، يا رسول الله ﷺ، ثماني مؤثّرات سلبية تنهي الإنسان، إن لم يسعف نفسه! ولله الحمد، نحن معشر المسلمين، أُعطينا الوصفة الطبية بالاستغفار والتوكّل عليه، وتفويض الأمر له، وبأدعية رسول الله ﷺ .

(١) - رواه مسلم برقم (1599) جزء من الحديث.

(٢) - رواه البخاري 4/4، باب في الأمل وطوله، ص 1367.

(٣) - رواه البخاري برقم (6458).

(٤) - رواه أبو داود .

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قلّما كان رسول الله يقوم من مجلس، حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:

﴿اللهم، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. اللهم، متّعنا بأسماعنا، وأبصارنا، وقوّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّاً ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا﴾^{1}.

اقرأ معي ثانية ﴿ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا﴾. اليقين بأنك في حراسة الله في ولايته ورعايته، طالما أنك مؤمن بالله، متوكّل على الله، مفوض أمرك إلى الله، فكنّ على يقين بأن الله سيساعدك. كان رسول الله ﷺ يدعو عند الكرب ﴿لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربّ السموات والأرض، ربّ العرش العظيم﴾^{2}.

إذاً؛ عليك يا أخي التحرك والفتنة، اعمل، لا تنهزم من أي مشكلة تقع معك، اعمل، اذهب إلى هنا وهناك، واكسب المال الحلال، مهما كان العمل، سيأتي الرزق، ويزداد، واشكر الله على نعمه، فيزيدك رزقاً على رزق، واستغفره، سيزيدك رزقاً على رزق. قال رسول الله ﷺ: ﴿.... وإن هذا المال حلوة من أخذ بحقه، ووضعه في حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان الذي يأكله، لا يشبع﴾^{3}. فاصبر، وصابر، وتعفف، وجاهد نفسك في هذه الدنيا، واتّجه إلى الله ﷻ دائماً.

(١) - رواه الترمذي.

(٢) - رواه البخاري رقم (6345).

(٣) - رواه البخاري برقم (6426) جزء من الحديث.

كيف نرقى بسلوكنا الأخلاقي لبناء مجتمع

يسمو ويقوم على دعائم وركائز متعددة الفضيلة

الفصل الأول

العلاقات الأسرية

إن الإسلام اعتنى عناية شديدة بالأسرة؛ لأنها اللبنة الأولى في بناء المجتمع. ولا تُبنى الأسرة إلا بالمحبة والتآلف والمودة والرحمة، وهو البنيان الأساسي للمجتمع المتضامن.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف/189.

[هذا السَّكَنُ معناه استقرار الشعور والسلوك، واطمئنان المرء إلى أنه مع شخص يزيد به، ويستريح معه، ويهدأ في كنفه عند القلق، ويلتمس البشاشة معه عند الضيق]^{1}.

(١) - هذا ديننا: الشيخ الغزالي، ص 149.

إن سكون الزوج إلى زوجته والالتصاق الأول بالآخر هو أمر غريزي فطري، فتتولد بينهما المحبة والرحمة والرأفة، [وعقد الزواج أعظم رباط إنساني يجمع بين شخصين، ولهذا سمّاه القرآن الكريم ميثاقاً غليظاً.

والإسلام يعدّ الزواج شركة دينية وسُنّة اجتماعية وسُنّة كونية أيضاً، فالكون كلّهُ يقوم على نظام القاعدة الزوجية (الثنائية)، والمتأمل في هذا الكون يدرك بسهولة أن الله خلق الأشياء أزواجاً متقابلة، فالأحياء: ذَكَرٌ وأنثى، والجمادات: موجب وسالب، حتى الذرة التي هي أساس البناء الكوني كله فيها موجب وسالب ﴿إِلِكْتِرُونَاتٍ وَبِرُوتُونَاتٍ﴾، هذا ما قرره القرآن منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذاريات/49.

هنا؛ كانت حاجة الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل، تسير وفق هذه السُنّة الإلهية، فضلاً عن الحاجة الفطرية، فقد فطر الله الجنسَيْن على الانجذاب لبعضهما، وعبر هذه العلاقة يحقق قدر الله في استمرار النوع البشري وبقائه إلى ما شاء الله^{1}.

لهذا؛ حرص الإسلام على الاهتمام في حفظ النفس، فاستحبّ النكاح، قال رسول الله ﷺ: ﴿يا معشر الشباب، مَنْ استطاع منكم الباءة، فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر، وأحصن للفرج، وَمَنْ لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء﴾^{2}.

ومن عناصر السعادة المرأة الصالحة، فقال ﷺ: ﴿أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء﴾^{3}.

فلا بد من توافر عناصر معينة للارتباط والزواج بين الشاب والشابة، أهمّها الدين -البيئة الاجتماعية المتقاربة -العلم -فلا يُعقل أن يكون الزوج أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وزوجته دكتورة في الجامعة، أيّ توافق ثقافي وعلمي وتوافق في الآمال والطموحات والتطلّعات، وتوافق في التربية والبيئة؟! رجل فقير جداً لا يحبّ العمل -متسكّع في الشوارع، وامرأة غنية جداً! أيّ لا بد من توافق الأهواء وتوافق العادات،

(١) - معالم الشخصية الإسلامية، ص63.

(٢) - رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ رَقْمَ 1400، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمَ (5065).

(٣) - رَوَاهُ ابْنُ حَبَانَ.

كلّها أمور تساعد على استمرار الحياة الزوجية، والابتعاد عن المشاحنة بمودة ورحمة بينهما دون تعالي أحدهما على الآخر.

والمرأة الصالحة هي المحرّك الأساسي لبناء الأسرة -تربية الأولاد- السكون العائلي -ذات الدين -الخوف من الله -قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ النساء/34.

هذه هي المرأة الصالحة التي حثّ عليها رسول الله ﷺ كما قال: ﴿الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة﴾^{1}، وقال أيضاً: ﴿وتحفظ غيبتك في نفسها ومالها﴾، فالمجتمع حقيقته في أفراد، فإذا أنت أهملت شأن الأفراد، فقد ذهبت بحقيقة المجتمع، فهو كالبنيان المرصوص متكامل، ولهذا؛ فإن تقدير الإسلام للأسرة يفوق كل وصف.

فالتطريق لتحقيق الرحمة والمودة بين الزوجين، فلا بد من صبغة الرحمة والمودة بين الزوجين، ولا يتأتى ذلك إلا بالدين وفهمه فهماً صحيحاً، لكي تسمو أخلاق شبابنا بمكارم الفضيلة.

فلقد حرص ديننا أن تكون الزوجة من بيئة حسنة السمعة وذات دين، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿تُنْكحُ المرأةَ لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذات الدين، تربت يداك﴾^{2}.

ولكن؛ لا بد أن تتوافر القناعة والرضا، وهذا اللذان يفيضان على النفس الاستقرار والمودة والمحبة؛ إذ لا يصلح في الحياة شيء إذا شغلت النفس بامتلاك كل ما تتطلع إليه، فلقد امتنّ الله على نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الضحى/5.

فجعل الرضا أعلى مراتب النعمة والعطاء والرضا القانع لا يمكن أن يتمّ بالحصول على ما نرغب، إنما بتوافر خصائص النفس ونزاهة الطبع وصدق التدبّر، ثم إن الإسلام نظر إلى تكافؤ الزوجين، وجعل الإسلام من حقّ البكر أن تقبل أو ترفض ما يُعرض عليها، وليس للولي أن يكرهها على القبول بزواج ترفضه،

(١) - رواه مسلم برقم (1469).

(٢) - رواه البخاري برقم (5090). ومسلم رقم (1466).

والزواج رباط حرّ بين الطرفين كاملي الإرادة، فلا إكراه كما يصوّره الغرب، فلا بد من القبول.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لَا تُتَكَحِ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُتَكَحِ الْبَكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ﴾^{1}.
فإذن؛ وموافقة الوليّ من الشروط الأساسية في عقد القران، فما حال هذه الأيام؟!
وكذلك بالنسبة للشباب، فالحذرَ الحذرَ من العقود الشيطانية كعقد الزواج العُرّي والمساكنة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَآمَانَتَهُ، فَزَوِّجُوهُ، أَلَا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفُسَادٌ كَبِيرٌ قَالَهَا ثَلَاثًا﴾^{2}.

فحقوق المرأة في الإسلام مصانة القيمة الإنسانية كاملة فيه حتى في الخطاب الديني يخاطب الله تعالى المرأة والرجل، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ النحل/97.

إن المرأة في الإسلام قد أُعزّت غاية الإعزاز والتكريم، وأُحيطت بالعناية من قبل زوجها وأولادها، حتى عندما تصبح مُسنّة في العمر، تُسمَعُ لها الكلمة، وتكون هي على رأس مَنْ يَبْتَ بَأْيٍ أمر، كاحترام وتقدير لمكانة الكبير (رجل أو امرأة)، على عكس بقية المجتمعات حتى الأوروبية منها، فترى أكثر المعمّرين والمعمّرات في الملاجئ ودور العجزة لا أهل لهم، ولا يتردّد عليهم أولادهم، بينما في المجتمع الإسلامي هذا المجتمع المتضامن بين أفرادهِ كالجسد الواحد كالبنيان المرصوص، إنه ياقوته، تشعّ نوراً، يراه الغرب وكل المجتمعات غير الإسلامية بنظرة الحسد والغرابة. هذا هو ديننا، الصغير يحترم ويوقّر الكبير. مجتمع متضامن متكافل ذو مشاعر إنسانية عالية الطاقة ذات تفاعل إيجابي بين مكوناته.

هذه هي تربيّتنا، هذه هي إنسانيتنا في التعامل مع الكبار، وخاصة مع المرأة. نعم؛

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ النساء/34.

(١) - رواه البخاري برقم (5136).

(٢) - رواه الطبراني.

والقوامة هي ميزة تكليف أكثر ممّا هي ميزة التشريف، وهي الرعاية والمتابعة والمجاهدة فيهن، والتلطّف بهنّ، وهذا هو معنى الرجولة الحقّة. إنهن بأعين رجالهن، حتى إن المرأة والرجل قد فرض الله بينهما حقّ الولاية والرعاية، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ التوبة/71. ما أجمل هذا السّموا الأخلاقي في المودّة والرحمة والرعاية للمرأة بصفقتها البنت والأخت والزوجة والأم والخالة والعمّة، نعم، فهي ربّة البيت، هي المربيّة الفاعلة الناشطة التي تعطي أحسن ما عندها لابنها ولزوجها، وحتى لوالدها، إنها شمعة، بل منارة مضاءة دائماً في مجتمعتنا، إلى أن يرث الله الأرض، وما عليها، هي مصونة ومحاطة بالرعاية، حتى في موضوع الزواج، لقد ألغى الإسلام كل أنواع النكاح في الجاهلية، فلمّا بُعث محمد ﷺ حرّم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم {1}.

تعالوا معاً نقرأ ما قاله رسول الرحمة في حجّة الوداع:
[﴿أما بعد؛ أيها الناس: فإن لكم على نساءكم حقّاً، ولهنّ عليكم حقّاً. لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهنّ أن لا يأتينَ بفاحشة مبينة.... واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان أسيرات لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، فاعقلوا، أيها الناس قولي، فإنني قد بلغتُ.....﴾] {2}.

حقوق الزوجة على الزوج:

- أداء المهر: قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ النساء/4، «النّحْلَة تعني الهبة».

- النفقة: هي واجبة في الكتاب والسنة.

- حقّ تعليمها أمور دينها: الرجل مسؤول عن المرأة أمام الله ﷻ؛ لأنه هو الراعي، فيجب أن يعلمها دينها.

(١) - رواه البخاري برقم (5127) جزء من الحديث.

(٢) - فقه السيرة، ص456.

- المعاشرة بالمعروف: قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء/19.

قال ﷺ: ﴿أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم﴾. وقال عن نفسه: ﴿خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي﴾^{1}.

- حقها في الوطاء: فالوطء حق متبادل بين الزوجين، وهو من مقاصد الزواج الكبرى.

- العدل: إذا كان متزوجاً أكثر من واحدة.

- ومعاملتهم برفق ومحبة: قال ﷺ: ﴿استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه، كسرته، وإن تركته، لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء﴾^{2}.

حقوق الزوج على الزوجة:

- حقوق القوامه: وهي ميزة تكليف أكثر مما هي ميزة تشريف، وذلك لأنه هو القائم على المصروفات المنزلية، وعلى تسيير البيت.

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء/34.

- حق أن تتزين لزوجها: ﴿الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة﴾^{3}.

- حق الطاعة ومعرفة مكانته: عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿قال رسول الله ﷺ: أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها، قلت: فأَيُّ الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه﴾^{4}.

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ، دخلت الجنة﴾^{1}.

(١) - الترمذي في سننه.

(٢) - رواه البخاري برقم (3331).

(٣) - رواه مسلم رقم (1469).

(٤) - رواه البزار بإسناد حسن.

لكنّ كثيرات من النساء يكفّرْنَ العشير:

عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: ﴿رَأَيْتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ﴾ قيل: أَيْ يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قال: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْراً قَطُّ^{2}، وَمَعَ كُلِّ هَذَا، فَالرَّجُلُ هُوَ الْمَسْئُولُ عَنْ كَامِلِ شَأْنُونِ أَسْرَتِهِ.

عن النبي ﷺ: ﴿كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ﴾^{3}.

الإسلام يكره أن تكون الأمور المالية سبباً في تعريض الأسرة لصدمات، قد تؤدي بها إلى التفكك وضياع الأولاد، ممّا يكون سبباً في انحراف الأولاد.

إذا؛ حُسِنَ الْخُلُقُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضَا وَالتَّقْوَى عَوَامِلٌ تُبْعَدُ عَنِ الْبُيُوتِ الْمُنَازَعَاتِ وَالْقِيلِ وَالْقَالَ وَالتَّفَكُّكَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ الطلاق/4.

وعنه ﷺ قال: ﴿وَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ﴾^{4}.

فعلى الزوجة التفكير ملياً براتب زوجها، وكذلك الزوج عليه أن يتدبّر مع زوجته كيفية تنظيم المصروفات اليومية، دون إسراف، والحدّزَ الحدّزَ، أيها الرجل، أن تكون بخيلاً، لأن من أهم أسباب الطلاق البخل.

فالبخيل بخيل بالمال والشفقة والمروءة، بخيل بالحبّ والمودة، بخيل برجولته، فاحذر من البخل، وادعُ الله أن يلين قلبك، ويحببك بأسرتك.

لأن البخل من أهم الصفات الذميمة بالرجل، وخاصة إن كان الله قد أعطاه من المال الكثير.

(١) - رواه ابن ماجه والترمذي.

(٢) - رواه البخاري برقم (29).

(٣) - رواه البخاري برقم (5188).

(٤) - رواه البخاري برقم (5975).

ولكن؛ لا يمنع أيتها الأخت الفاضلة التفكير بروية بأن هذه الأسرة التي تقومين عليها مع زوجك قد تكون بحاجة لإعانة مادية منك، وبالحب والتفاهم، لا مانع من مساعدة الزوج، فقد تأتي أيام صعبة عليه، ما أجمل الرأفة والحب والتعاون والسخاء بين الزوج والزوجة. وبهذا تكون الأسرة سعيدة.

على عكس الأسر الأخرى التي تدخل في عراك، وفي إفشاء أسرار الحياة الزوجية، فيجب على كل من الزوجين المحافظة على سر الآخر.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يَفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتَفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا﴾ {1}.

أسألكم بالله عليكم! نحن وصلنا إلى هذا؟ أم أكثر؟! صدقوني بعض الأسر تفشي أسرار غرفة النوم في مجالس اللهو، نعم، لقد هجر أكثر المسلمين القرآن، وأصبح معلقاً ومرفوعاً بعلب مزخرفة رائعة الجمال، ولم يعودوا ينهلون منه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان/30.

استولت عليهم أهواؤهم وشهواتهم، واتبعوا خطوات الشياطين من الإنس والجن، وأصبحت حياتهم الاجتماعية أكثرها تقليداً للآخر دون دقة، ومعرفة لماذا؟ ولم؟.... وعن من يقلدون؟ فإذا كنا نقلد الغرب بالعري ونشر الرذيلة وضعف في التماسك الأسري، فهذا عين الخطأ، فقد بنو حضارتهم على المادة والمصالح، دون التطلع إلى الروحانيات والأخلاق وتقويتها، فأصبح بنيانهم مهزوزاً.

فعندما تفسد البذرة، لا تصلح شجرتها، ولا ثمارها، كما تزرع تحصد . وأصبحت الأسرة بكاملها تقلد ما تراه على التلفزيون من مساوئ الأخلاق، فأصبحت الفضيلة من الماضي ومكارم الأخلاق من حكايات الجدات، وتحولت بعض الأسر إلى بؤرة فساد، فلا الأب أباً، ولا الأم أمّاً، ولا الابن ابناً، والكل يخلق بفضائه الخاص، والتعلق الشديد إلى درجة العبادة في المال والجاه والموضة... إلخ. هذا هو عين الهوى والشهوة، كما قال الشعبي: [إنما سمّي هوى، لأنه يهوى بصاحبه]{2}، وقال رسول الله ﷺ: ﴿صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم

(١) - رواه مسلم برقم (1437).

(٢) - ذم الهوى للجوزي، ص28.

سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها»^{1}.

فأين أنتم من هذا؟! هذا الهوى هو الذي سيجرّ كثيراً من الناس إلى قعر جهنم، فعبدوا المال والجاه، فأصبح في نظرهم عين الفضيلة والخير، انظروا إلى أوروبا، كل شيء فيها مادي، لا علاقات أسرية! لا تراحم بين الأهل! لا إغاثة ملهوف! لا كلام! ولا سلام مع الجار! فأصبحوا يعيشون كالجزر مقطّعي الروابط الإنسانية والعائلية فيما بينهم، فلم يتخلّصوا من أنانيتهم.

والذي يتحكّم في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في أوروبا هو المال والمادة، فأصبح معبودهم المال، والمقدرة على تحصيله بأي طريقة. وهنا تكمن اللذة والهناء عندهم، وهنا تكمن أعظم الغايات لديهم.

[انظروا، إنهم الآن يتحلّقون حول أبيقور 271 ق.م الذي نادى بأن مناهل الحكم على الأعمال هي المنفعة، وأن المنفعة لا قيمة لها إلا إذا اجتلبت لذة واغتباطاً... فأصبح الربح المادي هو ميزان الأخلاق، والفارق بين الشرّ والخير، وأصبحت الأخلاق التي لا وزن لها في ميزان المادة ليس لها قيمة إلا القيمة الدينية أو الخلقية في المصطلح القديم، وتصبح من شعائر القديم وذكريات العهد الماضي]^{2}.

نعم، الآن في الآونة الأخيرة، ظهر مفهوم واضح للانتهازية والأنانية بمعنى اكسبْ وخذْ بأي طريقة، المهمّ، انتهِزِ الفرصة أنا أو لا أحد حتى أصبحت الأنا تسيطر على كل شيء. وهذا هو عين الهوى، حبّ الذات، حبّ الأنا.

ومن حُرْم من الإيمان، فهو - بالتأكيد - بلا أخلاق، نعم، غاية الغايات عندهم اللذة والشهوة والهوى كيفما كان، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الجاثية/24.

لهذا؛ أصرخ وبصوت عالٍ انتبهوا إلى أنفسكم، إلى أولادكم، فالحرب دائرة علينا، يريدون تغيير أخلاقنا ومفاهيمنا عن الفضيلة، عن الرحمة، عن المودة، عن البرّ مع الأهل والجيران، فاحذروا من الانزلاق في تقليدهم في أهوائهم ومعاصيهم، وتذكّروا قول رسول الله ﷺ: ﴿لَتَتَّبِعَنَ سُنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ،

(١) - رواه مسلم برقم (2130).

(٢) - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 263.

حتى لو سلكوا جحر ضب، لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ {1}.

تعالوا؛ وأنا أخطب نفسي أولاً، نحذر من التحول الصارخ في مفهوم الأخلاق والفضيلة احذروا التفريط في أخلاقكم، احذروا أن تبدلوا أخلاقكم بفسادهم، لا تزرعوا الرذائل والمنكر في نفوس أولادنا وأولادكم، لا تزرعوا الأنانية والانتهازية، لا تزرعوا فيهم عدم الاهتمام بالضعيف والمسكين فتذكروا مثل ما بتزرع بتحصد، وأمثال أخرى دقة بدقة، وإذا زادت، زاد السقا فمن يزرع الفساد، ويسقي تربيته وأولاده من ضمير أسن عفن حاقداً أناني لئيم، فليعلم أن هذا الزرع سيخرج ثماراً سامة، تبدأ بقتله، وقتل ما حولها، وتنفض رائحة كريهة، يكون أول من يشمها، وأول من ينزف دماً من شوكةا.

فحاذر يا أخي فأنت محصن بمكارم الأخلاق والفضيلة، ابتعد عمن يحاول العبث في تغير الفضيلة والمودة والمحبة، في تغيير المشاعر الإنسانية، وقلبها رأساً على عقب.

حصن نفسك، واجاهد نفسك، وتمسك بمكارم الأخلاق، فأنت تبني أسرة مع زوجتك، فاجعلها أسرة نموذجية من العطاء والسكينة والألفة، وزد من بواغث الخير بالتعفف والمصابرة والمجاهدة، وتذكر بأن وجدان الإنسان المؤمن في قلبه يناديه بأن يتخلق بأخلاق رسول المحبة ﷺ بأخلاق الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي لبناء أسرة، يستفاد من العلم والمعرفة منهم ومن التكنولوجيا الرائعة، لكن، لا لا تفريط في أخلاقنا .. لا تفريط في شرفنا .. لا تفريط في إسلامنا .

نعم؛ توجد كثير من الأسر المسلمة ما زالت متمسكة بأخلاقيات وسلوكيات رسمها رسول الله ﷺ وفق ما أمره الله ﷻ، فتوجد أسر كثيرة، تعيش حياة هادئة مستقرة بحب وتفاهم وكامل الانسجام بينهم، لأنهم يعملون بأخلاق الإسلام، لأنهم عرفوا أن بناء الأسرة هي أمانة في أعناقهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون/8، فالأسرة المتماسكة حريصة على الفضيلة.

(١) - رواه البخاري برقم (3456).

إن الزواج رباط قوي متين، وعهد بين طرفين، وأمانة في الأعناق، فاحذروا من تضييع الأمانة والعهد لأسباب لا معنى لها، قال ﷺ: ﴿لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ﴾^{1}، لأن صلاح الأسرة صلاح المجتمع كله، قال ﷺ: ﴿المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه، اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه، اشتكى كله﴾^{2}. فأفضل ما يستعين به الرجل على واجباته زوجة لطيفة العشرة قوية الخلق، قال ﷺ: ﴿لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ﴾^{3}. فالأسرة المسلمة هي التي تسرح سراجاً من نور الله ونور القرآن وسنة رسولنا محمد ﷺ.

هي أسرة راضية مَرْضِيَّة، فطالما أوفت بالعهد والأمانة في هذا الرباط والميثاق الأسري، وحفظت الودّ بينهما، فإن الله ﷻ يصبغها بصبغة الحبّ والوفاء والودّ إلى يوم القيامة.

فهل تكونين يا أختي أنت عماد وسيدة الأسرة، لأنك مربّية الأجيال القادمة، اجعلي قدوتك أولاً رسول الله ﷺ، واجعلي قدوتك من النساء أمّهات المؤمنين خديجة أم المؤمنين، اجعلي قدوتك فاطمة الزهراء، مريم بنت عمران. اجعلي قدوتك آسيا امرأة فرعون. واحذري ممّن جعلن قدوتهن الراقصات والغاريات، وأنت يا أختي اجعلي قدوتك في حياتك وطريقة معيشتك وبناء أسرتك مسيرة رسولك ورسولنا محمد ﷺ.

فكنّ حاملاً لهذه الأمانة بحبّ وتضحية، فهي أمانة عندك، احترم أهلها، تحترمك، احترم أنوثتها، تحترم قوامتك عليها، احترم عفّتها، تحترم عفّتك، احترم إنسانيتها. كنّ لها كالأب الحنون والعطوف، تذكّر كنّ كريماً رحيماً، كنّ لها زوجاً، يسعدها، وتسعده، عند ذلك، تراها كأنها القمر، تراها كأنها الحياة كلها، وهذه نعمة من الله عليك.

(١) - أخرجه أحمد .

(٢) - رواه مسلم برقم (2585).

(٣) - رواه مسلم برقم (1467).

وإن من حقّ الرجل على زوجته أن تتجاوب لرغبته فيها، ولكنّ بحبٍّ ومودةً، والعكس صحيح، ودون القسر، فالحب والسكينة المتبادلة تعطي ثمار العشق بينهما، فتتمو الأسرة بأكملها في هذه الدوحة، ولكنّ، قد يكون هناك نوع من عدم الرغبة في المعاشرة، فعلى الآخر تفهّم الأمر، بالحبّ والتفاهم، إنما إذا كان الرفض ناتجاً عن المشاكسة والتعنّت، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ﴿إذا باتت المرأة هاجرةً فراش زوجها، لعنتها الملائكة، حتى تُصبح﴾ {1}.

وفي صحيح البخاري ﴿إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة، حتى ترجع﴾ {2}.

لقد عنى الإسلام بكلّ مناحي الحياة الزوجية، لكي تستقرّ كل الأسس القائمة عليها العلاقة الزوجية، حتى في موضوع طريقة المعاشرة الزوجية، قال تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ البقرة/223، من غير التعرّض للدبر. كل شيء في الحياة أعطى الإسلام وصفته السحرية التي تسمو معها البشرية للأعلى، فسمو الأخلاق وعفتها تأبى أن تكون المعاشرة إلا ما أمر الله ورسوله ﷺ، فهي كريمة، والزوجة أمانة في عنقك، أيها الأخ الكريم ﴿وإن لزوجك عليك حقاً﴾ {3}، فكنّ معها وديعاً عفيفاً.

تعالوا، وأنا أخاطب نفسي أولاً، أن نفكر بالتفاهم مع الشريك الآخر، هو شريك الحياة، شريك العمر، علينا أن نعيش بمحبة ووئام وسكينة، علينا أن نربيّ أولادنا بحبٍّ، وأن نعلّمهم أن الحياة الأسرية يجب أن تكون وفق منهج الإسلام قائمة على المحبة والتعاون، وعلى البرّ، لكي تكون مترابطة، فهي اللبنة الأولى في مجتمع سامٍ، يستند على التعاون والتكافل الاجتماعي.

هذا هو السلوك الأخلاقي في علاقة الرجل مع زوجته، هذا هو ديننا دين المروءة والفضيلة، لكنّ؛ هل سألتم في البلدان الغربية عندما تكون مشكلة

(١) - رواه مسلم رقم (1436).

(٢) - رواه البخاري رقم (5194).

(٣) - رواه البخاري، جزء من الحديث رقم (5199).

مستعصية بين الزوج وزوجته، هجران كامل، وكل واحد منهما لديه العشيق، وهذا الهجران قد يستمرّ العمر كله!.

ما هي الغيرة المحمودة، والغيرة غير المحمودة؟

إن غيرة الرجل على زوجته وزوجته عليه محمودة. قال سعد بن عباد: [لو رأيتُ

رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:

﴿أتعجبون من غيرة سعد؟ فو الله، لأنا أغير منه، والله أغير مني. من أجل غيرة الله، حرم الفواحش، ما ظهر منها، وما بطن﴾^{1}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: ﴿إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه﴾^{2}.

إذاً؛ الغيرة المحمودة والمحبوقة بين الرجل وامرأته هي أن يحصن بيته من أي سهم من سهام الفواحش الظاهرة والباطنة.

وعليه، فحقيق على المسلم والمسلمة أن يغارا لبعضهما البعض. ولحماية هذا الحصن الذي يشعّ محبة وتآلف وسكينه وحياءً، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ النور/30.

إن العلاقة وترابط الرجل وزوجته كاللؤلؤة في أعماق البحر موضوعة في صدفة مغلقة، لا يعلم سرّها إلا الله، قال النبي ﷺ: ﴿الحياء لا يأتي إلا بخير﴾^{3}.

ولهذا؛ أقرّ الإسلام مبدأ الاستئذان، وعنه ﷺ قال: ﴿إذا استأذن أحدكم ثلاثاً، فلم يؤذن له، فليرجع﴾^{4}.

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الْبَاقِي﴾^{5}.

(١) - رواه مسلم رقم (1499) جزء من الحديث.

(٢) - رواه البخاري (5223).

(٣) - رواه البخاري رقم (6117) جزء من الحديث.

(٤) - رواه مسلم برقم (2153) جزء من الحديث.

(٥) - رواه الطبراني.

لكن؛ أن تصبح الغيرة مرضاً نفسياً نتيجة بعض الشكوك والأوهام والظنون الواهية التي قد تدخل عقل المرأة أو حتى الرجل بأوهام لم ينزل الله بها من سلطان، عندها نكون في مأزق اجتماعي خطير، لأن الظن السيئ والأفكار والخواطر السيئة بالشريك الآخر تجعل المنزل عبارة عن حلبة لصراع دائم بين الزوجين.. والقيل والقال.. وإذا زادت الغيرة المرضية هذه لا محال ستقطع أوصال الوثام والمحبة، بل قد تؤدي إلى ظهور الشك والريبة بين الزوجين، لا سمح الله، وعندها تصبح العلاقة بين الزوجين على شفا جرف... فلا ثقة، ولا محبة، فنكون قد أدخلنا بإرادتنا الوسواس، وهذا هو عين البلاء.

أختي الغالية، أخي الغالي: استعيذوا بالله من الشيطان الرجيم أولاً.... اجلسا معاً بعيداً عن الناس في خلوة حلوة... تصارحا على كل الأمور، أخي الغالي، أنتَ القوام على البيت، كن لطيفاً معها، استوعب زوجتك بالحسنى... هي تحبك... تخاف عليك.

كن صادقاً معها... أكرّر، عليك بتخفيض توتّرها وانفعالها تدريجياً. تذكر أن الذي يجمعكما رباط وميثاق غليظ، فكنّ شهماً وصاحب أثره في ذلك.

قدم لها هدية بسيطة في مناسبة معينة، أعطها الأمان والطمأنينة... قلّ لها بأنك بحاجة لها، نعم، هذا قول حقّ، فالزوج بحاجة ماسة لزوجته، والعكس صحيح... لكل مشكلة مفتاحها، ابحث عن السبب... قد يكون السبب للأسف قريبة! قد يكون السبب في غاية البساطة... نعم، عليك بتفكيك هذا الموضوع بتصبر وتفكر وهدوء.

أمّا أنت، أيتها الأخت... ابنتي... الحياة الزوجية بحاجة إلى دعائم لبناء أسس متينة، لكي تقف أمام أيّ اهتزاز أو عواصف.

لكن؛ أن تمشي بالاتجاه المعاكس، أن تضعي المعاول في هذه الدعائم، وللأسف أفكار واهية وسواس شيطاني.. أوهام.. اتّق الله في زوجك، في أسرتك، في أولادك، أرجوك، ابتعدي عن بعض النسوة والزميلات اللاتي يصدرن هذه الأوهام... ركّزي على بناء أسرتك، اتّق الله اقرئي القرآن الكريم، اشغلي وقت فراغك بأعمال منزلية

بالقراءة بالكتابة بالعمل تصارحي مع زوجك بجلسة هادئة كل أسبوع مرة، فأنت امرأة، تستطيعين أن تفهمي الحقيقة منه، لكن؛ بحبّ وهدوء، لا بدّ من تبادل الثقة بينكما .

التعامل مع الأبناء وتربيتهم

الأبناء هم ثمرة الحياة الزوجية، ثمرة الكفاح والأمل، لقد أنعم الله على الإنسان نعماً كثيرة، تُعدّ، ولا تُحصى. فنعمة الأولاد هي ثمرة الزواج، ثمرة تكوين الأسرة، هي نعمة عظيمة، وهبها الله لنا، فيجب المحافظة عليها، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم/7، هي زينة الدنيا وسعادتها، هي قرّة عين الزوج والزوجة، وفي موضع آخر من قرآنه الكريم: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف/46.

فيجب أن تقوم هذه المؤسسة الصغيرة (الزوج والزوجة) بتثنية الأطفال تنشئة إيمانية أخلاقية، وتثبيت عقيدتهم.

فيختار اسمه، ويعلمه آداب الإسلام، وأن يعدل بين الأولاد، قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ، فَأَدَّبَهُنَّ، وَرَحَمَهُنَّ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، فَلَهُ الْجَنَّةُ﴾^{1}.

إن الرحمة والعناية بالأطفال تستر من النار، وتوجب الجنة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((جاءتني مسكينة، تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورجعت إلى فيها ثمرة، لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ التي صنعت لرسول الله ﷺ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ﴾^{2}.

قال أنس رضي الله عنه: ﴿مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾^{3}.

(١) - مسند أحمد .

(٢) - رواه مسلم برقم (2630).

(٣) - رواه مسلم برقم (2316) جزء من الحديث.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي، رضي الله عنهما، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: مَنْ لَا يَرْحَمَ، لَا يُرَحَمَ﴾^{1}.

لقد حثَّ رسول الله ﷺ على تربية الأبناء، وفضلها على الصدِّق، فقال: ﴿لَأَنْ يُوَدَّبَ الرجل ولده خير له من أن يتصدَّق كل يوم بنصف صاع﴾^{2}.

وتسميتهم بأسماء جميلة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، فأحسنوا أسماءكم﴾^{3}.

تعليمهم أساسيات الدين والعبادات وأركان الإسلام والإيمان وحفظ القرآن، قال ﷺ: ﴿مُرُوا أبناءكم بالصلاة، وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر سنين﴾^{4}.

علِّموهم السباحة والرماية علِّموهم الشجاعة وعدم الجبن والاعتماد على الذات رويداً رويداً، ومراقبة الأولاد ومعرفة أصدقائهم، فيجب اختيار الرفقة الصالحة، وعن النبي ﷺ: ﴿لَا تصاحبْ إلا مؤمناً، وَلَا يَأْكُلْ طعامك إلا تقي﴾^{5}.

قال رسول الله ﷺ: ﴿المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَنْ يُخَالِلُ﴾^{6}. ومراقبتهم على الإنترنت، وماذا يقرؤون.

ادخل أنت وأمتهم في حوار معهم كل يوم، علِّمهم الدعاء قبل النوم، علِّمهم كيف يدخلون الحمام، وكيف يأكلون (أي أدبهم).

وعنه ﷺ: ﴿يا غلام، سمَّ الله تعالى، وكلَّ بيمينك، وكلَّ ممَّا يليك﴾^{1}.

(١) - رواه البخاري برقم (5997).

(٢) - رواه أحمد.

(٣) - رواه أبو داود في سننه.

(٤) - مسند أحمد.

(٥) - رواه أحمد في مسنده.

(٦) - رواه أحمد.

العدل بين الأولاد: قال النعمان بن بشير، رضي الله عنهما: ﴿أعطاني أبي عطية، فقالت عمرة بنت واحة، لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت واحة عطية، فأمرتني أن أشهدك، يا رسول الله. قال: ﴿أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا، قال: ﴿فاتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم﴾. قال: فرجع. فرد عطيته﴾. وفي رواية مسلم: ﴿فلا تشهدني إذاً، فإنني لا أشهد على جور﴾^{2}.

وصايا لقمان الحكيم لابنه:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ لقمان/13.

1- التوحيد الكامل لله ﷻ، والحد من الشرك:

قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان/13.

2- قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ لقمان/14.

اقرن بوصيته إياه بعبادة الله وحده، وبالبر بالوالدين، لعظم حقهما.

3- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ لقمان/15.

4- كل خطيئة مهما كانت صغيرة سنحاسب عليها، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ

تَكَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي سَّمَاءٍ أَوْ فِي الْأَرْضِ

يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ لقمان/16.

5- تعليم الصلاة بأركانها وواجباتها، قال تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ لقمان/17.

6- قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ لقمان/17.

7- قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان/17.

(١) - رواه مسلم برقم (2022).

(٢) - متفق عليه.

8- قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لقمان/18، «بمعنى لا تعرض بوجهك عن الناس، عندما يكلمونك استكباراً».

9- قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لقمان/18.

10- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لقمان/18.

11- قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ لقمان/19.

12- قال تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان/19.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي: يا غلام، إني أعلمك كلمات:

1- ﴿احفظ الله، يحفظك﴾ امثل لأوامر الله في الحلال والحرام، يحفظك الله في دنياك وآخرتك.

2- ﴿احفظ الله، تجده أمامك﴾ احفظ حدود الله، ينصرك.

3- ﴿إذا سألت، فأسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله﴾. الإعانة على أمور الدنيا والآخرة لا تطلب إلا من الله.

4- ﴿واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك، إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك، إلا بشيء قد كتبه الله عليك﴾ تعليم الأولاد الإيمان بالقدر خيره وشره.

5- ﴿رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجُفَّتِ الصُّحُفُ﴾^{1}.

إنهم أمانة في أعناقنا، احذروا التقليد الأعمى للآخرين، فلا إفراط، ولا تفريط في أخلاقنا، احذروا من تلبيس الباطل بوهج العصرية، وهو باطل، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ الرعد/17.

(١) - رواه الترمذي.

فهم زيد، وأخلاقهم زيد، وسرعان ما يختفي الباطل، فاحذروا من مكرهم وخبثهم! احذروا أن يدخل الوهن إلى وجدانكم، إلى ضمائرکم، فيتعفن، صونوا أولادكم بأخلاق دينكم.

اعدلوا بين الأولاد في كل شيء. قال رسول الله ﷺ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ، واعدلوا بين أولادكم﴾^{1}.

اتركوهم يتفاهمون، اتركوهم يفكّرون، فلهم عالمهم الخاص، لكن؛ تحت مراقبة بسيطة وهادئة، راقبوا الإنترنت.. راقبوا حركاتهم، راقبوا حالاتهم النفسية، لأنه بها تستطيعون أن تعرفوا كل شيء عنهم.

لكن؛ أقول بهدوء وبدون انفعال: بالنظر والبصر والبصيرة تعرفون ما يجول في رؤوس أولادكم، أعطوهم الثقة بأنهم يكبرون، وأنهم أقوياء، أعطوهم مصروفهم، لا تبخلوا عليهم، ولكن؛ بالمعقول.

عوّدوهم على القراءة والمطالعة، وثقّفوهم، وأهدوهم الكتب والقصص والأفلام العلمية والثقافية والدينية.

وفي الصيف، توجد أندية صيفية، تأكّدوا من أخلاقيات المسؤولين عنها 100%، ثم لا يمنع أن يذهبوا تحت المراقبة، اسأل عنهم.. إسأل عنها، تابعي أخبارها. هذه الأندية الصيفية تفيدهم في تنمية مهاراتهم الشخصية والسلوكية والإدراكية، وتعلّمهم الاعتماد على النفس، وتصل شخصيتهم.

علّموهم الاعتماد على الذات وحبّ الاكتشاف (يا ولدي، أريد موضوعاً من الإنترنت حول كذا وكذا، واعمل لي بحثاً).

احذروا من تعنيف الأولاد، من إظهار أحدهم أنه كسول، وفي مدرسته ضعيف لا يفهم، حاولوا إعطاءهم الثقة بأنهم أكفاء شاطرين كلمات قوية، تفجّر طاقاتهم الداخلية برافو، يا بطل شجاع، وهكذا.

علّموهم السباحة وركوب الخيل، هذا التعليم هو جزء من التحفيز على شحذ الهمّة للولد، والشعور بأنه يفعل شيئاً ذا قيمة، وكلما ربح ونجح حاول أن تكافئه بالهدايا والكلمات التي تعطيها الثقة في نفسه.

(١) - رواه مسلم برقم (1623).

احذرْ، يا أخي، من المهاترات والمعارك الجانبية كل لحظة مع زوجتك.. احذرْ من القيل والقال، فإنها مضيعة للوقت والجهد.

احذرْ من المشاحنة والبغضاء وإشعال نار الفتنة في المنزل، فإن أولادك يلتقطون كل شيء، ويتراكم الضغط النفسي عليهم من جراء القيل والقال بينك وبين زوجتك، مما يجعلهم يحملون الوهن النفسي كراهية الزواج قتامة الحياة. احذري، يا ابنتي، من افتعال المعارك مع الزوج!! والحكمة تقول من يزرع الرياح، يحصد العاصفة.

ابتعدوا عن القيل والقال والمشاحنة.. احذري، يا ابنتي، من أن تدعي على أولادك، أو على زوجك، أو على مالك، فو الله، قد يُستجاب لك، ليس لأنك مستجابة الدعوة، بل هي فتنة، فانتظري ما حصدت يداك ولسانك من الدعاء واللعنة والشتم بعد فترة، وتذكروا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا).

فالأولاد مهزومون محطّمون نفسياً، الزوج يكره العشرة معك، وقد يتزوج عليك، أنت تدخلين في غضب الله؛ لأنك لم تؤدّي حقّ الأمانة. ومن الرذائل النفسية، تحقير الزوج وجحوده، فلا تكوني يا ابنتي كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في جحود المرأة لزوجها: ﴿أُرِيتُ النَّارَ، فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط﴾^{1}.

فكنْ، يا أخي، ربّان سفينتك، تقودها بالعلم والمعرفة، ولا يمكن الوصول لبرّ الأمان إلا أن تكدح وتتعب مع شريكة حياتك، لإيصال هذه الناشئة إلى أن يتبصروا الحكمة والحقيقة بالعلم والمعرفة [فبالعلم تستقيم الأخلاق، وتحيا القيم، ويرسخ الدين الحق... وعندما تصبح الأخلاق والدين والقيم علماً، ترسخ في النفوس، وتحيا في واقع الحياة]^{2}.

(١) - رواه البخاري برقم (29).

(٢) - أقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد، ص 20.

نعم؛ العلم بالقيم الأخلاقية ترسّخ إنسانية الإنسان، لأنها ترسّخ أدوات الفضيلة والسمو في بوتقة الحكمة، وبها نفهم ونستدرك يقيناً غاية الحياة، ونفهم عندها معنى الاستخلاف في الأرض.

الفصل الثاني

كيف نزرع في نفوس أطفالنا العزيمة والإرادة

إن الإرادة والعزيمة القوية هي سرّ النجاح لأي هدف يضعه الإنسان، والإرادة هي المحرك الداخلي للإنسان، هي منبع القوة والطاقات، وهذه الإرادة كلما قويت، أعطت قوة وعزيمة وإصراراً على تنفيذ عمل ما (قوة مانحة)، والعكس صحيح، هي قوة كابحة مانعة، فهذا الذي يسيطر على هذه القوى، إمّا بواعث الخير أو الشر في قلب الإنسان، فإن طغت بواعث الخير فيه، انبثقت قوة عظيمة في داخله عزيمة وإرادة على عمل الخير والبر، لهدف ما، ويريد تحقيقه ونيته لله، فبإذن الله، سينجح. والعكس صحيح، هناك قوة إرادية سلبية مانعة لعمل الخير، محبة لعمل الشر، قوية صلبة صارمة، لكنها شيطانية نتيجة طغيان بواعث الشر في قلب هذا الإنسان، فيصدر عنها إرادة مانعة لعمل الخير، شغوفة لعمل القبيح والإفساد، ولهذا قال ﷺ: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهُوَ الْقَلْبُ﴾^{1}.

إذاً؛ كل نجاح في الحياة مرتبط بالإرادة والعزيمة في داخل الإنسان، وهذا النجاح يعتمد على نوعية الهدف المراد تحقيقه، وعلى الطاقة المنبعثة من داخل الإنسان التي تعطيه إرادة وتصميماً وعزيمة للعمل. ولإنجاح أفكاره الخلاقة، قال تعالى:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران/159.

وأهم شرط لهذا النجاح هو الإخلاص والتوكل على الله تعالى. عندها؛ يسري النجاح والنصر والثبات، قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ آل عمران/160.

(١) - رواه مسلم برقم (1599).

القواعد التي تبعث وتضجر

طاقة الإرادة والعزيمة والهمة في أبنائنا

وذلك بتربيتهم وتعليمهم هذه المبادئ بأسلوب التحفيز والمشاركة الإيجابية:

1- مبدأ الاستقامة على منهج الله، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ هود/112، والتأسي بأخلاق نبي الرحمة في كل شيء.

2- مبدأ التفاعل والتحفيز وإظهار المواهب الكامنة والطموح للتقدم، وهو مبدأ بسيط، يعتمد على تفاعل الأهل مع الأولاد، وتحفيزهم على العمل لتحقيق رغباتهم، دون أي ضغوطات خارجية، ومثال: لاحظ الأهل أن ولدهم هذا يحب اللغة العربية، ويحب القراءة في التاريخ، ويتحدث عن التاريخ أكثر بكثير من أقرانه، هنا دقة النظر ومملكة الفراسة هامة للأهل، عليهم استدراك ميول الطفل ومتابعته في هذا المجال، لتنمية موهبته وميوله باللغة العربية، وشراء كتب، تناسب عُمره، قد تظهر عليه علامات الفصاحة، فمتابعة أمره وتمريته على الإلقاء... قد تظهر عليه علامات في فن الخطابة... إذا استمر الأهل في متابعته عن طريق التلفزيون والإنترنت عن طريق الكتب والمجلات في المدرسة مع المدرسين في البرامج التنافسية... في المنزل كلها عوامل تساعد على بناء الشخصية، وتحفزها على تنمية قدراته الداخلية مع شحنة بكلمات قوية.

شاطر؛ يا بطل أنت كالأسد أنت شجاع كعلي وأنت صادق، أمين كرسول الله ﷺ أنت كريم كحاتم الطائي أنت، وهكذا، عندها يُحفز الولد بهذه التشاركية من الأهل والبيئة، ممّا قد تظهر عليه ملامح الجرأة والقوة وعزة النفس والقول الصحيح الثابت.

ورويداً رويداً ستظهر عليه ملامح شخصيته وطموحه في تعلّمه لثقافة دينية وتاريخية وفي تحرّره باللغة العربية التي تعطيه النطق السليم والتعبير الفصيح. ثم رويداً رويداً يشعر الأهل أنه صاحب قول، ويحمل خطاباً ثقافياً ودينياً واجتماعياً، عندها؛ يكون مدركاً حقيقة حياته وغاياته وأهدافه.

3- مبدأ الاستنهاض بالقُدوة الحسنة، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اقْتَدِهْ﴾ الأنعام/90.

مبدأ بسيط يُعتمد عليه في التربية، وهو مبدأ، يحاول الأهل من خلاله استنهاض أولادهم بتعليمهم وتلقينهم فضائل أخلاق رسول الله ﷺ، وتذكيرهم بأهم الرجال الذين كانوا مع رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، رضي الله عنهم، في أخلاقهم، في تعاملهم، في حياتهم، وإعطائهم مواعظ دينية وأخلاقية في كل مناسبة، وإعادتها على مسامعهم، وتذكيرهم بأمجاد تاريخهم العربي والإسلامي.

4- مبدأ التعامل بالمثل، لا بالمثاليات، وتلقينهم الأفكار والمبادئ الخلاقة، ليكون إيجابياً في مجتمعه.

بمعنى، تكون العائلة هي قدوته التربوية لهذا الولد، فحقيق على العائلة أن تكون ملتزمة بالضوابط الأخلاقية والدينية، لكي تساعد ولدها في ذلك، لا قول المثاليات، فكن من أهل الإحسان والتقوى والعطاء، لأنه يلتقط منك كل العادات والأفعال، فله أذنان، يسمع بهما، وعينان يرى كل شيء بهما.

5- مبدأ الإعادة والتعويد بالتلقين: علينا بإعادة وتكرار الفكرة والمعرفة الإيجابية على أولادنا مراراً؛ لكي تتم عملية، تُشبعها في داخلهم، فالماء يفسد ويتآسن، ما لم يجر ويتحرك، قال ﷺ: ﴿إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتق الشر، يوفّه﴾^{1} فالتعود على إظهار الأفكار الإيجابية مراراً وتكراراً يحولها إلى أعمال إيجابية، تتحول مع الزمن إلى عادة.

وقال أيضاً: ﴿ومن يستعفف، يعفه الله، ومن يستغني، يُغنيه الله، ومن يتصبر، يُصبره الله، وما أُعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر﴾^{2}.

(١) - رواه الدارقطني، وصححه الألباني.

(٢) - رواه البخاري رقم (1469).

وكذلك نعلّمهم الصبر بالمصابرة، والحلم بالتحلّم، بالممارسة والمعاودة والتكرار، وهكذا في الصدق والكرم والعزيمة. فيكتسبونها، وتصبح جزءاً من أخلاقهم، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر/9.

6- مبدأ تحمّل المصاعب، والاعتماد على الذات.

تعليم الأولاد أنه ليس كل ما يريدونه سيجدونه دائماً، ولكن؛ عليهم أن يحاولوا، يُحلّوا المعطيات، لكي يكون لديهم قرار في كيفية تخطّي الصعاب. علّمه أن يخطّط ويحلّ ويبحث في كل شيء، عليه بالبحث والسؤال.. عليه أن يعتمد على نفسه في أمور كثيرة، لكن؛ كلها تحت المراقبة، في حال غيابكما عن المنزل هو المفوّض للعناية بإخوته الصغار، لا يمنع أن يكون عضواً في فرقة كشفية.. لا يمنع من إرساله إلى المعسكرات، لا يمنع من رحلة بحرية مع أصدقائه. وفي نهاية الرحلة، عليك بالاستماع له، عن كل شيء، هل كان في المقدمة؟، هل كان هو المسؤول؟ هل سمعوا كلامه وأفكاره وأخذوا بها؟، وأكرّر: كل هذا تحت المراقبة المستترة له، اتركّه ينتقي ملابسه ونوعية كتّبه، ولا يمنع أن يشتري بعض الأغراض المنزلية، سيجد أن الصعاب قد انهارت أمامه في هذا الموقف، وأن صديقه اجتاز، فإذا به قد اجتازه، وفاز عليه، وأنه ألقى محاضرة في المعسكر عن الحشرات الضارّة.. عن الجغرافيا... كل هذا هو عبارة عن تراكم معرفي ثقافي سلوكي لهذا الشبل، لكي يصبح أسداً سيّداً للغابة. وتتبلور شخصيته بشكل واضح، وعليه أن يفهم ويتعلّم مبدأ الثواب والعقاب، أعطه جوائز، إذا نجح في الاختبارات الموجهة له، هذا يفيد به بأن يكون طموحاً.

7- مبدأ أخذ القرار وتحمل المسؤولية: قمّ بتدريبه بالاعتماد على نفسه واتخاذ القرار المناسب، وأنه ذو شأن، وأن كرامته كبيرة وصاحب موقف ومبدأ، بعد كل هذا، سيكون هذا الولد مفخرة للأهل ولنفسه، لطالما أصبح رجلاً يُعتدّ به، إنه ذو الهمّة، إيجابي، صاحب مبدأ، يأخذ قرار بنفسه، صاحب إرادة. سيكون المسؤول عن نفسه وعن قراراته التي يتخذها، علّمه فنّ الاختيار في أخذ القرار.

علّمه بأن كل عمل وكل قول سيُحاسب عليه في يوم القيامة، وقد يُحاسب عليه في الدنيا، ولأخذ القرار، عليك بتعليمه كيف يحدد أهدافه.

علّمه ماذا تعني الحياة؟ كيف سيعيش فيها متفاعلاً مع الآخر؟ علّمه ألا يضيع الوقت إلا بالعمل الإيجابي، أفهمه أنه عليه أن يكون صاحب بصمة، صاحب تأثير إيجابي، وصاحب طموح، و يملك رباطة جأش عالية في أي موقف مفاجئ، لا ينهار، لا ينهزم، أفهمه معنى الشجاعة والإقدام. وأبعدّه عن الأنانية المفرطة، لأنها تشلّ عمل الخير للآخر، وتقضي على مكارم الأخلاق والفضائل.

وأفهمه أن في الحياة صعوداً وهبوطاً، فلا داعي للهلع والخوف من فشل ما، علّمه أن هذا الفشل الذي حدث هو نقطة الانطلاق للتقدم للأمام.

عندها؛ تبدأ شخصيته تتبلور، ويظهر في سلوكه أنه صاحب الهمة والعزيمة، إنه ينظر للأمام، علّمه أن لا يتوقّف عن النشاط، يحمل طاقة هائلة في داخله، إنه مؤمن بالله، مؤمن بحبّ بلده، يريد الخير للآخرين، يشكر الله دائماً على هذه النعم الكثيرة.

فالقوة من الله تعالى، قوة نورانية في قلبه، إنه رحيم لأهله ولجيرانه، لعائلته، إنه صانع المعروف:

يعلم أهدافه، يضع الأولويات، ينفذ ما يقول، يعمل ويعرف ما يعمل، إنه ذو الهمة، إنه يرفض أن يوضع في قوقعة، أو أن يكون كمستحاة، إيجابي، يؤثر على الآخرين.

[كان بين وفود المهنئين من أهل الحجاز لعمر بن عبد العزيز بالخلافة غلام صغير، وكان الوفد قد اختار الغلام، ليتكلّم عنهم، وهو أصغرهم، فلما بدأ بالكلام، قال عمر: مهلاً، يا غلام، ليتكلّم من هو أحسن منك، فقال الغلام: مهلاً، يا أمير المؤمنين، المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبدَ لساناً لافظاً وقلباً حافظاً، فقد استجاد له الحلية، يا أمير المؤمنين، لو كان التقدّم بالسنّ، لكان في الأمة من هو أسنّ منك، أيّ أحقّ بمجلسك ممّن هو أكبر منك سنّاً، فقال عمر: تحدّث، يا غلام، قال: نعم، يا أمير المؤمنين، نحن وفود التهتئة، لا وفود المرزئة، قدمنا إليك

من بلدنا، نحمد الله الذي مَنَّ بكَ علينا. لم يُخرجنا إليك رغبة، ولا رهبة،
 أمّا الرغبة؛ فقد أتانا منك إلى بلدنا، وأمّا الرهبة، فقد أماننا الله بعدلك من جوركَ.
 فأعجب عمر بفصاحة الغلام، وعلمه، وسداد رأيه، فما كان من عُمر إلا أن
 شجَّعه على ذلك، وزاده ثقة بنفسه وجرأة؛ ليكون هذا الحادث موقفاً تربوياً يتعلَّم
 فيه الغلام في حضرة خليفة المسلمين، فطلب منه الموعظة، فقال: عظُّنا، يا غلام،
 وأوجِزْ، فقال: نعم، يا أمير المؤمنين، إن أناساً من الناس غرَّهم حلمَ الله عنهم،
 وطول أملهم، وحُسن ثناء الناس عليهم، فلا يغرَّتكَ حلمَ الله عنكَ، وطول أملك،
 وحُسن ثناء الناس عليك، فتزلَّ قدمك، ثم نظر عمر في سنَّ الغلام، فإذا هو قد
 أتت عليه بضع عشرة سنين، فأنشد يقول:

وليس أخو علم كمنه هو جاهل

تَعلم، فليس المرء يولد عالماً

صغير إذا التفت عليه المحافل^(١)

وإن كبير القوم لا علم عنده

عندها؛ يكون هذا الشاب قد أمسك حبل الحقيقة، وعرف غاية الغايات،
 هي معرفة الله حقَّ المعرفة، وعبادته حقَّ العبادة، وأن له دوراً هاماً، عليه أن يقوم به في
 الأرض، وهي رسالة الاستخلاف.

وبذلك تكون قد أدَّيتَ واجبك اتجاه ابنك في التعليم والتربية، وتعليمه دينه في
 كافة مجالاته، وهيَّاته؛ ليكون عنصراً واعياً فعّالاً، يخدم وطنه وبلده بحبٍّ وتقان،
 ويخدم الآخر، وذلك لأنك يا أخي، ويا أختي، بارك الله فيكما قد أسَّستموه على
 طاعة الله ﷻ وحبِّ الآخرين، فلا بد أن يكون مثلاً للآخرين من أقرانه، يكون نوراً
 مضيئاً، يشعُّ نوراً لكل الناس، حاملاً فضيلة الأخلاق، ومكارمها، لأن المجتمع
 الإنساني بحاجة لهذه المكارم والفضائل الأخلاقية، لكي يأنس ويؤنس إليه، ولهذا
 سمَّى الإنسان إنساناً، وهو ذو الهمة، معطاء شجاع في نفسه، وللآخرين صاحب
 الإيثار، يواجه الخطر في ثبات وعزيمة، إنه إيجابي، صاحب بصمة وتأثير وفعالية
 دائماً في حياته، هو قائد ماهر متوازن في الكوارث متوازن مع نفسه، يتحمَّل

(١) - من كتاب عمر بن عبد العزيز لـ د. علي محمد الصلابي، ص 160 و 161.

المسؤولية في كافة الأمور، له مقدرة على التبصّر بالأحداث قبل حدوثها؛ لأنه يستقرئ الواقع، ويحلّله تحليلاً دقيقاً.

[قال رسول الله ﷺ: ﴿اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ الْحَجَر/75.]

وروى الحافظ البزار عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا، يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ﴾ [1].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ﴿إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا، نَادَى جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا، فَأَحَبَّهُ، فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ فَلَانًا، فَأَحْبَبُوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ﴾ [2].

فهل تريد يا أخي أن يحبّك الله ﷻ، ويحبّ ابنك وأولادك؟ هل تريد أن ينادي جبريل أهل السماء: إن الله يحبّك، ويحبّ تربيتك لأولادك، ويحبّ أولادك؟ ستقول: نعم. وتقول تلك الأخت الفاضلة: نعم.. وأقول نعم.

إن شاء الله آمين.. ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ الصافات/61.

(١) - مختصر ابن كثير، ج2، ص312، [قال مجاهد في قوله: المتفرّسين. وعن ابن عباس والضحاك: للناظرين، وقال قتادة: للمعتبرين، وقال مالك: للمتأملين].

(٢) - رواه البخاري برقم (6040).

الفصل الثالث

برّ الوالدين

لقد رفع الإسلام مقام الوالدين إلى مرتبة لم تعرفها الإنسانية في ذلك. إن حقّ الوالدين في الإسلام يأتي بعد حقّ الله تعالى مباشرة^{1}.
[وكان من الطبيعي أن يوصي القرآن الأبناء بالوالدين إحساناً:

- 1- قال تعالى: ﴿وَعَبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ النساء/36.
- 2- قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ العنكبوت/8.
- 3- قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء/23.
- 4 - وقال في موضع آخر من كتابه الكريم^{2}: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَالُهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف/15.

فالإحسان إلى الوالدين أمر يقتضيه الإيمان والأخلاق والعقل والمنطق، فهما سبب وجود الولد، وتنشئته، ولهذا؛ أوجب الإحسان إليهم، وتقديرهم مرتبة بعد الإيمان بالله تعالى والوالدان لا يريدان ثواباً، ولا شكراً، حتى ولو أساء إليهما الولد، ويتمنيان له السعادة والتوفيق في الدنيا والآخرة.

(١) - معالم الشخصية الإسلامية، ص53.

(٢) - المرجع السابق، ص24.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: ﴿يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك﴾^{1}.

قال رسول الله ﷺ: ﴿لا يُجزئ ولد والده إلا أن يجده مملوكاً، فيشتريه، فيُعتقه﴾^{2}، هذا بالنسبة للأب، أمّا الأم؛ فيستحيل مجازاتها مهما عمل الابن من أجلها ﴿ففيهما، فجاهد﴾^{3}.

[شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يطوف بالبيت، حمل أمه وراء ظهره يقول:

إني لها بعديها المذل **إن أذعرت ركبها لم أذع**

ثم قال: يا ابن عمر: أتراني جزيتها؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة]، (أي من ألم الطلق والولادة).

[سئل الحسن رحمه الله عن برّ الوالدين؟ فقال: (أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمرك به، إلا أن يكون في معصية)].

وجُعِلت منزلة برّ الوالدين بعد الصلاة مباشرة، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿سألتُ رسول الله ﷺ أيّ العمل أحبّ إلى الله، قال: الصلاة على وقتها، قلتُ: ثمّ أيّ، قال: ثم برّ الوالدين، قلتُ: ثم أيّ، قال: الجهاد في سبيل الله، فدعاء الوالدين مستجاب، بإذن الله، تعالى.

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ثلاث دعوات مستجابات، لا شكّ فيهنّ، دعوة الوالد على ولده، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم﴾^{4}.

(١) - رواه البخاري برقم (5971).

(٢) - رواه مسلم.

(٣) - البخاري برقم (5972) جزء من الحديث.

(4) - صحيح ابن حبان والترمذي.

جاء في صحيح مسلم عن النواس بن سَمْعَانَ الأنصاري قال: ﴿سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ﴾^{1}.

وقال مجاهد: البرُّ ما ثَبَتَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ. إذا؛ لَوْ تَتَبَعْنَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَقَصَصَ الْقُرْآنُ لَوْجَدْنَا بَرَّ الْوَالِدَيْنِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، فِي ذِكْرِ زَكْرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ مريم/14.

فقد قرن البرُّ بالإحسان والعطف والرعاية وعدم إظهار الضجر أو التذمُّر من مطالبهما، لكبرهما، بل على العكس أن يقول قولاً كريماً لطيفاً مُرضياً لهما، والخضوع والشفقة والرحمة بهما، فذلك يدلُّ على أن الولد بارٌّ بوالديه، محسناً لهما، يتحلَّى بالصفات الكاملة التي ترضي الله ﷻ ورسوله ﷺ.

فصفات البارِّ والمحسن لأهله معاكسة لصفات العصيان والتجبر والقسوة، قال الله ﷻ لزكريا وعيسى عليهما السلام:

﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ مريم/14، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ مريم/32. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: ﴿أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَبَايَعُكَ عَلَى الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، قَالَ: فَهَلْ مِنَ الْوَدَّيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللَّهِ ﷻ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى الْوَدَّيْكَ، فَأَحْسِنْ صَحْبَتَهُمَا﴾^{2}.

احذروا أيها الشباب من عقوق الوالدين، إطاعتها من إطاعة الله، ورضاها من رضا الله ﷻ.

(١) - رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (2553).

(٢) - رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (2549).

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ﴿رِضا الله من رِضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد﴾^{1}.

فَمَنْ أراد الجنة، مَنْ أراد رضا الله، مَنْ أراد طول العمر، مَنْ أراد أن تكون حياته ميسرة وأراد حُسن الخاتمة، وأن تبرّه أولاده من بعده، فعليه ببرّ والديه.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ﴾^{2}، وبرّ الوالدين أعلى صلة الرحم؛ لأنهم أقرب الناس إليك رحماً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت، قال رسول الله ﷺ: ﴿الرحم معلّقة بالعرش، تقول مَنْ وصلني وصلته، وَمَنْ قطعني، قطعهُ الله﴾^{3}.

وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ سرّه أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عَمَرِهِ، وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السَّوْءِ، فَلْيَتَّقِ الله، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ﴾^{4}.

برّهما سبب في تفريج الكرب، والدليل على ذلك قصة الثلاثة يتماشون، وأخذهم المطر، فمالوا إلى الغار، انطبقت الصخرة على فم الغار الذي هم فيه، فتوسّلوا إلى الله بصالح أعمالهم.

الأول توسّل ببرّه بوالديه، والثاني بكمال العفة ﴿مَنْ أَجَلَ ابْنَةَ عَمِّهِ﴾، والثالث بتمام الأمانة، ففرّج الله كربتهم بزوال الصخرة عن فم الغار، والقصة في صحيح البخاري رقم /5974/.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿رغم أنف الرجل، ثم رغم أنفه، قيل: مَنْ، يا رسول الله، قال: ﴿مَنْ أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة﴾﴾^{5}.

(١) - رواه الترمذي، وصحّحه ابن حبان والحاكم والألباني، ورواه الطبراني بلفظ (رضا الرب من رضا الوالدين، وسخطه من سخطهما).

(٢) - رواه مسلم برقم (2557).

(٣) - رواه مسلم برقم (2555).

(٤) - رواه البزاز بإسناد حسن.

(٥) - رواه مسلم برقم (2551).

احذروا من عقوقهما، ففي ذلك أكبر الكبائر، عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: **﴿قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: الإشرak بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً، فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت﴾**^{1}.

عن المغيرة، عن النبي ﷺ قال: **﴿إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنع وهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال﴾**^{2}.
فالعاق الذي لا يطيع والديه، ولا يحسن إليهما، تراه يشتم أمه وأباه، ولا يسمع لطلباتهما، وقد يفجر ويصبح فاجراً، وخاصة إذا تمادى في عصيانهما، وتجبر عليهما، والويل له إذا أسكنهما مأوى العجزة، وتركهما، ولم يعتن بهما، هذا العاق لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يدخل الجنة.

عن جبير بن مطعم أنه سمع النبي ﷺ يقول: **﴿لا يدخل الجنة قاطع رحم﴾**^{3}، فما بالكم بالوالدين؟.

وعن ابن عمر مرفوعاً: **﴿ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاؤه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، والرجلة﴾**^{4}.

والعاق ليست عقوبته مؤجلة إلى يوم القيامة، بل سينال العقوبة في الدنيا أيضاً، فعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **﴿بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا البغي والعقوق﴾**^{5}.

وعن أبي بكره نضيع بن الحارث رضي الله عنه مرفوعاً قال: **﴿ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم﴾**^{1}، إن العاق سينال عقوبته في الدنيا قبل الآخرة.

(١) - رواه البخاري برقم (5976).
(٢) - رواه البخاري برقم (5975).
(٣) - رواه البخاري برقم (5984).
(٤) - رواه النسائي.
(٥) - رواه الحاكم، وصححه الألباني.

- حياته في حالة قلق مستمر، فهو عصبي المزاج حاقد مشحون بالبغضاء والعداوة لكل الناس (فهو معاد أمه وأبيه، فكيف ببقية الناس).

- لن يفلح في زواجه، وستكون زوجته على شاكلته، وبالمصراد له، وكذلك أولاده.

- دائماً مضطرب الشخصية، نفسيته مريضة، قاسي القلب، لا أحد يقترب منه، تراه يلعن ويسخط ويقذف هذا وذاك، لا يعجبه أحد، يكره الناس جميعاً، وبالمقابل، جميع الناس يبتعدون عنه! يكرهونه، لا يحبون لقاءه، هذا العاق قد دخل في أكبر الكبائر، ودخل في سخط الله وغضبه في الدنيا والآخرة.

عن رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ، أَوْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءً فَحْشَهُ﴾ {2}.

لن يكون سعيداً ولا موفقاً في عمله وفي حياته وفي مأكله وفي مشربه، فإن لم يستفق على نفسه ويتب إلى الله ويأخذ الرضا من أمه وأبيه، ويستغفر الله كثيراً، ويتحلل من عقوقهما، ويتقرب لهما بالرأفة والرحمة والسكينة، وصلة أقاربهما وإسعادهما قبل أن يتوفاهما الله، فمصيره محتوم بالبلاء في الدنيا والآخرة.

وبر الوالدين بعد موتهما يكون بالاستغفار والدعاء لهما بالرحمة والمغفرة قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ الإسراء/24.

وقوله ﷺ: ﴿إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ، انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ، يَدْعُو لَهُ﴾ {3}. فادعُ لهما بالمغفرة والرحمة، والواجب على الأبناء سداد الديون عن الآباء والأمهات.

وكذلك بر الوالدين بعد موتهما بصلة أقربائهما وأصدقائهما، فمن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه.

قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنْ مِنْ أَبْرٍ الْبِرِّ صَلََةُ الرَّجُلِ وَدُّ أَهْلِ أَبِيهِ، بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ﴾ {4}.

(١) - رواه الترمذي.

(٢) - رواه البخاري برقم (6131).

(٣) - رواه مسلم برقم (1631).

(٤) - رواه مسلم برقم (2552).

وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه، قال: ﴿بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ، إذ جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من برِّ أبوي شيء أبرهما بعد موتهما، فقال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما﴾^{1}.
 - الصلاة عليهما؛ أي الدعاء لهما بالرحمة وإنفاذ عهدهما، العمل بوصيتهما، فهذا هو ديننا الذي ارتضاه الله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ.

بهذه السلوكيات الأخلاقية التي يجب أن نتعلمها كلنا، ونعلمها لأولادنا قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ السجدة/18.
 أتعرفون نتائج ثمار ذلك؟ رضا الله ﷻ علينا، الأمن والأمان والسعادة في الدنيا والآخرة، وتوفيق من الله، ونجاح دائم، والفوز بالجنة، وبأعلى مراتبها، بإذن الله.

(١) - رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

التعامل مع الناس خاصة الأقارب

لم يكتف الإسلام بأن تكون علاقة العطف والرحمة والمودة قاصرة على الأسرة، بل وسَّع دائرتها إلى أقصى مدى، فحقوق ذوي القربى والأرحام مهمة جداً في تقوية أوصل المودة والمحبة والتعاون، وهذا هو عين الإحسان، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾^{1}.

وقال ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلِئاً فَخُوراً﴾ النساء/36. [ومعنى صلة الرحم، الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، قال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأنفال/75]^{2}.

بهذه الصلة، تُبنى شبكة اجتماعية متماسكة، قوامها المحبة والإيثار والرحمة، فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضِينَ بِأَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكَ﴾، قال رسول الله ﷺ: فاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ محمد/22^{3}.

وعن جبير بن مطعم أنه سمع النبي ﷺ يقول: ﴿لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ الرَّحِمِ﴾^{4}، فقد حثنا رسولنا محمد ﷺ على صلة الرحم، ولو كان القطع المجافاة

(١) - رواه مسلم برقم (1955).

(٢) - معالم الشخصية الإسلامية، ص 59.

(٣) - رواه البخاري برقم (5987).

(٤) - رواه البخاري برقم (5984).

من الطرف الآخر، لقوله ﷺ: ﴿ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قُطعت رحمته، وصَلَّاهَا﴾ {1}.

للمكانة العالية لصلة الرحم رُبِطت مع الإيمان بالله واليوم الآخر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقِلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمِتْ﴾ {2}.

وعن سليمان بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: ﴿على المسكين صدقة، وعلى ذي القربة اثنتان صلة وصدقة﴾ {3}.

أفضل أنواع الصدقة هي كما قال رسول الله ﷺ: ﴿أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح﴾ {4}، «الكاشح: هو الذي يُضمر العداوة».

وكذلك رعاية اليتيم والأرملة، فلقد أولى ديننا العظيم هذا الأمر عناية خاصة، لأنه يساعد على عملية التكافل على أساس الخلق الكريم قبل أن يقوم على أساس الالتزام، وهكذا قال رسول الله ﷺ: ﴿أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا﴾، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً﴾ {5}.

رعاية الضعفاء و الأراامل والمساكين له أجر المجاهدين، قال رسول الله ﷺ: ﴿الساعي على الأرملة والمسكين، كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال: ﴿كالقائم، لا يفتّر، وكالصائم، لا يفطر﴾ {6}.

ما أجمل ديننا دين المحبة والمودة والرفقة، دين التسامح والصفح والأخلاق الحميدة، كلّها عنوان لرسالته، إن هذه الفضائل هي لبنات لبناء متماسك قابل لتحمل الظروف القاسية، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: ﴿ترى المؤمنين في تراحمهم

(١) - رواه البخاري برقم (5991).

(٢) - رواه البخاري برقم (6138).

(٣) - صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري.

(٤) - المرجع السابق.

(٥) - أخرجه البخاري برقم (6005).

(٦) - أخرجه البخاري برقم (6007).

وتوادهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ﴿1﴾.

ولقد جعل الإسلام للجار حقوقاً: فالجار هو أقرب الناس بجاره الآخر، وقد كرّر النبي ﷺ الوصية بالجار في مناسبات كثيرة، فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: ﴿ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه﴾ {2}. فيجب أن يُعامل الجار معاملة حسنة، وأن يُكفّ الأذى عنه، وأن يصبر الجار على أذاه، وأن يحسن الجار لجاره، وأن لا يفشي أسرارَه.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتهادي مع الجيران، ولو قليلاً من الطعام، فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ﴿قلتُ، يا رسول الله، إن لي جارَيْن، فإلى أيّهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما منك باباً﴾ {3}.

الأخلاق الحميدة (سمو أخلاقي، كما قال ﷺ: ﴿الحياء والإيمان قرناء...، فإذا رُفِعَ أحدهما، رُفِعَ الآخر﴾ {4}، وضعف الإيمان يعني أخلاقاً دنيئةً وانھیاراً أخلاقياً.

فالرجل دنيء الأخلاق، المريض بالهوى، والمعوج السلوك لا محال سيكون عديم الحياء، عديم المروءة، نذلاً في طبعه، قوياً بشيطانه. وهذه الطبائع الرذيلة ذات السلوك غير السوي في الرجل تُرعب كل مَنْ بقُربه. أهله جيرانه الحي الذي يسكنه.

والحقيقة هو الثعلب الماكر يرميهم بالسوء يفضح هفواتهم، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: مَنْ، يا رسول الله؟ قال: ﴿الذي لا يأمن جاره بوائقه...﴾ {5}.

(١) - رواه البخاري برقم (6011).

(٢) - رواه البخاري برقم (6014).

(٣) - رواه البخاري برقم (6020).

(٤) - رواه الحاكم.

(٥) - رواه البخاري برقم (6016).

قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يُوْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ﴾ {1}.

هذه الأخلاق السيئة والتصرفات الناتجة عنها مع الإيمان ضدَّان لا يلتقيان، فإذا جاء أحدهما، ارتفع الآخر.

وكذلك سوء الظن والتجسس كلها من ضعف الإيمان، ففيها تقوى قوة نوازع الشرِّ، وتكثر نوازع الهوى.

فكيف إذا فضح المرء أسرار جيرانه؟ بل كيف إذا فضح أسرار نفسه أمام الآخرين؟ فعن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿كُلُّ أُمَّتِي مَعَاذِي إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنْ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يَصْبِحُ قَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبِّي، وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ، سَتَرَ اللَّهِ عَنْهُ﴾ {2}.

وعنه أيضاً قال: ﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا﴾ {3}.

وا أسفاه! كيف وصل حال مَنْ عبد هواه، وعشق حبَّ الأنا والنرجسية؟ عشق رأيه، وتشبَّث فيه.

كيف يعتقد في داخله أنه هو الوحيد على الحقِّ وعلى الصواب، والآخرين على الباطل، فلا يقبل نصيحة، ولا يقبل رأياً ومشورة، قال ﷺ: ﴿إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدَّ الْخَصْمَ﴾ {4}.

و تعالوا معاً نتقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وبالدعوة النصوحة والموعظة الحسنة لكل الناس.

(١) - رواه البخاري برقم (6018).

(٢) - رواه البخاري برقم (6069).

(٣) - رواه البخاري برقم (6066).

(٤) - رواه مسلم برقم (2668).

قال ﷺ: ﴿مَنْ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يَمَسَّ وَيَصْبَحْ نَاصِحاً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِإِمَامِهِ وَلِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ﴾^{1}.

قال ﷺ: ﴿مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً﴾^{2}.

فلعلنا، وبدون استثناء أن نتبصر، أن نمتلك إرادة الخير والنصح والإصلاح لكل أفراد المجتمع، ونغير ما يمكن تغييره للأحسن، قال ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكَ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ﴾^{3}.

فالعلاقات الاجتماعية ضرورة ملحة للإنسانية الإنسان، والإنسان سُمِّيَ إنساناً، لأنه يأنس، ويؤنس إليه، وبحاجه للتواصل والتعارف والتزواج بين أفراد المجتمع، وبحاجة إلى ضوابط في غاية الرقي والسمو، لكي يتمكن أفراد المجتمع من العيش بطمأنينة وأمان وسعادة، وهي ضوابط وأخلاق ديننا، ضوابط ارتضاها الله ﷻ، وارتضاها رسوله محمد نبي الرحمة لأُمَّته، فقال ﷺ: ﴿الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ﴾^{4}.

نعم. بهذا الإيثار والمحبة تذوب الأنانية وحب الهوى للفرد، وتقوى الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر/9. فلا بد من السعي والمجاهدة في سبيل توصيل هذه الروابط الإنسانية الاجتماعية بين أفراد المجتمع لبناء شبكة اجتماعية مترابطة متينة يصعب تمزيقها والنيل منها، لهذا كان أول عمل قام به ﷺ عندما هاجر إلى المدينة أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، وحث على أهمية إصلاح ذات البين.

(١) - أخرجه الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ .

(٢) - رواه مسلم برقم (2674).

(٣) - رواه مسلم برقم (49).

(٤) - رواه البخاري برقم (6951).

هذا هو إسلامنا دين السماحة والرحمة لأهله ولغيره، إنه دين إنساني يكرم الإنسان، ولو كان من دين آخر، فعن النبي ﷺ أنه قال: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ، قَوْمُوا، فَمَنْ تَبِعَهَا، فَلَا يَقْعُدْ، حَتَّى تُوَضَعَ﴾ {1}.

رسول الله ﷺ لم يحدد أن يقوم المسلم لجنابة المسلم، بل أن يقوم من رأى مطلق جنابة أن يقف احتراماً لإنسانيتها، بغض النظر من أي دين كانت هذه النفس. وفي حديث آخر: ﴿أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ، فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟﴾ {2}.

إسلامنا، يحترم الآخر، ويحترم كرامته، فالتناس إن لم تسعهم أخوة الدين وسعتهم أخوة الأصل الواحد، لأننا كلنا من آدم وآدم من تراب.

(١) - رواه البخاري برقم (1310).

(٢) - رواه البخاري برقم (1312).

انهضْ وسابقْ ضمن الممكن والمتاح

ما بك؟ ماذا حلّ بك؟ فشل المشروع! انهارت الشركة! طار العريس! طارت العروسة! ما بك؟ ما بك؟ ما بنا؟ لماذا هذا التشاؤم واللعن والسخط؟ لماذا هذه الانهزامية؟ لماذا هذا الانهيار؟ طارت الأسهم، طارت البورصة، طارت النقود. هل إلى هذه الدرجة ستنهار الأمور لأتفه الأسباب؟ توقّف مشروعك وطموحك وأفكارك في لحظة فشل وانهيار، لماذا نجلد أنفسنا؟ لماذا نعاقب أنفسنا؟ في كل لحظة انهيار، نلعن الظروف.. نلعن الوضع!.

قف!!! أنت المسؤول! لا يُسمح لك بالانهزام! كفانا شتيمة.. كفانا انهياراً وانهزاماً، ربّ ضارّة نافعة، قال الله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/ 216.

تعالوا، نتعلّم فنّ الممكن والمتاح، ما هي الأدوات المتاحة معنا، لكي نبدأ من جديد، لن تنتهي الدنيا إذا فشل مشروع.

فلا بد من حصول الامتحانات وفشل بعضها، وهذا لا يعني الاستسلام، فهي سُنّة الابتلاء، سُنّة المحن، هكذا هي الدنيا، يوم لك، ويوم عليك، وإذا فشل المشروع، لا يعني نهاية الدنيا.

قد يكون هذا الألم الناتج عن هذه المشكلة، هو المحفّز الحقيقي إلى تفجير الطاقات الكامنة في داخلنا، كل امتحان هو خير لنا، تعالوا نقرأ ما قاله رسول الرحمة، ﴿ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها﴾^{1}.

احذر من الوقوف.. احذر من الرجوع للوراء.. قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المائدة/ 21.

(١) - رواه البخاري برقم (5640).

اتخذ القرار بشأن ترتيب أفكارك من جديد، وابدأ بالتدريج، ضع الأولويات، ونظم أمورك، ضع الأمل بين عينيك، لا تفقد الأمل، أرجوك، امسح كلمة لا أستطيع من قاموسك.

قم، وانهض، فلا يأس ولا إحباط يعيش في الروح والعقل معاً، فيفقدنا الأمل والتفاعل، أين عزيمتك، قم، إذا تعثرت، تذكر قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمراً﴾ الطلاق/1.

كفانا انهياراً.. كفانا هروباً إلى الوراء والتستر والتخوف من القادم. كفانا تعليق أخطائنا على الآخرين، منهم من يقول دائماً أنا قليل الحظ! انظروا للآخرين، إنهم ناجحون، لماذا؟ هل هذا ما كتبه الله علي؟ هذا ظلم! لا، لا، هو منك، ومن أفكارك، ومن إرادتك، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ 14-15. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ القيامة/14-15.

فلا تستعمل (لو عملت) (ولو كان).. كما قال المصطفى ﷺ: ﴿فإن لو تفتح عمل الشيطان﴾^{1}، أو تراه لا يعمل، ولا يفكر، ولا يدرس أي موضوع، هو متواكل، أفكاره ميتة. ولو سألته، لقال هكذا كتب الله علي! لا... لا... لا تنتظر المعونة من أحد، لكن؛ عليك بالدعاء إلى الله. استيقظ، وابحث عن الأسباب التي أوصلتك لهذا، وانفض عن نفسك غبار الكسل... قم...

نعم؛ أمثال هؤلاء هم المسؤولون عن أنفسهم؛ لأنهم يملكون حرية الإرادة الإنسانية، الله أعطانا العقل والفطرة، فمن امتلك العقل، وبدأ يفكر بطريقة صحيحة، كأن يبدأ بطرح فكرة، ولو بسيطة، وتحديد هدف لمستقبله.

أما أن ينهزم ويغفل لأنه ارتضى لنفسه الذل والمهانة والوضاعة، ارتضى لنفسه أن يكون ضعيفاً، إن إرادتك الإنسانية هي التي أوصلتك إلى هنا:

فلا تجعل يا أخي الحبيب اللوم على الآخرين، ولا تقل إن الظروف هي التي أوصلتني إلى هذا، وإن... وإن... لا، المسؤولية مسؤوليتك، وعليك تحمل

(١) - رواه مسلم برقم (2664) جزء من الحديث.

كل ما تفعله وتعمله وتقوله، وسوف يسجل لك كل شيء، قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء/14.

إذا؛ القرار قرارك، وتكيف مع قرارك، فافعل، واعمل ما يحلو لك، فكل شيء مستطر ومنسوخ، وطالما نحن مسلمون لله ﷻ، علينا أن نفكر بعقلانية، ونستقرئ الواقع تماماً، ونسأل.. لماذا هذا الذي يحدث؟! كيف بالإمكان تغييره للأحسن؟ ما هي الأولويات؟ كيف أفكر بطريقة صحيحة؟ وأضع خطة للنهوض من جديد، فلا قنوط، ولا يأس، ابدأ، مهما كان الفشل والانهيال الحاصل. نقوم ونبدأ... قم.. انهض... قم، وانهض، ففي الحركة بركة الكون كله في حركة مستمرة، والسكون هو العدم، لا شيء إلا ويتحرك.

ابدأ بالتحرك، استجمع قواك... كن صاحب عزيمة، اتجه إلى تجميع قوتك وإمكانياتك بعقل واع، رتب أفكارك الجديدة، وضع هدفك، اجعل لحظة الألم، لحظة الفشل، لحظة الخسارة، اجعلها هي مركز التحول، مركز الانطلاق، مركز نجاح للأمام بفكرة ممكنة خلاقة طموحة جديدة، تحيا للأمل، لطموح جديد... لفكرة جديدة، نحو تغيير حالك، وابتهل إلى الله أن يغير ما بداخلك للأفضل، اقترب من الله، واسجد له.. ابك.. ابك، تسترح، وادع الله ﷻ لتحسين أمورك، قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ القمر/10.

تعالوا معنا، لنرى بأم العين المشاهد من الحالات الحقيقية: لدي صديق قديم كفيف البصر.. والمفارقة اسمه نور الله، وكنيته نور الله، والحقيقة أنه يمشي بنور الله. رفض الاستسلام! رفض اليأس! رفض التشاؤم! صبر، وصبر. ولكن؛ قد يفهم الآخرون أن الصبر هو العزلة والجلوس جانباً يندب حظّه، لا.. لا، رفض واقعه، وأصرّ على التغيير الشامل لحياته، لا يريد أن يكون سجيناً وراء الظلمات، كان متفائلاً مبتسماً دائماً، درس، وكان يطلب منا ونحن صغاراً أن نسجل له على الأشرطة بعض الدروس، نجح، درس الجامعة، نجح، أصبح مدرّساً في الإمارات العربية، أخذ بطولة الأندية في الشطرنج.

هذا هو مثال التفاؤل، هذا أحد أهل العزيمة والثبات، هذا هو مثالنا، فما بالك أنت وأنت؟ نعم، لقد أنجز وحقق هذه الطموحات بإمكانيات قليلة، فهو فاقد البصر، ولكن؛ بصيرته عالية الجودة، إنه متفائل، إنه صاحب طموح.

انظروا إلى السجناء الفلسطينيين في سجون الاحتلال، أكثرهم درس في الجامعات بالمراسلة، منهم من يعلم أنه لن يخرج من السجن؛ لأن حكمه مؤبد، ولكنه مُصرّ على التفاؤل، على الطموح، وبهذه الإمكانيات القليلة، إنه سجين مؤبد، وأنت خارج السجن، هل تريد أن تضع القيد المؤبد على رقبتك وفي يدك وتبكي على الأطلال، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿39﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى﴾ النجم/39-40. شاهدتُ عبر التلفاز قصة لامرأة طموحة، لا تمش، نحن نسميها صاحبة عاهة، وهم يرفضون تسميتها إلا ذوي الاحتياجات الخاصة.

توظّفت وظيفة بسيطة، تطبع على الآلة الكاتبة لمكتب تابع للأمم المتحدة في سوريا، ذكية.. طموحة.. واعية، وضعت هدفاً لها أن تكون الرئيسة الإقليمية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، أو ما شابه ذلك في سوريا، تدرّجت في الوظائف، تعلّمت اللغات، درست، وهكذا، إلى أن تحقّق هدفها الذي وضعت، وعيّنت المسؤولة الأولى. وتزوّجت، وأنجبت ثلاثة أولاد.

إذا؛ بإمكانيات متواضعة بدأت تضع لبنة فوق لبنة، إلى أن كبرت، وأصبحت مسؤولة، وتزوّجت.

امرأة قروية فقيرة جداً كانت تعمل خادمة، ولديها أولاد في المدارس، الأولاد دخلوا الجامعة، ولديهم حذاء واحد، كانوا يتناوبون على نعله، عندما يذهبون للجامعة، هل تصدّق هذا؟! أصبحوا الآن كلهم دكاترة ومهندسين.

امرأة مات زوجها، لديها أولاد، فقيرة الحال، أهلها لا يستطيعون مساعدتها. عملت في المدارس عاملة نظافة، وكانت تدرس ليلاً، أخذت الشهادة، ثم درست في المدارس، أخذت الشهادات الأعلى، الآن؛ هي أستاذة في الجامعة.

قصة كفاح.. كفاح.. كفاح.

الفرج قادم، فلا لليأس... هي طلبت النجاح... حصلت عليه بالكد والتعب والعزيمة وقوة الثقة بالله تعالى أولاً، ثم في نفسها، فنالت ما أرادت.

أما أنت.. أنت جالس.. لا إعاقة خلقية معك.. تسمع وتُبصر، ولكن؛ تلعن، وتهزأ! وتسخط! أنت.. أنت صاحب الإعاقة، لأنك تلوم الآخرين، لا تقل للآخرين إنهم هلكوا، قال ﷺ: ﴿إذا قال الرجل هلك الناس، فهو أهلكهم﴾^{1}. أنت الذي ستهزم الأمة كلها، لأنك تبتّ سمومك في كل مكان لتثبیط عزيمة الآخرين، وإظهار الانكسار والفسل.

انظر إلى الآخرين، بدأوا من نقطة الصفر، من عتبة الألم، من مركز الوجع انطلقوا، لأنهم أرادوا الحياة، أرادوا التفاؤل، طموحهم كبير، نعم، انطلقوا، لأنهم لم يضيعوا وقتهم الثمين بأمور تافهة، وبالقيل والقال، انطلقوا بطاقة الإيمان بالله، والتوكل على الله، والصلاة الصلاة تعطيك طاقة، والتفويض لله، والالتجاء إلى الله، فهو ولي المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الأنفال/40.

أصروا أن تكون نقطة ضعفهم وألمهم هي نقطة الانطلاق والتفاؤل، فكان ما أرادوا، نزعوا أحمالهم الثقيلة، كانت عبئاً عليهم، رموها أرضاً، أحمالاً من شتى الأنواع، فيها الهزيمة، الانكسار، القلق، فيها الضغوطات النفسية، نعم. قرروا، وتحركوا، وأرادوا، وكان ما أرادوا.

ها هي قصة الإخشيدي الذي حكم مصر أيام المماليك. كان هو وصاحبه مقيدين بالحديد في سوق النخاسة، ليتم بيعهما، وفي الطريق كانت رائحة شواء اللحم تخرج من إحدى الحانات.

فتمنى صاحب الإخشيدي أن يشتريه صاحب هذه الحانة، لكي يشبع لحمًا، فقال الإخشيدي: ((أتمنى أن أحكم كل مصر)).

ودارت الأيام، وفعلاً، اشترى صاحب المطعم ذاك المملوك، والإخشيدي حكم مصر. إننا نملك الإرادة في الاختيار والعمل، وهناك زبغ، وهناك إزاعة، ولا يزيغ الله سبحانه إلا من زاغ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف/5.

إن سلوك الفرد هو المعيار الحقيقي، فانهزامه وحقده وحسده أضاعوا عليه فرصة التفاؤل والأمل، فرصة التغيير. فكان مسلكه ونمط تفكيره هو سبب خسارته وانهيائه.

(١) - رواه مسلم برقم (2623).

فَمَنْ فَقَدَ التَّفَكُّرَ وَالتَّبَصُّرَ وَالبَصِيرَةَ، فَلَا يَلُومُ إِلَّا نَفْسَهُ، فَلَا تَكُنْ كَالْحَطْبِ
الْيَابِسِ وَالمُسْتَحَاثَةِ الْقَدِيمَةِ، وَلَا تَكُنْ هَمَلًا فِي دَاخِلِكَ وَخَارِجِكَ، كُنْ صَاحِبَ بَصْمَةٍ
فِي كُلِّ شَيْءٍ.

انتفض.. انتفض، وابدأ من هذه اللحظة، غيِّرْ ما بنفسك (الماء الساكن والراكد
يتغيَّر طعمه ورائحته؛ لأنه ساكن)، احذِرْ من الفراغ والركون والسكون، ابدأ بالعمل،
ابدأ بالحركة، فأنت في عبادة، والتجئ إلى الله، وتوكل عليه، واجعل عملك عبادة،
اتَّجِهْ إلى الله أن يوفِّقَكَ، فستنال التوفيقَ.

ضَعْ هدفًا واضحًا لحياتك، بإمكانياتك، فكِّرْ... صمِّمْ... نفِّذْ، تتجح، أليست
هذه إمكانيات رائعة قوية تحفِّزك على البدء؟ دائماً كُنْ موصولاً بالله، بالدعاء
والتضرُّع، واقترب أكثر وأكثر بالسجود.

ابك.. ابك، وتضرَّع للذي خلقنا جميعاً، فإنه مجيب الدعاء. صدَّقني، بعد
الدعاء، ستجد نفسك مرتاحاً جداً جداً، ولا مانع من الاسترخاء والاستغفار بهدوء،
صدَّقني كل مشاكل الدنيا تُفَرِّج، ولكن؛ بهدوء أعصاب.

حاول إيجاد صديق يخاف الله، يحب أن يسمعك، قل ما يحلو لك معه،
واطلب منه النصيحة الصادقة.

أنزل كل ما تحمله من هموم ومشاكل من على ظهرك، وارمها بعيداً، أرجوك،
وأطلب منك الاتجاه فوراً إلى إحدى جمعيات الصمِّ والبكم جمعِية المعاقين (ذو
الاحتياجات الخاصة)، أو إلى أقرب مستشفى، ادخل إلى الأقسام الجراحية، ادخل،
لماذا لا تريد الدخول؟ ادخل بشرط أن تكون جميع حواسك متيقظة، انظر.. انظر
لمشاكل العالم، اسمع ما يدور.. ستري أن الله أمدك بالصحة والعافية! أمدك بيدين
وساقين سليمتين.. أمدك بعقل سليم ونظر سليم وسمع سليم، فأنت تملك الدنيا
بما فيها، أعطاك الله نعماً كثيرة، ولكن؛ إن لم تشكره، تفقدها رويداً رويداً.
انظر للآخرين، لأهل الإعاقة كيف يعملون بصبر، وقارن نفسك معهم.

تعالوا نقرأ دعاء الكرب.. كان رسول الله ﷺ يدعو عند الكرب ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
العظيم الحليم، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ {1}.

لذا رتّب أفكارك، وجدّدها، غير من وضعك للأحسن، اجعل السعادة أمامك، استشعر الراحة، إن أردت قوة و طاقة لكي تزيدك بهذا الشعور، اسجد لله ليلاً، وتشعر بأن قوة و طاقة هائلة قد ملأت صدرك، وهذا من أهمّ الدعامات لك ولقوّتك.

اكتشف نفسك، اسأل من أنت؟.. أنت قوي بإيمانك بالله. فكّر بوضع برنامج للمستقبل، ضع مفكرة تحدّد فيها أهدافك الأولية والبعيدة. لا تنس الهدف الأسمى والغاية الأعلى هو إيمانك بالله، اجعل الابتسامة على وجهك، سلّم على جيرانك صلّ رحمك بالكلمة، أو بمبلغ بسيط، تشعر بأن السعادة قد بدأت تدبّ داخلك سعادة العطاء وقيمة العطاء، حتى ولو كان المبلغ قليلاً جداً، فتكنّ قد أرضيت الله ^{وَعَلَىٰ} بأنك تصل رحمك، وأنك تتصدق، وأنك تحسن لهم، وهذا كلّه يجلب لك السعادة؛ لأن فعل الخير هذا واهتمامك بالآخرين حتماً سيعطيك الفرحة في داخلك. هي سعادة العطاء.

احذر من الفراغ، فإنه ألدّ أعداء المؤمن الصالح، صدّقني، لا يوجد فراغ إلا للكسالى والمنهزمين، احرص على سدّ الفراغ بالعمل، اذهب، وساعد الناس، كثيرة هي الجمعيات الخيرية.

اتفقنا أن نتغيّر، أليس كذلك؟ أبعد عنك القيل والقال وأصحاب السوء، وتقرب من الذين يعملون ويحبّون عملهم، ولكن لا تقلّدهم، بل أنت اكتشف ذاتك، مهما كان عملك، فهو هام، أكرّر: مهما كان عملك، فهو هام جداً، أنت مهمّ، مهما كان عملك، قلّ لنفسك هذا، وكرّر هذه المقولة دائماً.

مثال بسيط: مدرسة ابتدائية، لو مرض عامل التنظيف ثلاثة أيام، ماذا سيحدث للمدرسة؟ القمامة في كل مكان بقايا الأكل هنا وهناك... الحمامات، حتى الصفوف... حتى المدرسين... من سيقدم لهم الشاي والقهوة والساندوتش؟ من يفتح الأبواب صباحاً، ويضيء المدرسة... هذا موظّف وعامل بسيط، فماذا تعمل؟ ما هو لون عملك؟ ضع في داخلك أنت بعملك هذا أنه هام جداً، ويجب أن تتابعه، اعشق عملك، مهما كان بسيطاً، وقدمه للآخرين بنكهة الحب والمودة، كن مهماً في نفسك، وبعيون الآخرين، كن واثقاً من نفسك، ومن عملك.

لا تفكّر بالماضي، غير أفكارك كلها، حياتنا هي ما تصنعه أفكارنا، اعمل برنامجاً أسبوعياً مع الأهل، اخرج في نزهة إلى الجبال، إلى الصحراء، إلى البحر.. ستأتي السعادة لك ولأهلك، اهتمّ بوالديك، وصلة رحمك.

أنت أختي، غيري في ترتيب البيت، هنا الطاولة، لا، لا، هناك، هنا الكرسي، لا، لا، هنا، غيري نمط الحياة، لا تجعلها رتيبة جامدة خاملة، بل متغيرة نشيطة متفاعلة متفائلة، أكثري من الإضاءة البيضاء في المنزل، افتحي النوافذ. اتصل بصديق قديم، ادعه إلى القهوة، وتذكّر الأيام الجميلة، أنت كذلك، تلفون بسيط، محادثة هادئة، ابتعدوا عن البرامج التي تؤثر سلباً على الحياة وتذكرك بالهموم، ضع برنامجاً خاصاً لك، يضمن لك التغيير وإدخال السعادة والسرور لمنزلك. رياضة 2/1 ساعة، قراءة كتب معينة ذهاب للتسوق.

تعالوا نتفق معاً كلنا في حال صدمنا بمشكلة هنا وهناك، احذروا من الهروب، حاولوا حلّها بهدوء، ادرسوا أسبابها وإمكانية حلّها... لا تستطيع! ادرس إمكانية حلّها من عدة زوايا، ودور هذه الزوايا، حاول، كنّ على ثقة أنها ستحلّ وحدها لاحقاً اترك الأمر لله، لا تتفعل، لا تتشاءم.. لا تتذمّر.. فكّر بهدوء.

غير من نمط حياتك.. امش وحداك، ولو عدة دقائق، تذكّر أن الاطمئنان الراحة والشعور بالأمن والأمان والسلام كله من الله ﷻ، فكّن صاحب صلة قوية بالله، وتأكد أنك ناجح، ولكن؛ عليك بالصبر والدعاء والتوكل وتفويض الأمر لله ﷻ.

لا تنظر إلى نصف الكأس الفارغ، انظر إلى النصف الممتلئ، الدنيا بخير، ابدأ، اعمل بالإمكانات المتاحة، ولا تعمل الأشياء البسيطة، قلّ لنفسك: إنني أستطيع أن أعمل هذا العمل وهو شاقّ وصعب، نعم.. عليك القيام به، فعند الانتهاء منه، تكون الراحة والسعادة غمرتك، لأنك أنجزت هذه المهمة الصعبة نظّم وقتك، اكتب أفكارك ماذا تريد؟ ماذا تفكر؟ اكتب برنامج الغد، نفذ ما تكتبه.

ابدأ من نقاط ضعفك وقوّها بالتعويد والتكرار.. من هنا، ابدأ... احذر الانكسار، اجعل قوتك كالصخر، انظر إلى موج البحر وهو يلطم الصخر مليون مرة ومرة في اليوم، ولا ينكسر، أيّ كنّ قوياً أمام المشاكل، لا تنهار... كنّ قوياً أمام التحدي،

وابداً التحدي، ولكن؛ لا تكن صخراً أمام الحب والسعادة، أمام أهلك، أمام الناس الذين هم بحاجة إليك.

أدخل فكرة أنك أنت مهم جداً بالنسبة للآخرين، وأنهم بحاجة إليك، ستقول لي كيف؟ أليس عندك أصدقاء؟ أليس عندك جدة كبيرة في السن؟ اذهب لندهم، وسلم عليهم، وسترى في عيونهم ما يُثبت ما قلته لك. صلّ رحمك، كنّ رحيماً، أحبّ الناس، أدخل لهم السعادة والفرحة، ولو بكلمة واحدة، هذا هو فعل الخير، هذه هي سعادة العطاء، تجلب لك السعادة.

كنّ معطاءً، كنّ رحيماً، صلّ رحمك.

ابتعد عن اللئيم، ولا تكن لئيماً حاقداً، ابتعد عن الأناني، فإنه لا يحب إلا نفسه، ابتعد عن الانتهازي، فإنه يسرق نجاحك، ويحسدك على نعم الله عليك.

إنه يلبس نجاح الآخرين، يريد أن ينتهز فرصة وهفوة صغيرة، لكي يسطو على عملك إدارة شركة أو مستوصف، أو.. هؤلاء هم زيد هذه الأمة، ابتعد عنهم، فهم لصوص النجاح، واقترب إلى الكريم والمعطاء ذي الهمة... اقترب إلى الصديق الوفي الودود الذي يخاف الله.

وختاماً؛ إن ضغوط الحياة تزداد، فابتعد عن التوتر والجهد العصبي، فإنه يؤدّ قلقاً متزايداً.. حاول أن تمارس رياضة الاسترخاء، ولو في مكتبك، وأنت جالس، حاول الاسترخاء... خذ نفساً عميقاً، أسبل يديك للأسفل، ولا تشدّ كتفيك، خذ نفساً عميقاً ثلاث إلى أربع مرات، أغمض عينيك برهة... اذكر الله في هذه اللحظات، فوضّه... توكلّ عليه...

هذا ممّا يساعدك على التخفيف من الجهد والتوتر العصبي والقلق. وإذا كنت في منزلك، فحاول جاهداً أن تأخذ قسطاً من النوم بعد وجبة الغداء... قرّر أن لا تدخل هموم العمل إلى منزلك.

وأخيراً؛ تذكر بأن الصلة بينك وبين الله تعالى كلما ازدادت، تعطيك القوة والأمن والأمان والطمأنينة، تعطيك التفاؤل، تعطيك المحبة لنفسك ولأهلك وللآخرين، قال تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ الذاريات/50.

قصة إبراهيم والتغيير

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد/11 .
إبراهيم شابٌ مسلم نشأ في بيئة متوسطة الحال، فيها ضغوطات ومشاكل
أسرية، الأب متزوج من امرأة ثانية، ويعيش معها في منزل آخر، الأم تربي أولادها،
ومريضة، والإمكانات المادية بالكاد تكفي لآخر الشهر، الأخت الكبيرة لا تعمل
غير متزوجة، وهذا الشاب الذي نشأ في هذه البيئة المنهكة مادياً واجتماعياً
لم يكن أحد يراقب تصرفاته، يرجع متأخراً، دراسته معدومة.. صحبة سيئة للغاية،
دخل في اللامبالاة ومرحلة اليأس، ليس لديه عمل، والده بعيد عنه، عن لقاءه، عن
مناقشته... أمه تعب مريضة...

نعم؛ لقد انسلت وسوسة الشيطان، وأغوته بفعل الأعمال السيئة، إنه تعلم
السرقه! إنه تعلم أموراً لا يقبلها الله ﷻ.... أهمل الصلاة! إنه حاقد على المجتمع،
على أهله، على نفسه، يشعر أنه منهزم - محبط، في داخله اليأس قد عشش فيه .
أسألكم بالله... أجيبوني... أجيبوني....

أليس كثيراً من هؤلاء الشباب موجودون معنا ونعرف أسماءهم؟
تعالوا نرى مشهد هذا الشاب كيف سيتغير بداخله، ولكن؛ دائماً نقول بإذن
الله، وإن شاء الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ الإنسان/30 .
هذا الشاب إبراهيم كان يحب أن يجلس وحيداً، وخاصة قبل مغيب الشمس
في الطبيعة، كان في داخله شيء ينبض... كانت نفسه وخواطره تأخذه ذات اليمين
وذاة الشمال، كان يحدث نفسه كثيراً.. لماذا.. أنا هكذا؟ لماذا هذا اليأس؟ لماذا هذا
الإحباط؟ ماذا علي أن أفعل؟

ما هذه الصحبة، يا إبراهيم؟ انظر إلى أمك، إنها تموت من شدة المرض .
إخوتي أخواتي بحاجتي... قم، يا إبراهيم.... قم، يا إبراهيم....
كانت تتكرر على إبراهيم هذه الومضات الداخلية....

شيء يتحرك في صدره، يريد أن يخرج.. لا يعرف ما هو؛ لكنه كان يرتاح لهذه الخلوة.. أكثر من شهر وهو يحاور نفسه؟ ألسنتُ مسلماً؟ أ لستُ إنساناً سوياً؟ إلى متى؟ ويتصارع مع خواطره، إلى أن أتى هذا اليوم...

لقد سمع النداء ينادي ﴿حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح﴾، وقف مندهشاً من هذا النداء، وكأنه أول مره يسمعه في حياته.

ما أجمل.... ما أقوى هذه الكلمات.. شعر بشيء يهز كيانه الداخلي... شعر بقشعريرة وصوت خفي من داخله يناديه أجب... أجب، يا إبراهيم! أجب النداء، يا إبراهيم، فما كان من إبراهيم إلا أن انتفض وقام وتحرك، لقد قام، وتحرك، واتجه بعزيمة وثبات إلى المسجد.. بعد أن توضأ.. نعم، توضأ، وغسل وجهه، في هذه اللحظة الرهيبة شعر وكأن نوراً يضيء قلبه، شعر وكأن نور الله قد أضاء قلبه.

إنها بواعث الخير، إنها خواطر النفس، إنها حديث النفس التي تتادي الإنسان، إنها الفطرة قد انتفضت من مخبئها، تناديه من داخله.

نعم؛ لقد أراد أن يتجه لخالقه الذي خلقه، شعر بأن هذا النور أعطاه الطمأنينة، لأول مرة، يشعر بسعادة لا تُوصَف.

دعا ربّه، واستغفر، وأتاب إليه، إنه يبكي... يبكي، دموعه تنهمر بشدة لهذا التغيير الذي شعر به... نعم، لقد أزاح عن كاهله أثقالاً من الهموم ومن الكآبة ومن الانهيار. نعم؛ قام وعاهد نفسه على أن يبدأ التغيير، وكان يتساءل وهو يحاور نفسه لماذا أنا كنتُ مهزوماً ضعيفاً؟ لماذا كان الشرّ يصدق من داخلي؟ لماذا كنتُ لا أحبّ الناس، لا أحب الخير لأحد؟.

تذكّر قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾

الرعد/11، شعر أن عليه أن يغيّر ما بداخله، شعر أن عليه أن يهدّب نفسه. شعر أن عليه أن يتقرب من ربّه، لكي يتصالح مع نفسه، عندها يتصالح مع الآخرين...

شعر بأن قوة نورانية تصدح في داخله، وتقول له: ابدأ التغيير. فبدأ يفكر، ولكن؛ هذه المرة كان يفكر بعقلانية جديدة، وتوكل على الله، رفض نهائياً أن يلتقي

مع الصحبة السيئة، حاولوا... حاولوا... عبثاً، عرف بأن هذا هو الطريق الصحيحة الذي يجب أن يتبعها، ولن يلتفت إلى الوراء أبداً، إنه الماضي القتوم. نعم، أخذ القرار في داخله، يجب أن أتغير وأغير، لا بالقول والتسويق. إنه فعلاً بدأ.

يا الله، لا أريد أن أكون مثلهم، وأتشبَّط، إنني قرَّرتُ التغيير في نفسي، في تصرفاتي، في أفكارِي، في سلوكي، في عاداتي، وها قد بدأت. نعم، يا ربي، سأكون مطيعاً لك. وهكذا شعرتُ شعوراً خفياً يمتزج بنور داخلي، وكأن صدري يصدق منه نور، وعلى وجهي علامات لم أعهد لها من قبل.

أمي فرحة مسرورة بعودتي إلى الله ﷻ، وبهذا التغيير، رجعتُ إليها، ومعِي كيس من الحلوى، قبَّلتُ يدها، ورجوتُها أن تدعو لي بالتوفيق، قبَّلتُ إختوتي وأختواتي، وعاهدتُ الله أن أغير كل شيء سلبى في حياتي.

قلتُ لها: يا أمي، أحبك، سامحيني. قبَّلتُ رأسها، وهي تذرف دموع الفرحة، كأنني غائب عنها سنوات، حتى إختوتي الصغار دموعهم في أعينهم فرحين بعودتي، شعروا وكأنني قادم من مكان بعيد، بدأتُ أدعو الله.

قمتُ باكراً، وصلَّيتُ، ودعوتُ الله أن يوفِّقني، وأول عمل قمتُ به أنني أعلنتُ عن طلب عمل لي في الجريدة، أيَّ عمل، أيَّ عمل.

إنه عمل شريف، مهما كان نوعه، ثم ذهبتُ لشركة بقرينا... لا تريد عمالاً... وذهبتُ أبحث... أبحث... على هذه الحال عشرة أيام، ولم أقنط من رحمة الله. ورن هاتفي: المتحدِّث يطلب حارساً ليلياً لإحدى الشركات... على الفور، اتجهتُ إليه، وفي الطريق، دعوتُ الله أن يوفِّقني.

استلمتُ الوظيفة، وكنتُ أحافظ على مواعيد الدوام. كنتُ يقظاً مثابراً مجدداً في متابعة عملي.

كنتُ أحاول أن أغير كل شيء في داخلي، كنتُ أشعر بأن هذا التغيير هو قرار مني، لكن؛ أشعر بأن قوة عظيمة تدفعني إلى أن أمشي في الطريق الصحيح... نعم. إنني أشعر بضياء بنور يغمرني.. أنا على يقين تام بأن الله معي.

شعرتُ بأن انقلاباً جوهرياً حَدَثَ في داخلي، في قلبي.
عندما أعود إلى المنزل أشتري لإخوتي بعض الحلوى، وما إن أصل، حتى يستقبلونني والابتسامة على وجوههم.

وأمي تنظر بعين الرضا، وتدعو لي، وأختي الكبيرة تنظر فرحة، ولكن داخلها غصّة، هذا المشهد تكرر عدة مرات، دعوتُها أن ننتزّه خارج المنزل، فكانت تعباً مرهقة، وهي تتحدّث معي، فانفجرتُ تبكي، فتركْتُها تبكي لحظات، ثم قالت: إبراهيم، الفراغ قاتل... قاتل، وأنا معي شهادة، فهمتُ قصدها، وطيبْتُ خاطرها، قرّرتُ أن أكون مبادراً لمساعدتها، ذهبتُ إلى صاحب الشركة، وكان يحبّني، لأنني كنتُ أعمل بهمة عالية وإتقان كامل، وطلبتُ منه عملاً لأختي... فوعدني خيراً، بعد ثلاثة أيام، عملتُ أختي موظّفة استقبال في معهد للكمبيوتر، وكانت أخته المديرية. حمدتُ الله تعالى، كيف كنتُ، وكيف أصبحتُ، إنني أشعر بقوة هائلة تغمرني، أشعر بسعادة واطمئنان، أشعر بنشوة النجاح.

وتذكّرتُ كيف كنتُ يائساً عاجزاً، لا أعرف إلا الكراهية.
فابتسمتُ ابتسامة النجاح والفوز بهذا التغيّر، وحمدتُ الله كثيراً.
وبدأتُ حياتي تتغيّر، أشعر بقوة ونور في داخلي، فأنا أحاول جاهداً أن أكون مطيعاً متعبداً لله، أتبع سنّة رسول الله ﷺ، وأجاهد نفسي، وأضبطها.
أدعو الله، أشكره على نعمه.
وشعرتُ بالرضا على ما أنعمه الله عليّ وعلى أهلي، وبدأتُ والدتي تتعافى رويداً رويداً. وتزوّجتُ أختي.

وأنا مقبل على الزواج من فتاة تخاف الله، ومطبعة لأوامره.
ما أجمل هذا التغيّر الذي وقَرَ في قلبي، فانبعث ضياء ونور، أهتدي بهما في طريق الحياة التي هي ممرٌ إلى دار السعادة الأبدية.
أشعر باستقرار وطمأنينة بأن الله قريب مني، وأنا قريب منه، حافظتُ على العهد الذي بيني وبين الله تعالى أن أكون مستقيماً مصلحاً لدينائي ولآخرتي ولأهلي، وأصل رحمي، وأحبّ الناس، أحبائي، أبنائي، هذه قصة إبراهيم، وكلّنا إبراهيم.

تعالوا معاً ننبذ حبّ الهوى.... حبّ الأنا... حبّ الانتهازية.

تعالوا لإعادة التلاحم والتماسك للروابط الأسرية، لكي تتمدد؛ لتشمل كافة أفراد المجتمع، وبدون تمييز، بالمحبة والإيثار، لنكون شبكة أمان اجتماعية متضامنة متفاعلة.

خيرية مجتمعنا في وجدانه

قال ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ﴾^{1}.

نداء من القلب إلى القلب، إلى أمناء ورؤساء وأعضاء الجمعيات الأهلية في مجتمعنا العربي، إلى أهل الإحسان والمعروف.

أنتم الذين تحملون همّ الأمة، همّ الوطن، همّ أفرادها، أنتم النور الذي يمشي به العاجز والمسكين والأرملة واليتيم وذوي الاحتياجات الخاصة، وأنتم الذين لا تحبّون الظهور، ولا الإضاعة.. وتعملون دون مقابل، أنتم وجدان وضمير الأمة، أخطابكم - ونفسي أولاً- بأننا علينا أن نستدرك بأن الأزمة الاقتصادية العالمية سبّبت اهتزازاً عنيفاً في الوضع الاقتصادي والاجتماعي عموماً، إضافة إلى وهن في نشر الوعي والتربية الأخلاقية بين أفراد المجتمع، ممّا انعكس سلباً على ترابط أفراد المجتمع وزيادة نسبة الطلاق والجرائم والإباحية المفرطة والاعتصاب وتغلغل المخدرات بكافة أنواعها، حتى بدأنا نسمع في بعض الدول خطف الأولاد، وبيع أعضائهم، هذا ممّا سيصل بنا إلى اللحظة الكارثية، عندها؛ من الصعب إيجاد أي حلّ لها.

أرجوكم تركيز الجهود على أسباب تفكك الأسرة، وإيجاد الحلول الجذرية لها، بأفكار جديدة مبدعة، تصحّح كل هذه المشاكل، وأخذ المبادرة، لأننا لو تتبّعنا كل الجمعيات الأهلية، لوجدنا أن النسبة العالية من المتردّدين عليها إمّا المطلّقة، وإمّا المطلّقة مع أولادها، وإمّا الأولاد المشردّين بسبب الطلاق، وإمّا العائلة بكاملها، بسبب الفقر الشديد، إضافة إلى الأرامل، وذوي الاحتياجات الخاصة.

هذه البؤرة في خاصرة المجتمع قد تكون العامل المتسرطن لكامل المجتمع، ألا وهو تفكك الأسرة، وخاصة نتيجة الطلاق، نعم؛ هناك ازدياد نسبة الطلاق بشكل غير مسبوق في عالمنا العربي!.

أسبابه كثيرة، ولا داعي لشرحها، وأهمّها عدم اعتماد المعيار الانسجامي المتكافئ بين الطرفين، وقلة التفاهم والمحبة والسكينة بين الطرفين.

(١) - رواه البخاري برقم (2442).

عذراً، أنا لا أقوم بالتنظير... معاذ الله، لكنها صرخة من قلب مدمى، عندما أرى أولاداً بعمر الزهور يعملون في تصليح السيارات، أعمارهم بين السادسة والعاشرة! أو يتسكعون في الطرقات، ويمدّون الأيدي! أو فتيات صغيرات مهملات في شوارع بعض البلاد العربية والذئاب المفترسة تحوم حولهن، والأم والأب في المحاكم يتنازعان حول بعض المكتسبات الواهية، وفلذات أكبادهم، جواهرهم، منسية على الطرقات.

والمفارقة العجيبة قد يكون بين من يقوم بالعدل أو الدفاع عن الزوج والزوجة من يشعل النار ليس إلا لحفنة من الدراهم يكتسبها محامي الدفاع، أقول بعضهم، بل وقلة منهم.

إذاً؛ أقول رأي المتواضع، وأكتبه، لعلّه يصل إلى أصحاب الهمم في كل مجتمعاتنا العربية، ليتدبروا الأمر، لعلهم بأفكارهم وعقولهم النيرة أن يوقفوا تفكك الأسرة هذه الظاهرة التي أضحت بؤرة سرطانية تتسع وتنتشر.

أرجوكم، وأناديكم، لا نريد فقط من الجمعيات الأهلية إعطاء بعض الملابس والنقود وكفالة المطلقة واليتيم، لا... لا، بل نريد حصر وضبط وترشيد موضوع الطلاق، وأخاطبكم -نفسي أولاً- بالتفكير بالأمر التالية:

1- إعادة ترتيب المجتمع الأهلي بجمعياته الإنسانية والتربوية والأخلاقية، وترتيب الأولويات واستقراء الواقع الاجتماعي ودراسة مكامن الخلل فيه ونواقصه وعيوبه وضخ أفكار وأهداف جديدة محفزة، تساعد على عملية إعادة اللحمة إلى هذه الأسرة، وضبط الإيقاع التربوي فيها، وذلك بتشكيل مراكز إرشادية في الجمعيات وخارجها، وهي مراكز تنقسم إلى:

- أ- مركز إرشاد المقبلين على الزواج - محاضرات - دورات - مساعدات.
- ب- مركز إرشاد نفسي للمتزوجين، ويحلّ المشكلات السريعة للأسرة.
- ج- مركز إرشاد تربوي خاص لأطفال الأسر، ويتضمن مراقبتهم التربوية والخلقية والنفسية.
- د- مركز إرشاد نفسي خاص بانتهاك حرمة الفتيات القاصرات - الاعتداء الجنسي والجسدي.

2- إنشاء لجان شعبية أهلية في كل (حي)، تسمى (لجنة إصلاح ذات البين)، مؤلفة من عدد من الشخصيات المعتبرة، من محامين، ومتقنين، ورجال دين، ورجال ذوي رأي ومشورة، ونساء مثقفات، تفهم أصول الدين، مهمتها معالجة مشاكل هذه الأسرة، وحلّها بأسرع وقت، قبل أن تتفاقم، تكون هذه اللجان مرتبطة مع مركز الإرشاد النفسي والتربوي التابع للجمعية الأهلية.

3- إنشاء مواقع إلكترونية خاصة للجمعيات، وبالأخصّ موقع يُعنى بإصلاح ذات البين (منتديات)، يقوم على إدارتها أهل الخير والعلم والكفاءة، ويكونون أصحاب تأثير على المتلقّي والمتلقّية، لعلّ هذا السهم يكون ذا فائدة للتخفيف من هذه المعاناة؛ حيث يتمّ التواصل بين صاحب المشكلة والموقع، لإعطائه بعض الحلول، ولتفريغ بعض ما يختلج في صدره من ضغوط وهموم، وهكذا.

4- تفعيل دور المساجد والقائمين عليها من أهل الخير، ليشاركوا في هذا المضمار الخير بإعادة بناء هذه الأسرة، قبل أن تسقط في دوامة الطلاق والتشردّ.

5- ربط كل هذه الجمعيات التي تعمل في هذا المجال مع مسؤول في وزارة الشؤون الاجتماعية مثلاً، أو وزارة العدل، أيّ وزارة، لكي يتمّ التنسيق بعرض المشاكل التي لا تُحلّ إلا بتدخل أجهزة الدولة، بمعنى آخر، تكافل وتكامل ومؤازرة بين المجتمع الأهلي وأجهزة الدولة -أي التشاركية في العمل- لإعادة السكينة والطمأنينة لهذه الأسرة، قد يتساءل أحدهم: ما هو دور الدولة؟، الجواب: دورها كبير، إن استطاع المسؤول في كل بلد - المحافظ - قائم مقام - رئيس البلدية - أن يهتمّ شخصياً بهذه الأمور، وأن يقوم بعمله بما يرضي الله ﷻ، ويرضي ضميره المهني ووازعه الديني بالتنسيق الكامل مع المجتمع الأهلي كتوظيف الزوج أو الزوجة لزيادة المدخول الأسري الذي قد يكون السبب في هذه المشاكل مثلاً... وهكذا سينخفض مستوى الطلاق، لأن المشاكل المسببة للطلاق قد حُلّت بتضافر جهود أهل الخير كافة؛ لأن المجتمع الأهلي ممثلاً بجمعياته الإنسانية ككل، قد قام بأخذ المبادرة، ووضع خططاً وأفكاراً جديدة، وقام بتطبيقها، فما بالكم بالمجال الصحي، وإعادة تأهيل الفتيات، وتعليمهنّ مهناً يدوية، وهكذا.

6- إقامة ندوات ومحاضرات وبرامج (بروشورات) كل شهر في كل حي ومنطقة وبلدة، تشرح وتفهّم حقوق الأولاد وحقوق الزوج وحقوق الزوجة، لكي تتمي في الأسرة روح المسؤولية، روح الحب والتعاون والتراحم، روح الأثرة والتضحية، رويداً... رويداً ستظهر النتائج، بإذن الله، ويجب على القائمين على هذا البند أن يضعوا الأفكار الجديدة المبدعة، ويحلّوا كل صغيرة وكبيرة لهذه المشكلات، لإيجاد الحلول النافعة.

7- تمكين اللجان التي تُعنى بإصلاح ذات البين من الدخول إلى منازل الأسر التي تعاني من مشاكل اجتماعية، لكي يدرسوا الواقع الحقيقي لهذه الأسرة، باجتماع مع الزوج والزوجة، وينصحوهم ما أمكن، بالكلمة الطيبة وإثارة المحبة بينهما والحوار.

8- ولأنهم بحاجة لمن يسمع مشاكلهم، قد تكون هذه النقطة هي الأهم، فعلينا جميعاً أن نسمع إلى حواراتهم ومشاكلهم شرط إعطائهم الحلول المناسبة والعملية، وتنفيذها على أرض الواقع؛ لكي تفرّج عن كرباتهم، وعن همّهم، ولا يمنع عند نجاح في حلّ مشاكل هذه الأسرة، أو تلك، أن يتم لها حفل صغير فيه المأكولات والمشروبات، وفيه جوائز نقدية وعينية لهذه الأسرة المحتاجة أصلاً لمثل هذا - برّاد - تلفزيون - أغطية - زيت - طحين - ملابس، لتحفيزهم على الاستقامة والمحبة والتآلف، شرط متابعة هذه الأسرة بين الحين والآخر، والتواصل المستمر معها، بطرق معينة.

إذاً؛ إذا تضافرت هذه الجهود مجتمعة بالتشاركية الكاملة مع المسؤولين، لتمكّن جميعاً من العيش بطمأنينة وأمان وسعادة؛ لأننا نجحنا في إيقاف انهيار هذه الأسرة، وإعادة اللحمة لها، والابتسامة على وجوه أطفالها.

وهذه النتائج المثمرة لا تأتي إلا بالأفعال والأعمال الخيرية، فكل فعل ردّة فعل، وبالتالي:

مستوى الجريمة سينخفض.

مستوى السرقة سينخفض.

مستوى الرذيلة سينخفض. ← وتأتي النتائج مبهرة في الاتجاه الآخر

مستوى الانتحار سينخفض.

مستوى عدد المساجين سينخفض.

ملاحظة: واللّه، لستُ من عشّاق أفلاطون والمدينة الفاضلة، إنما من عشّاق هذا الحديث: عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أخبره رسول الله ﷺ قال: ﴿المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومَن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومَن ستر على مسلم، ستره الله يوم القيامة﴾^{1}.

إنه فعل الخير وخيرية هذه الأمة التي أقرّها الله جل جلاله في كتابه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران/110.

هنيئاً لأهل الهمّة والإحسان لأهل الخير الذين يعملون بصمت، ولا يحبّون الإضاءة، ولا الكاميرات، هنيئاً لأهل الخير والمعروف، أهل المجتمع الأهلي أصحاب ورؤساء وأعضاء الجمعيات الإنسانية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية والصحية في البلاد العربية^{2}.

ومرتبة الإحسان مرتبة عالية وسامية، لا يصل إليها الإنسان إلا بإخلاص نيته لله ﷻ.

فعلينا كلنا أن نعرف ونتعلّم ثقافة الإحسان. فهنيئاً لكم، لأنكم تحملون هذا المشعل، وتضيئون به الطريق للآخرين، نعم، هذا هو الإحسان، وعلينا كلنا أن نتبع هذا الطريق، أن نتعلّم معنى الإحسان وثقافة الإحسان، لأنه أعلى مرتبة للعطاء والبذل والجهد. عندئذ؛ نفهم معنى ثقافة قبول الآخر... ثقافة الحقوق والواجبات، وبالتالي؛ نرتقي بالمواطنة إلى مرتبة سامية.

(١) - رواه البخاري برقم (2442).

(٢) - للعلم كنتُ عضواً نشطاً في لجنة التحقيق عن العائلات المستورة في جمعية البرّ والخدمات الاجتماعية في اللاذقية.

الطريق إلى الله ﷻ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ التحريم/8.

[قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، ولا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاث شروط؛ أحدها: أن يُقْلَعَ عن المعصية، والثاني: أن يندم على فعلها، والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، فإن فقد أحد الثلاثة، لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي، فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها.

﴿توبة نصوحاً﴾ أي توبة صادقة خالصة بالغة في النصح الغاية القصوى، وسُئِلَ عمر رضي الله عنه عن ﴿التوبة النصوح﴾؟ فقال: هي أن يتوب، ثم لا يعود إلى الذنب.

قال تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور/31 [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿والله، إني لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة﴾ [2].

إن الله تَوَّاب، يقبل التوبة من عبده لآخر لحظة من حياته.

عن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله ﷻ يقبل توبة العبد، ما لم يغرغر﴾ [3].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ البقرة/222.

(١) - شرح رياض الصالحين للنووي، وعُلِّقَ عليه الصابوني، ص 18.

(٢) - رواه البخاري برقم (6307).

(٣) - رواه الترمذي.

والتَّوَابُونَ: هم الذين يُكثرون من التوبة، وللتوبة الصادقة خصائص، إنها أولاً تُخرج حظَّ الشيطان من القلب، فيصبح طاهراً، فتملأ القلب سكينه، ويصبح في داخله نور الإيمان، وتبدأ السكينة تتملكه، فتراه يتوب ويستغفر الله، ويدعو الله لكي يكون دائماً على الصراط المستقيم، لأن في التوبة تسليماً وتوحيداً وتوكلاً على الله. **والتوبة لغوياً:** بمعنى الرجوع، ويقال: تاب وأتاب وآب، فمن تاب لخوف العقوبة، فهو صاحب التوبة، ومن تاب طمعاً في الثواب، فهو صاحب إناية، ومن تاب مراعاة للأمر، لا خوفاً ولا طمعاً، فهو صاحب أوبة.

والتَّوَابُ في حقِّ الله تعالى، هو الذي يتوب على عبده، ويوفقه إليها، ويبسرها له. وما لم يتب الله على العبد لا يتوب العبد، فابتداء التوبة من الله تعالى بالحق وتمامها على العبد بالقبول، فإن وقع العبد في ذنب وعاد وتاب إلى الله رحب به قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة/118، ولا يزال العبد تواباً، ولا يزال الرب غفّاراً.

التوبة أول منازل العبودية وآخرها، والحض على التوبة دائماً. قال رسول الله ﷺ: ﴿لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجل في أرض دوية مهلكة، فنزل منزلاً، ومعه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام، فاستيقظ، وقد ذهب، فطلبها، حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فوضع رأسه، ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته، عليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده﴾ {1}.

أين نحن من هذه الذنوب؟ ألسنا بحاجة إلى توبة من النسيمة والغيبة؟ ونظرة هنا وهناك؟ أهملنا اليتيم والأرملة.. ابتعدنا عن بعض العبادات، كلنا نعرف بأخطائنا، فتعالوا نتوب إلى الله من كل ذنب.

عن أبي موسى عليه السلام، عن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَجُلٌ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ، لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا﴾ {2}.

(١) - رواه مسلم في صحيحه برقم (2744).

(٢) - رواه مسلم برقم (2759).

نحن بشر، نخطئ، ونصيب، ونقع في المحذور، وننهض، لكن؛ لا بد أن الغلط يُصحَّح، لكي نتابع المسيرة.
بالإصرار تكمن المشكلة؛ أي الإصرار على ارتكاب المعاصي، تُردي صاحبها إلى جهنم.

[عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً كَانَتْ نَكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ مِنْهَا، صُفِّلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الْمُطْفِئِينَ/14﴾^{1}.
والخطأ طبيعة في الإنسان، فالتوبة يجب أن تكون مرافقة له. ولهذا؛ جاءت التوبة والاستغفار، فتمحو الذنب، لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له [وقال ابن عباس: لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار]^{2}.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ: ﴿أَنْ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأَتَى رَاهِبًا، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ، فَقَتَلَ الرَّاهِبَ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَتِهِ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِيرٍ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا﴾^{3}.

احذروا من الكبائر... احذروا من الكبائر. وعنه ﷺ قال: ﴿أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِكَبِيرٍ الْكِبَائِرُ ثَلَاثًا، فَقَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ﴿الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجُلُوسُ وَكَانَ مَتَكِّئًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ﴾^{4}.

وعنه أيضاً: ﴿اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ، قَالَ: ﴿الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَالِي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾^{1}.

(١) - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص610 (رواه الترمذي والنسائي).

(٢) - صفوة التفاسير، ص230.

(٣) - رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (2766)، وَتَوْجَدُ رَوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِهَذَا الْحَدِيثِ.

(٤) - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ (2654).

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ النساء/31.

[أي إن تتركوا -أيها المؤمنون- الذنوب الكبائر، التي نهاكم الله ﷻ عنها، نمحُ عنكم صفائر الذنوب، بفضلنا ورحمتنا...]{2}.

(١) - رواه مسلم برقم (89).

(٢) - صفوة التفاسير للصابوني، ص230

الفصل الأول

الغفور الرحيم

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ النساء/106،

ومن أسماء الله الغَفَّار «الغفور والغفور من الغفر»، وهو الستر، والله هو الغفور، يغفر فضلاً وإحساناً منه، هو الذي إن تَكَرَّرَتْ منكِ الإساءة، وأقبلت عليه، فهو غَفَّارك وساترك.

والغفور.. هو مَنْ يغفر الذنوب العظام. والغَفَّار: هو مَنْ يغفر الذنوب الكثيرة، والغفور أبلغ من الغافر، والغَفَّار أبلغ من الغفور.

وإن أول ستر الله على العبد أن جعل مقابح بدنه مستورة في باطنه، وجعل خواطره وإرادته القبيحة في أعماق قلبه، وإلا مقتته الناس، فستر الله عورته، وينبغي للعبد التأدب بأدب الاسم العظيم، فيستر عيوب إخوانه، ويعفو عنهم، وفي الحديث: ﴿مَنْ لَزِمَ الاستغفار، جعل الله له من كل همّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب﴾^{1}.

وعَلَّمَ النبي ﷺ أبا بكر الصديق الدعاء الآتي:
﴿اللهم، إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم﴾.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿والله، إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة﴾^{2}.

[عن أنس رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ﴿قال الله تعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرتُ لك على ما كان منك، ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرتُ لك، ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني

(١) - رواه أبو داود.

(٢) - رواه البخاري برقم (6307).

بقرباب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقربابها مغفرة ﴿١﴾ ولا أبالي ﴿١﴾.

﴿أي أغفر لك كل ذنب، ولا أكثرث بكثرة الذنوب﴾ بلغت ذنوبك عنان السماء ﴿أي وصلت من كثرتها إلى أعلى السماء، غفرتها لك، إذا تبت منها، ولا يستعظمني شيء.﴾

﴿أتيتني بقرباب الأرض خطايا﴾ أي جئتني بملء الأرض ذنوباً، وأنت لا تشرك معي أحداً، لأتيتك بملئها مغفرة، فلا تستعظم ذنوبك، فرحمتي أوسع من كل ذنب، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف/156 ﴿٢﴾.

السعادة كلها في طاعته، والأرباح كلها في معاملته، والمحن والبلايا كلها في معصيته ومخالفته، فليس للعبد أنفع من شكره وتوبته: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر/34.

أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه، إن رحمته تغلب غضبه، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، يطاع فيشكر، وطاعته من توفيقه وفضله، ويعصى فيحلم، ومعصية العبد من ظلمه وجهله، ويتوب إليه فاعل القبيح، فيغفر له، حتى كأنه لم يكن -قط- من أهله، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾، الحسنة عنده بعشر أمثالها، أو يضاعفها بلا عدد ولا حساب. والسيئة عنده بواحدة، ومصيرها إلى العفو والغفران، وباب التوبة مفتوح لديه منذ خلق السموات والأرض إلى آخر الزمان: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر/34.

... ولا يفوز بعطاياه إلا الشاكرون، ولا يهلك عليه إلا الهالكون، ولا يشقى بعذابه إلا المتمرّدون: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر/34.

من تعلق بصفة من صفاته، أخذته بيده، حتى تدخله عليه، ومن سار إليه بأسمائه الحسنی، وصل إليه... ومن أحبه، أحب أسمائه وصفاته، وكانت لديه....

(١) - رواه الترمذي.

(٢) - تعليق وشرح الصابوني (من شرح رياض الصالحين، ص 639).

أهل طاعته أهل كرامته... وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، وإن تابوا، فهو حبيبهم، وإن لم يتوبوا، فهو طبيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب، ليكفر عنهم الخطايا، ويظهرهم من المصائب: قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر/34[1].

فضل الدعاء والذكر

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ النمل/62.
[قال الإمام أحمد بن أبي تميمة الهجيمي: قلت، يا رسول الله، إلام تدعو؟ قال: ﴿أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسك ضرر، فدعوته، كشف عنك، والذي إن أضللت بأرض ففر، فدعوته، رد عليك، والذي إن أصابتك سنة، فدعوته، أنبت لك﴾{2}].

شروط استجابة الدعاء ومواظننه:

○ قام سعد بن أبي وقاص، فقال: يا رسول الله! ادعُ الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال: يا سعد، أطلب مطعمك، تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده، إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه، ما يتقبل منه أربعين يوماً، وأما عبد نبت لحمه من السحت والربا، فالنار أولى به﴾{3}.

[الأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة، كما جاء في الحديث: قال رسول الله ﷺ: ﴿أيها الناس، إن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك﴾{4}]. رواه أحمد ومسلم والترمذي.

○ إعادة واستمرار في الدعاء وعدم التعجيل، وأن يدعو صالحاً، فعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا

(١) - عدة الصابرين، ص206 وص207.

(٢) - مختصر ابن كثير، ج2، ص676.

(٣) - رواه مسلم - ابن كثير، ج1، ص150.

(٤) - مختصر ابن كثير، ج1، ص152.

معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب إلى شبراً، تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي، أتيته هرولة ﴿1﴾.

○ وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: ﴿ما من مسلم يدعو الله ﷻ بدعوة، ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله به إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا؛ نكث، قال: الله أكثر﴾ {2}.

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعْ بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت، فلم أرَ يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدعُ الدعاء﴾ {3}.

○ رفع الأيدي عند الدعاء، كما فعل رسول الله ﷺ، ما قاله أنس بن مالك عن النبي ﷺ: ﴿رفع يديه، حتى رأيتُ بياض إبطيه﴾ {4}.

○ اليقين من الإجابة وتكرار الاستغاثة:

وقال ﷺ: ﴿القلوب أوعية، وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتُ الله أيها الناس فاسألوه، وأنتم موقنون بالإجابة، فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل﴾ {5}.

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إذا دعا أحدكم، فليعزم في الدعاء، ولا يقل: اللهم، إن شئتَ، فأعطني، فإن الله لا مستكره له﴾ {6}.

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ﴾ الأنفال/9.

(١) - رواه مسلم برقم (2675).

(٢) - رواه أحمد.

(٣) - رواه مسلم برقم (2735).

(٤) - رواه البخاري رقم (6341).

(٥) - رواه أحمد عن عبد الله بن عمر.

(٦) - رواه مسلم برقم (2678).

○ يستجاب للدعاء المظلوم والإمام العادل والصائم، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُم: الإمام العادل، والصائم حتى يُفطر، دعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة، وتُفتح لها أبواب السماء، ويقول بعزتي لأنصرنك، ولو بعد حين﴾^{1}.

أمر الله تعالى بذكره والإكثار من ذكره بعد قضاء المناسك والعبادات، [وقال القاسم أبو عبد الرحمن: مَنْ أُعْطِيَ قَلْبًا شَاكِرًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَجَسَدًا صَابِرًا، فَقَدْ أُوتِيَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ، وَوَقِيَ عَذَابَ النَّارِ]^{2}.

لهذا؛ ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة، يستغفر الله ثلاثاً، وفي الصحيحين أنه يندب إلى التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين.

■ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدَّعَاءَ﴾^{3}.

■ وعند جوف الأخير من الليل وخفض الصوت بالذكر والدعاء، فعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: ﴿أَيُّ الدَّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: جَوْفَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَدُبْرَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَةِ﴾^{4}.

■ التلطف في الدعاء، قال نبي الرحمة: ﴿أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَهُ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ﴾^{5}.

عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾^{6}.

(١) - رواه أحمد والترمذي والنسائي.

(٢) - مختصر ابن كثير، ج 1، ص 183.

(٣) - رواه مسلم برقم (482).

(٤) - رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

(٥) - رواه مسلم برقم (2704).

(٦) - رواه مسلم برقم (2730).

▪ وَيُستجاب الدعاء عند الأسحار، قال تعالى: وَيَالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ الذاريات/18.

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ﴿يُنزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: هل من سائل، فأعطيه؟ هل من داع، فاستجيب له؟ هل من مستغفر، فأغفر له؟﴾^{1}.

▪ فضل دعاء للمسلمين بظهر الغيب، ولك مثل ذلك، عنه ﷺ: ﴿ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك: ولك بمثل﴾^{2}.

▪ أفضل الأوقات على الإطلاق يُستجاب الدعاء فيه هو يوم عرفة وليلة القدر وبعد الصلاة المكتوبة وعند نزول الغيث، ولكن: الدعاء بتضرع ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف/55.

فضل التسبيح والتحميد:

عن أبي ذرّ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ألا أخبرك بأحبّ الكلام إلى الله؟﴾ قلت: يا رسول الله، أخبرني بأحبّ الكلام إلى الله، فقال: إن أحبّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده﴾^{3}.

عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ألا أعلمكما خيراً ممّا سألتما؟ إذا أخذتما مضاجعكما أن تكبرا الله أربعاً وثلاثين، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمّداً ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم﴾^{4}.

فضل ذكر الله: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: ﴿مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر، مثل الحي والميت﴾^{5}.

(١) - رواه مسلم برقم (758)، والبخاري برقم (7494).

(٢) - رواه مسلم برقم (2732).

(٣) - أخرجه مسلم برقم (2731).

(٤) - رواه مسلم برقم (2727).

(٥) - رواه البخاري برقم (6407).

فضل التهليل :

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمِ مِئَةِ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيتَ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حُرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَاكَ حَتَّى يَمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ وَعَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ {1} .

هذا هو ديننا دين السماحة دين قبول المذنب، ولكن؛ أن يتوب إلى الله، ويدعو الله، ويستغفره. ما أجمل هذه الرحمات! فالله هو الرحمن الرحيم، أمرنا أن نستفتح أعمالنا باسمه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الفاتحة/1.

هكذا علمنا رسول الله ﷺ أن ندعوا الله ﻋَﻠَﻴْهِ، ونذكره آناء الليل وأطراف النهار، فلنبداً جميعاً بالعودة إلى الله ﻋَﻠَﻴْهِ، طريق الحق، إنه ينتظرنا، ويأذن الله، سنسعد بلقائه ولقاء الحبيب المصطفى الرحمة المهداة لأمته ولجميع العالمين. هل نحن أغنياء؟ أم فقراء؟... كل بني آدم فقراء إلى الله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فاطر/15. [يخبر تعالى بغنائه عما سواه، وبافتقار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، وهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغني عنهم بالذات]{2} .
وتعالوا، نقرأ هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، الذي يوضح معنى الآية الكريمة هذه.

عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ﴿يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي، أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي، أَطْعَمْكُمْ، يَا عِبَادِي: كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاكْسُونِي، أَكْسَكُمْ. يَا عِبَادِي: إِنَّكُمْ تَخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا .

(١) - رواه البخاري برقم (6403).

(٢) - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص142.

فاستغفروني، أغفر لكم، يا عبادي: إنكم لن تبلغوا ضريّ، فتضروني، ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيتُ كل إنسان مسألتَه، ما نقص ذلك ممّا عندي إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر، يا عبادي: إنما هي أعمالكم، أحصيتها لكم، ثم أوفيكُم إياها، فمَن وجد خيراً، فيحمد الله، ومَن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه ﴿1﴾.

نسأل الله العفو والعافية

[العفو: من أسماء الله الحسنى، وله معنيان.. الأول: هو المحو والإزالة. والعفو في حقّ الله تعالى عن إزالة آثار الذنوب كلية، فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبين. ولا يطالبه بها يوم القيامة، ويُنسيها من قلوبهم. ويثبت مكان كل سيئة حسنة.

والمعنى الثاني: هو الفضل، أي هو الذي يعطي الكثير. في الحديث: ﴿سلوا الله العفو والعافية﴾. والعافية هنا دفاع الله عن العبد، والمعافة أن يعافيك الله من الناس، ويعافيه منكم، أي يغنيك عنهم، ويغنيهم عنك، وبذلك صرف أذاك عنهم، وأذاهم عنك. وحظ العبد من الاسم أن يعفو عمّن أساء إليه، أو ظلمه، وأن يُحسن إلى من أساء إليه] د. محمد راتب النابلسي.

إذا؛ العفو، أي الماحي آثار الذنوب، ومزيلها، والمسامح والراضي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ البقرة/52.

جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: ﴿يا رسول الله، أنا كثير الذنوب، فهل يعفو الله عني، إن تبتُ إليه؟ فقال له النبي ﷺ: نعم، يعفو عن كل ما مضى، فقال: يا رسول

(١) - من صحيح مسلم برقم (2577).

اللَّهُ، وغدرا تي وفجرا تي، فقال له: وغدرا تك وفجرا تك ﴿1﴾، فغدا الرجل يقول: اللَّهُ
أكبر، العَفْوُ يغفر الذنوب.

إنه العَفْوُ صاحب الفضل والرحمة.

يا عَفْوٌ.. يا عَفْوٌ.. يا عَفْوُ، يا ذا الجلال والإكرام، اعفُ عنا.. اعفُ عنا..
وارحمنا.. اللهم، إنك عَفْوٌ، تحبُّ العفو، فاعفُ عنا عن أمة محمد أجمعين.
وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربَّ
العالمين.

(١) - أخرجه الترمذي.

الفصل الثاني

مَنْ هُم الْفَائِزُونَ بِرِضَا اللَّهِ ﷻ وَجَنَّتِهِ

الفلاح والنجاح والفوز بالجنة ورضا الله لا يأتي إلا بالإيمان والعمل الصالح مصبوغاً بالأخلاق. تعالوا معاً نتذكر صفات المؤمنين: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾² الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ³ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال/24.

عن رسول الله ﷺ: ﴿أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ كَلِمَةٍ مِنْ كُنْزِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله﴾^{1}.

المؤمن بالله تتغير صفاته للأفضل. إنه كريم رحيم خائف من عذاب الله، هو عفيف طاهر (الفرج واليد واللسان) أمين لا يغدر لا يكذب، لا يكتُم الشهادة. فهو رزين قوي، ليس قلقاً، إنه صاحب إرادة قوية، هو ذو الهمة بكل أبعادها. أكثر الوصايا الموجودة في القرآن، لو دققنا النظر فيها، لوجدناها كلها تحت المسلم على السمو الأخلاقي في سلوكه وتعامله مع نفسه ومع الآخر، لأن الإيمان لا يركز في النفوس إلا عند سموها الأخلاقي.

وأكثر الآيات التي تتحدث عن الأخلاق كانت عند بدء الدعوة، أي في مكة المكرمة، لأنها تؤسس النفوس، وتزكيها بالأخلاق الحميدة؛ لترسخ عندها عقيدة الإيمان.

ولا يتأتى ذلك إلا بمجاهدة النفس، فكل عمل عبادة، وكل حركة عبادة، كلها أعمال صالحة، وبمقابلها حسنات متضاعفة.

(١) - رواه البخاري برقم (6409) جزء من الحديث.

زيارة المريض عبادة، والسلام عبادة، والتبسم في وجه أخيك عبادة، ومسح رأس اليتيم عبادة، وصلة الرحم عبادة، وبرّ الوالدين عبادة، وأن تكون قوياً عبادة، وأن تكون رؤوفاً عبادة، وقضاء حوائج المحتاجين عبادة، وإغاثة الملهوف عبادة، والإحسان للجار عبادة، والكلمة الطيبة عبادة، وإطعام المحتاج عبادة، ما دمتَ ترجو في ذلك وجه الله مخلصاً له الدين، فأنت في عبادة، في كل الأوقات. ذكر الله عبادة، الدعاء عبادة، العمل الصالح عبادة، قراءة القرآن عبادة، الابتعاد عن اللغو عبادة، إصلاح ذات البين عبادة، ترحم المسكين، تطعم الحيوان الجائع عبادة، والعبادة لها حسنات مضاعفة.

هذا هو إسلامنا واضح وضوح الشمس، إسلام المحبة، إسلام الألفة، إسلام الوسطية، إسلام التوازن والاعتدال.

ما حكمة ضرورة الإيمان باليوم الآخر

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون/115.

الإيمان باليوم الآخر ذو أهمية كبيرة في حياة المسلم. إنه يدفعه إلى العمل بجد ونشاط، وبروح عالية ونفس مطمئنة، وهو ذو أثر عميق في التربية النفسية والاجتماعية والسلوكية للمسلم.

1- تخفيف وقع المصائب على النفس البشرية.. فالحياة بكدها ونكدها، وهذا الكفاح لتحقيق لقمة العيش وتحصيل العلم وبناء الأسرة وتربية الأولاد وبدون سابق إنذار، يأتي الموت الذي يعترض الحياة، ويمنعها عن أصحابها، وهذا الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات، ولا أحد يملك رده أو تأجيله، إنه يأخذ الروح، ويترك الجسد هامداً بلا حراك.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ الأنبياء/35.

أين تذهبون؟! انتهى المشهد الدنيوي، وأسدت الستارة عنه: قال تعالى:

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ الأعراف/34.

لكن؛ هل سيذهب معه أحد؟.. رهبة الموت مرعبة!

مَنْ سِيْذْهَب مَعَهُ؟.. لَا أَحَدٌ يَسْمَعُ النِّدَاءَ .

لَا مَالَهُ .. لَا جَاهَهُ .. لَا أَهْلَهُ .. الْكُلُّ لَنْ يَلْحَقَ بِهِ ! لَكِنْ .. لَكِنْ ... هُنَاكَ .. مَنْ سِيَلْحَقُهُ ، وَهُوَ دَائِمًا مَعَهُ مِنْ هَذَا الرِّفِيقِ الْوَفِيِّ؟ مَنْ هَذَا الْخَلِيلُ الَّذِي سِيَرِافِقُهُ .
إِنَّهُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ ، هُوَ الَّذِي يُؤْنَسُ فِي قَبْرِهِ ، وَهُوَ الَّذِي سِيَدَافِعُ عَنْهُ لِأَحَقِّ .
الْأَوْلَادُ .. الْأَحْبَاءُ .. الزَّوْجَةُ .. الْأَهْلُ ... الْكُلُّ سِيَلْقِيهِمْ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَهُنَاكَ مَنْ سِيَسْعِدُ بِلِقَائِهِمْ ، وَيَسْعُدُونَ بِلِقَائِهِ ، وَيَجْتَمِعُ بِالْأَحِبَّةِ .

فَالْمُؤْمِنُ بِهَذَا اللَّقَاءِ مَرْتَحٍ الضَّمِيرُ ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ سِيَسْعِدُ سَعَادَةً ، لَيْسَ بَعْدَهَا شَقَاءٌ . سِيَسْعِدُ بِلِقَاءِ اللَّهِ ﷻ ، وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ سِيَسْعِدُ بِرُؤْيَا اللَّهِ ، سِيَسْعِدُ بِلِقَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

هُوَ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ الَّذِي خَافَ اللَّهَ ﷻ فِي الدُّنْيَا ، وَتَعَبَ كَثِيرًا ، وَهُوَ صَابِرٌ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عِبُورٌ إِلَى مَرَحَلَةٍ وَمَشْهَدٌ آخِرٌ هُوَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ، فَاللَّهُ ﷻ لَمْ يَخْلُقْنَا لِنَعِيشَ سَاعَاتٍ قَلِيلَةً وَسَنِينَ مَعْدُودَةً فَقَطْ ، وَكَأَنَّ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، بَعْضُ النَّاسِ يَعْتَقِدُونَ !.

نَعَمْ .. نَعَمْ .. يَا رَبَّنَا ، أَوْجَدْتَنَا لِلْقَاءِ الْمُرْتَقِبِ ، تَسْعِدُ بِنَا ، وَنَسْعِدُ بِكَ ، إِنَّهُ لِقَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، لِقَاءُ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، لِقَاءُ الرَّحْمَةِ وَالنَّعْمَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَتَزَوَّدُوا ، فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى . يَا ذَنْ اللَّهَ ، سَنَسْعِدُ بِلِقَاءِ الْأَحِبَّةِ ، أَعْمَلُوا الْخَيْرَ ، وَاصْبِرُوا ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ ، لِهَذَا ؛ فَالْمَوْتُ حَقٌّ ، وَهُوَ مُحِطَةٌ يَسْتَرِيحُ بِهَا الْمُؤْمِنُ بِاللَّهِ مِنَ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَنْتَقِلُ بَعْدَهَا إِلَى الْيَوْمِ الْآخِرِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ هُود/105 .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقُوا وَزَرَعُوا زَرْعًا يَرْضَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ وَاسْتَعَدُّوا لِلْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ هُمْ السَّعْدَاءُ الْفَائِزُونَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ ، وَجَنَّةُ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا هِيَ الْوُجُودُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَأَنَّ حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ فَقَطْ ؛ فَهُمْ الْأَشْقِيَاءُ .

2 - إِنْ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ضَرُورِيٌّ لِإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَإِرْجَاعِ الْحَقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا ، فَالدُّنْيَا فِيهَا ظُلْمٌ كَثِيرٌ ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ظَلَمُوا وَظَلُمُوا ، إِنَّهُ صِرَاحُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، أَمَّا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ، يَوْمِ الْحِسَابِ ، يَوْمِ الْعَدْلِ الْأَعْظَمِ ؛ فَهُنَاكَ قَاضِي

القضاة، إنه الله العزيز القدير، سينصب الميزان في هذا اليوم، يعطي كل ذي حق حقه.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ 6 ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ 7 ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ 8 ﴿فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ 9 ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ 10 ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ القارعة/611.

3-اليوم الآخر ضروري لضبط السلوك من الانحراف الأخلاقي وحب الشهوات والازدياد من الأعمال الصالحة.

في الدنيا منهم من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، هم الكافرون الملعونون.

في الدنيا هي حياتهم وسعادتهم وغايتهم، يجمعون، ويبنون، قلوبهم لاهية، يستبشرون كل شيء يقف في طريقهم، لكنهم يوم القيامة أعمالهم كالرماد.

أما المؤمن؛ فهنا بيت القصيد، هو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل الصالحات، ويعمل وفق ضوابط سلوكية أخلاقية، وفق المنهج الذي ارتضاه الله ﷻ للبشر، لو كان عليهم ضيق مادي صبروا، وجعلوا هذا الصبر من العبادة ورضا بما قسم الله لهم، ومتفائلين بما بشرهم الله به في اليوم الآخر، فكل ما يقدمونه من خير وأعمال البر، سينالهم الأجر أضعافاً مضاعفة: قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الأنعام/160.

إن ضبط السلوك الأخلاقي للناس نتيجة الإيمان بالله واليوم الآخر يحتم على المؤمنين الإكثار من أعمال الخير والبر وحث النفوس على القوامة والانضباط، ممّا يزيد من تراكم بواعث الخير في قلوب العباد.

وبالتالي؛ جميع سلوكيات المؤمنين تتناغم على هذا الطريق السوي، فيسارعون في الخيرات والأعمال الصالحة بقلوب مضيئة بالإيمان.

لكن عدم الإيمان هو أعظم ذنب، فإذا قرن به ذنب آخر، علم أن هذا الذنب مرتبته تلي مرتبة الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ 33 ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحاقة/33-34.

لو دققنا في الكلمات لم يقل، ولم يطعم المسكين، بل ﴿ولا يحض﴾، فقط لو وصل الأمر للحث على إطعام الفقراء والمساكين: سبحانه الله، يبدو أن كثيراً من

الناس هم الذين أشقوا هؤلاء الفقراء واليتامى والمساكين، فأصبحت سرايلهم ممزقة ووجوههم شاحبة صفراء تنتظر اللقمة من هنا وهناك.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور/24. نموذج آخر من هؤلاء المتهافتين إلى جهنم! هم أنفسهم المتهافتون على الدنيا ومتاعها، وبأساليب ملتوية، قدرة، حتى لو ضرب زلزال في بلدهم أو مجاعة، لرأيتهم يهربون أموالهم، ولا يقدمون أي مساعدة لأحد، ولرفعوا أسعار المواد الغذائية مثلاً.

4- اليوم الآخر يرفع المعنويات للضعفاء والفقراء والمساكين، ويبعث الطمأنينة في الدنيا؛ لأنها دار ابتلاء.

مصائب الدنيا شديدة، والصبر هو حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ الرعد/22.

إن إيمان الإنسان سيخضع للامتحان من الله ﷻ، وهذا الامتحان قد يكون في نفسه أو في ماله أو أهله أو في دينه، فمن صبر على الامتحانات ولم يجزع ولم يسخط وكان مطمئناً وأن الذي يحدث معه بأمر الله، فعليه الصبر والتوكل على الله، وأن يحاول جاهداً تخطي هذه المصائب: قال تعالى: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ 2 ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت/12.

5- مصلحة الوطن في الإيمان باليوم الآخر:

[كما أن الإيمان باليوم الآخر ضرورة وطنية، لأن المجتمع المثالي الذي يعرف كل مواطن فيه واجباته تجاه وطنه، فيؤديها، ويخشى أن يحاسبه الله يوم القيامة عن التفريط فيها، يسهر للدفاع عنه، ويعتبر نفسه على ثغرة من ثغوره، فلا يسمح لأحد أن ينفذ من قلبه، يجعل هذا الوطن منيعاً مصاناً عزيزاً كريماً^{1}. وأضيف فإن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر هو الذي يفرط بوطنه، ويكون خنوعاً ضعيفاً، أما المغريات المادية؛ فسمعنا في بلد عربي قد كشف فيه عشرات من الخلايا العميلة للعدو، فهل هؤلاء الناس لديهم وازع ديني؟ صدقوني، هؤلاء فاقدوا البصر والبصيرة.. فاقدون إنسانيتهم.. فلن يعول عليهم بنخوتهم

(١) - يسر مبيض: اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، ص174.

وشهامتهم.. مَنْ يبيع أسرار بلده، ويكون عميلاً، يبيح لكل أن يأخذ من ممتلكاته حتى الخاصة امرأته عرضه شرفه.

6- أخلاق أهل الآخرة وروادها:

[وبناء الآخرة يتطلّب أخلاقاً معينة، فمن استحلّى أخذ رشوة، أو غصب حقاً، أو أكل حراماً، فلن يجد إلا منقلباً شؤماً، وفي الحديث: ﴿أَيُّمَا عَبْد نَبَت لَحْمِهِ مِنْ سَحْت، فَالنَّارَ أُولَى بِهِ﴾^{1}.

لكن المؤمنون الأتقياء كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، يعملون كل أعمال البر، لأن إيمانهم أنار قلوبهم، وتدققت بواعث الخير فيه، وخنس الشيطان الرجيم، فهم عباد الله المخلصون، نهاراً أهل الصلاح، وليلاً أهل ذكر وتهجد وعبادة. إنهم يتحرّكون وفق ضوابط أخلاقية دقيقة، فهم يتناغمون بدقة متناهية، إنهم يؤمنون بالقضاء والقدر خيره وشره، إنهم في كامل الاستسلام لله ﷻ، إنهم في حب الله، إنهم في رضا الله، إنهم مشغولون عن القيل والقال وصخب الدنيا، يعلمون أن السعادة عندما يسعدون برؤية الله خالق السموات والأرض، يعلمون أن السعادة في يوم المزيد، يعلمون أن السعادة السرمدية في رضا الله عنهم ورضاهم عن الله تعالى. إذاً؛ علينا كلنا مجاهدة النفس وضبطها في هذه الدنيا.

سأل رسولنا محمد ﷺ معاذ بن جبل، قال: ﴿هل تدري ما حقّ الله على عباده؟﴾ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقّ الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئاً، ثم سار ساعة، ثم قال: يا معاذ بن جبل، قلت: لبيك، رسول الله، وسعديك، قال: هل تدري ما حقّ العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقّ العباد على الله أن لا يعذبهم^{2}.

(١) - المحاور الخمسة للقرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، ص130.
(٢) - رواه البخاري برقم (6500).

المؤمن ولحظة الرحيل

هي لحظة استراحة المؤمن من هم الدنيا، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ الأنبياء/35. فالله ﷻ في لحظات الموت أعطى المؤمن الصادق عطاءً جزيلاً.

عن أبي قتادة أنه كان يحدث: «أن رسول الله ﷺ مرّ عليه بجنازة، فقال: مستريح ومستراح منه، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»^{1}، لكن؛ لا بد من سكرات الموت لكل الناس. وها هو رسول الله ﷺ وفي لحظة الرحيل يقول: ﴿لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»^{2}.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ق/19. إنه هادم اللذات، هادم الحياة الدنيا، لكن؛

● قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ 27 ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ 28 ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ 29 ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر/27-30. [أي يا أيتها النفس الطاهرة الزكية المطمئنة بوعد الله، التي لا يلحقها اليوم خوف ولا فزع، ارجعي إلى رضوان ربك وجنته، راضية بما أعطاك الله من النعيم، مرضية عنده بما قدمت من عمل، قال المفسرون: هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، فيقال للمؤمن عند احتضاره تلك المقالة ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، أي فادخلي في زمرة عبادي الصالحين، فهي مسكنك ومأواك في هذا اليوم]^{3}.

عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ قال: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، قال: في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، نزلت في عذاب القبر، فيقال له: مَنْ ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد ﷺ، فذلك قوله ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ إبراهيم/26-28»^{4}.

(١) - رواه البخاري في صحيحه برقم (6512).

(٢) - رواه البخاري برقم (6510) جزء من الحديث.

(٣) - صفوة التفاسير للصابوني، ص 1498.

(٤) - رواه مسلم برقم (2871).

[رواه الإمام أحمد، عن البراء بن عازب.... قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَ إِلَى الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا يَسِيلُ الْقَطَرُ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيُخْرِجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مَسْكٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟! فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يَسْمُونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُ، مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مَقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلْيَيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَمَلُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَقْتُ، فَيَنَادِي مَنَادٌ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرَشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيِّهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ قَبْرُهُ مَدَّ الْبَصَرِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسْرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَدُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ، فَوُجِّهْكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ أَهْلِي وَمَالِي﴾^{1}.

عن النبي ﷺ قال: ﴿تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ﴾^{2}.

(١) - ج٢، مختصر ابن كثير، ص١٦.

(٢) - صحيح مسلم برقم (٢٨٦٨).

عن أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: ﴿يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ﴾^{1}.
«فقط يبقى عمله».

نسأل الله ﷻ أن تكون أعمال أمة محمد خيراً كلها ومقبولة في يوم الحساب.
فعلينا بالعمل الصالح، ﴿يَا عِبَادِي: إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَيُحْمَدُ اللَّهُ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلَومُنْ إِلَّا نَفْسَهُ﴾^{2}.
فتعالوا نُحَسِّنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ، وَنُحِبَّ لِقَاءَ اللَّهِ بِزِيَادَةِ إِيمَانِنَا وَعَمَلِنَا الصَّالِحِ.
عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ﴾^{3}.

إنه مشهد لا أحد يعلمه إلا الله تعالى وبعض ما أعطاه لرسوله ﷺ من العلم.
إنه مشهد لا أحد يستطيع أن يصفه بدقة إلا صاحب المشهد الله ﷻ، إنه مشهد ليس كبقية المشاهد.

تعالوا معاً ندخل إلى بعض

اللقطات السريعة من مشهد هذا اليوم

قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ ۱﴾ لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ الْوَاقِعَةُ/12.
الأرض: ماذا يحدث لها؟ الكون ماذا يحدث له؟ قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۚ 7﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۚ 8﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ 9﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ۚ الْقِيَامَةُ/710.

قال تعالى: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ الْحَاقَةُ/16... ماذا حدث؟
للجبال والأرض، يقول تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ الْحَاقَةُ/14، وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۖ الْقَارِعَةُ/5.﴾

(١) - رواه البخاري برقم (6514).

(٢) - رواه مسلم برقم (2577). جزء من الحديث.

(٣) - رواه البخاري برقم (6508).

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ 105 ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ 106 ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ طه/105-107.

زلازل وبراكين، الجبال تتطاير، السماء كالدهان تتخرب، ليس هذا كلام، ولا هو من نسج الخيال وأساطير الأولين.. إنه الحق، وملموس للكل.

قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ 4 ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ 5 ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ الواقعة/46، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ التكوير/6.

هذا الوصف عن أهوال يوم القيامة يُزلزل كبرياء الكفر والاستكبار، إنه يوم طويل عليهم:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر/67.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟﴾ {1}.

يسأل تعالى تبارك اسمه ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر/16، فلا أحد يجيب! فيجيب جلّ شأنه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر/16.

دُنُو الشمس من رؤوس الناس لما دلّ عليه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم بمقدار ميل﴾ {2}.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم من الأرض سبعين ذراعاً، ويلجمهم حتى يبلغ أذانهم﴾ {3}.

بعد أن اكتمل حشد الناس يوم المحشر، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ الزمر/69، وقال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ طه/111.

ثم في موضع آخر: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ طه/108. والحساب الإلهي يشمل جماهير الخلق كلهم.

(١) - رواه البخاري برقم (6519).

(٢) - رواه مسلم برقم (2864).

(٣) - رواه البخاري برقم (6532).

قال تعالى: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ الكهف/48، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف/49.

ذلك لكي يقيم الله الحجة على عبادة، والحكم الصادر من الله ﷻ يكون بعد أن يعترفوا ويقرّوا بأخطائهم، والاستماع إلى دفاعهم، قال تعالى: ﴿وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء/47، فلا محسوبية، ولا واسطة، ولا محاباة.

وعنه ﷺ قال: ﴿أول ما يقضي بين الناس بالدماء﴾ {1}.

انظر، يا أخي، ما أجمل حساب المؤمن! أقرأت الآيات المرعبة عن أهوال يوم القيامة؟! يوم طويل، رعب في رعب، لكن؛ مهلاً! لا تخف.. أين المؤمنون؟ أين هم؟ هنا في سكينة.

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ عَذَبَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ الانشقاق/8. قال: ذلك العرض﴾ {2}.

تعالوا ندعو الله ﷻ جميعاً أن نكون من هؤلاء، قال ﷺ: ﴿يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنْفَهُ، فَيَقْرُرُهُ بِذَنبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ، أَعْرِفُ، مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهُا فِي الدُّنْيَا، وَأَعْفَرَهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطَوَّى صَحِيفَةٌ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ أَوْ الْكُفَّارُ، فَيُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ هود/18﴾ {3}.

فمتى أخذ كتابه بيمينه، هذه علامة الفوز فهو في السعادة الأبدية.

إن الذين جاهدوا في الدنيا بإعلاء كلمة لا إله إلا الله ومنهجه، وجاهدوا أنفسهم، وابتعدوا عن الشهوات والهوى، وحفظوا الأمانة والعهود، وكانوا خلفاء الله في الأرض، وصانوا الحرمات، وأحلّوا ما أحلّ الله، وحرّموا ما حرّم الله، هؤلاء

(١) - رواه البخاري برقم (6533).

(٢) - رواه البخاري برقم (6536).

(٣) - رواه البخاري برقم (4685).

يستريحون في الآخرة، وهؤلاء لهم الأمن، ولا خوف عليهم في يوم القيامة، وهم الفائزون، جزاؤهم جنة وعيشة راضية سرمدية:

قال تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ 11 ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الإنسان/11-12.

فلا تخف، أيها المؤمن بإذن الله، هذا ما أكدّه العزيز القدير.. قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ 21 ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ 22 ﴿فُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ 23 ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الحاقة/21-24.

جاء في الحديث، عن النبي ﷺ: ﴿يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ، وَارْقُ، وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا﴾ {1}.

نعم. بإذن الله، هؤلاء أهل الجنة، ويرددون بأصوات عذبة: الباقيات الصالحات، وهي باقية معهم في الجنة، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: قال تعالى: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس/10.

يا مَنْ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى اللَّهِ وَالِدَارِ الْآخِرَةِ، شَمَّرْ عَنْ سَاعِدَيْكَ، وَاغْمِصْ صَالِحًا، وَجَاهِدْ نَفْسَكَ، فَهَذَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ.

أفاض على خلقه، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه مَنْ عَمِلَ صَالِحًا، فَلَهُ الْجَنَّةُ، مَنْ يَطْعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، مَنْ كَانَ بَارًا بِوَالِدَيْهِ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، مَنْ كَانَ يَصِلُ رَحِمَهُ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ مريم/63.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ 40 ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات/40.

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى﴾. قالوا: يا رسول الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: مَنْ أَطَاعَنِي، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ أَبَى﴾ {2}.

(١) - أخرجه الترمذي.

(٢) - رواه البخاري برقم (7280).

أقرّ معي هذا الحديث: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: ﴿أتيتُ النبي ﷺ، وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيتُه، وقد استيقظ، فقال: ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلتُ: وإن زني، وإن سرق؟ قال: وإن زني، وإن سرق ثلاث مرات، قال: وإن زني، وإن سرق، رغم أنف أبي ذر رضي الله عنه﴾ {1}.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر/34.

وشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أمة الإسلام. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي﴾ {2}.

وعنه ﷺ قال: ﴿أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة مَنْ قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه﴾ {3}.

فيا أحبائي، شدّوا الهمة، واقبضوا على دينكم، واحذروا من الفتن القادمة، أنتم في معية الله وحمايته، طالما اتبعتم منهج الله ﷻ الذي ارتضاه لنا ...

تعالوا كلنا ندعو الله أن يدخلنا جناته بعفوه ورضوانه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا: ولا أنت، يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمّدي الله برحمته﴾ {4}.

فبرحمته وعفوه ورضوانه الجنة للمؤمنين بإذن الله.

وهذا ما أكّده ربّ العزة، نقله عنه رسولنا محمد ﷺ: ﴿أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر﴾ {5}.

وعن عليّ بن أبي طالب -كرم الله وجهه ورضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إن في الجنة لمجتمعاً للحوار العين، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلاق

(١) - رواه البخاري برقم (5827).

(٢) - رواه الترمذي.

(٣) - رواه البخاري برقم (6570).

(٤) - رواه البخاري برقم (6463).

(٥) - رواه مسلم برقم (2824).

مثلاً، يقلن: نحن الخالدات، فلا نبید، ونحن الناعمات، فلا نیأس، ونحن الراضیات، فلا نسخط، طوبی لمن كان لنا، وكنا له {1}.

اللهم، أدخلنا جناتك، برحمتك ورضاك وعفوك، یا أرحم الراحمین، فمن أراد جنة الفردوس، من أراد نعيمها، من أراد حور العین، من أراد رضوان الله تعالى، عليه بالتمسك بمنهج الله ﷻ، والعمل الصالح:

فهنيئاً هنيئاً لأهل الإسلام، فها هو الحق قد وضع وضوح الشمس، لا لبس فيه، لقد تمنوا أن يسعدوا في الجنة، وتمنوا لقاء ربهم، وتمنوا رضوانه، فكان ما أرادوا بفضلهم وكرمه وجوده ورحمته عليهم، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿22﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ القيامة/22-23.

هذا هو النعيم، بل أكبر ألوان النعيم. فالله ﷻ بجوده وكرمه من على عباده المؤمنين في الجنة، الاستمتاع بالنظر إليه، والسعادة برضوانه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: ﴿إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك، ربنا، وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟! فيقول: أحلّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً﴾ {2}.

والحمد لله رب العالمين.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به المسلمين، ويرزقني الإخلاص والقبول في القول والعمل، إنه سميع مجيب الدعاء، والحمد لله، أولاً وأخيراً.

(١) - رواه الترمذي.

(٢) - رواه البخاري رقم (6549).

فهرس المراجع

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - صحيح البخاري: محمد بن اسماعيل البخاري (باعتقاد النسخة السلطانية)، دار الأرقم، لبنان.
- 3 - صحيح مسلم: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، القاهرة.
- 4 - مسند ابن حنبل: الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل.
- 5 - شرح صحيح مسلم للإمام النووي.
- 6 - سنن النسائي الصغرى: أحمد بن شعيب النسائي.
- 7 - سنن النسائي الكبرى (عمل اليوم والليلة): الناشر الشركة الجزائرية اللبنانية.
- 8 - سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن الضحاك الترمذي.
- 9 - سنن أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
- 10- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه.
- 11- المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله بن الحكم النيسابوري.
- 12 - مختصر صحيح مسلم للمنذري: تخريج وفهرسة عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة.
- 13 - الموطأ: الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة.
- 14 - سنن الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني.
- 15 - صحيح ابن حبان: الحافظ محمد بن حبان التميمي.
- 16 - المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني.
- 17 - الأحاديث القدسية: يحيى بن شرف النووي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- 18 - مختصر ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي ابن كثير.
- 19 - تفسير مختصر ابن كثير: (اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني)، ثلاث أجزاء، دار الفكر، لبنان.
- 20- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق.
- 12-صفوة التفاسير: الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

- 13-فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، أربعة أجزاء، عالم الكتب.
- 14-البداية والنهاية: ابن كثير، دار التقوى.
- 15- مسند الفردوس: شهردار بن شيرويه أبو منصور الديلمي.
- 16-صحيح ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري.
- 17-إحياء علوم الدين: حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالي، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.
- 18-آمنت بالله: الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية.
- 19-علل وأدوية: الشيخ محمد الغزالي.
- 20-نظرات جديدة في القرآن: د. محمد عادل القلقيلي، دار الجيل، بيروت.
- 21-زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام ابن قيم الجوزية، دار التقوى للتراث، مصر.
- 22-فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: شيخ الإسلام الإمام أبو يحيى زكريا الأنصاري، حققه وعلّق عليه الشيخ محمد علي الصابوني، المكتبة العصرية.
- 23-شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: الإمام النووي، قدّمه الشيخ الصابوني، المكتبة العصرية، بيروت.
- 24-شرح أسماء الله الحسنى: د. محمد راتب النابلسي، الشبكة العنكبوتية.
- 25-محاضرات: د. محمد راتب النابلسي، موقع موسوعة النابلسي.
- 26-قصص الأنبياء لابن كثير: دار التقوى للنشر والتوزيع، تحقيق أبي عمار عبد الله.
- 27-فقه السيرة: الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.
- 28-خُلُق المسلم: الشيخ محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.
- 29-جواهر القرآن: الإمام أبو حامد الغزالي (المكتبة العصرية).
- 30-معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة، هوساوي- عبد الرحمن بن عبد الجبار بن صالح الحميدان- عصام بن عبد المحسن، مكتبة العبيكان.
- 31-لا تكن كصاحب الجُباعة: د. علي الحمادي، دار ابن حزم.
- 32-عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: الإمام ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي.
- 33-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.
- 34-الروح: الإمام ابن قيم الجوزية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- 35-اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة: يسر مبيض، دار الجيل، بيروت.

- 36- مختصر منهاج القاصدين: الإمام أحمد بن قدامة المقدسي، المكتبة العصرية.
- 37- المحاور الخمسة للقرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق.
- 38- عجائب القرآن: الإمام فخر الدين الرازي، حققه الشيخ عرفان حسونة، المكتبة العصرية.
- 39- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني.
- 40- كتاب الأخلاق: أحمد أمين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- 41- فجر الإسلام: أحمد أمين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- 42- روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن الكريم: الشيخ محمد علي الصابوني، دار الجيل، لبنان.
- 43- الموسوعة القرآنية الميسرة: الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
- 44- كتاب التوابين: الإمام ابن الجوزي، الشركة الجزائرية اللبنانية.
- 45- صيد الخاطر: الإمام ابن الجوزي، الشركة الجزائرية اللبنانية.
- 46- ذمّ الهوى: الإمام ابن الجوزي، تحقيق خالد سبع العلمي، دار الكتاب العربي.
- 47- عمر بن عبد العزيز: د. علي محمد الصلابي، دار ابن حزم، القاهرة.
- 48- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي، دار القلم، دمشق.
- 49- الإسلام في عيون غربية، د. محمد عمارة، دار الشروق.
- 50- مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب: أبو حامد الغزالي، دار الكتاب العربي.
- 51- مختار الصحاح: الرازي، تحقيق أحمد إبراهيم زهرة، دار الكتاب العربي.
- 52- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي.
- 53- اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
- 54- كتاب الرياض، مخطّط الانحدار وإعادة البناء: د. خالص جليبي، إصدار مؤسسة الإمامة الصحفية.
- 52- الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية، صفى الرحمن المباركفوري، إصدار مكتبة العبيكان.
- 53- كتاب الكبائر: الذهبي، دار المهجر.
- 54- تنبيه الغافلين: السمرقندي، دار العلوم العربية، بيروت.
- 55- تحفة الذاكرين: محمد بن علي الشوكاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- 56- من معين الشمائل: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي.
- 57- السلوك الاجتماعي في الإسلام: حسن أيوب، دار الندوة الجديدة، لبنان.
- 58- الكون والتكوين في آيات الكتاب المبين: د. محمد محمود عبد الله، دار الشواف.
- 59- تاريخ الأمم والملوك أو تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري.
- 60- هذا ديننا: الشيخ محمد الغزالي.
- 61- سند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار.

الفهرس

5	 مقدمة الطبعة الثانية
7	 المقدمة
9	 البداية
11	 الباب الأول: ما حكمة خلق آدم ﷺ
11	 ما قصة الاستخلاف في الأرض
13	 حقيقة العلاقة بين الإنسان والأرض
17	 الفصل الأول: لماذا أعطى الله ﷻ آدم العقل والفطرة
19	 مَنْ الذي يريد أن يُطفئ هذه الشعلة المضيئة
22	 هل نجح آدم في اختبار التكليف الأول أم ماذا
25	 التكليف الأرضي الأول لبني آدم ومعهم
25	 عدوهم اللدود إبليس عند هبوطهم إلى الأرض
27	 الفصل الثاني: النداءات والتحذيرات التي أرسلها الله ﷻ لبني آدم
29	 الفصل الثالث: ما الغاية من خلق الإنسان بهذا الإبداع وتكريمه وما حكمة استخلافه في الأرض
33	 الفصل الرابع: ما السبيل لهداية البشر
37	 الشيطان الرجيم العدو الأول لبني آدم
41	 الباب الثاني: حديث النفس، الخاطرة.. الإلهام.. وأخذ القرار
45	 الفصل الأول: هل بواعث الشر والخير تظهر عند كل الناس
45	 كيف يستطيع الشيطان أن يوسوس الشر لبني آدم
47	 ما هي المؤثرات التي تساعد
47	 على تشكّل القيم والمعتقدات عند الإنسان
49	 الفصل الثاني: كيف يتشكّل السلوك غير السوي للإنسان
49	 كيف طبع الله على قلبه.. كيف أوصل نفسه للضلال
53	 الباب الثالث: الصفات الذميمة وسلوك أصحابها
53	 الفصل الأول: الكبر والخيلاء
56	 الغرور
58	 الغضب

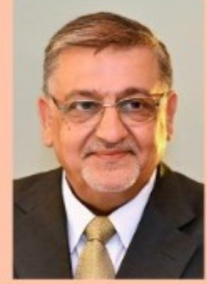
70	السبيل إلى دفع شر الحاسد
73	الفصل الثاني: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ
74	فضول الكلام والخوض في الباطل
75	المراء والجدال
76	الفحش والسب واللعن
78	السخرية والاستهزاء والمجاهرة بالمعاصي
79	الغيبة والنميمة والبهتان
82	الكذب
85	الفصل الثالث: التنفّس الأُمارة بالسوء
90	الغفلة ورفاق السوء
93	حبّ الدنيا وشهواتها
96	لا تنخدع بوسوسة الشيطان وإغوائه
99	الفصل الرابع: هادم اللذات
102	مَنْ هم الخاسرون
102	تخاصم أهل النار
104	كيف نعالج كيد الشيطان
107	الباب الرابع: الوثنية والشرك في بلاد العرب
113	الفصل الأول: النور الذي سطع على أرض العرب
121	العبادات
127	الفصل الثاني: أخلاقنا في الميزان
132	هل المجتمع العربي والإسلامي في أزمة أخلاق
140	ما هي الأسباب التي أدّت
140	للانحياز الأخلاقي والاجتماعي في مجتمعنا
144	قرار التغيير بيدك
155	مَنْ هو قائد هذه الحلول مَنْ هو مُلهم هذه الأمة
157	الباب الخامس: الرحمة المهداة
163	الفصل الأول: هكذا ينشأ السلوك والعادة
165	الفصل الثاني: ماذا تعني كلمة الأخلاق
168	المبادئ الخمسة لتغيير السلوك والتخلّق بالأخلاق الحميدة

173	الباب السادس: الصفات الحسنة
173	الفصل الأول: إخلاص العمل لله تعالى
177	فضائل الإخلاص
179	تقوى الله والعمل الصالح
181	حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا
185	كنّ صادقاً ولا تبال
187	لا تنطح الجبل
189	الأمانة
191	الهمة والحياء لا تناقض بينهما
195	الفصل الثاني: الصبر على البلاء والشكر على الرخاء
204	بيان فضل الصبر
206	كنّ عبداً شكوراً
210	كنّ رحيماً لئِنْ القلب
215	الفصل الثالث: كنّ صاحب بصمة ومبدأ في هذه الحياة ولا تعجز
218	الابتعاد عن حطام الدنيا وهمومها
223	الباب السابع: كيف نرقى بسلوكنا الأخلاقي لبناء مجتمع يسمو ويقوم على دعائم وركائز متعدّدة
223	الفصل الأول: العلاقات الأسرية
237	التعامل مع الأبناء وتربيتهم
245	الفصل الثاني: كيف نزرع في نفوس أطفالنا العزيمة والإرادة
246	القواعد التي تبعث وتفجر
246	طاقة الإرادة والعزيمة والهمة في أبنائنا
253	الفصل الثالث: برّ الوالدين
260	التعامل مع الناس خاصة الأقارب
266	انهضْ وسابقْ ضمن الممكن والمتاح
275	قصة إبراهيم والتغيير
280	خيرية مجتمعنا في وجدانه
285	الباب الثامن: الطريق إلى الله ﷻ
289	الفصل الأول: الغفور الرحيم
291	فضل الدعاء والذكر

296	 نسأل الله العفو والعافية
299	 الفصل الثاني: مَنْ هم الفائزون برضا الله ﷻ وجنته
300	 ما حكمة ضرورة الإيمان باليوم الآخر
305	 المؤمن ولحظة الرحيل

الدكتور ماهر جميل بايزيد

- مواليد سوريا - اللاذقية - ١٩٦١ .
- بكالوريوس في العلوم الطبيعية - جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً) ١٩٨٣ .
- بكالوريوس في طب الأسنان - جامعة ساراييفو ١٩٩١ .
- شهادة البورد في التركيبات السنية ١٩٩٩ .
- مشرف في كلية طب الأسنان - جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً) من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٩ .
- عضو عامل في جمعية البر والخدمات الاجتماعية باللاذقية .
- صدر كتابه الأول: لنين منظومتنا الأخلاقية عام ٢٠١١ .
- صدر كتابه الثاني: بين العقل والقلب الإعجاز المبين عام ٢٠٢٠ .
- صدر كتابه الثالث: علم الطباع السلوكي في القلب وصراع الإرادات العقلية عام ٢٠٢١ .
- صدر كتابه الرابع: لنين منظومتنا الأخلاقية طبعة جديدة منقحة عام ٢٠٢٤ .
- صدر كتابه الخامس: إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت عام ٢٠٢٥ .



الكتاب الرابع

هذا الكتاب

يبحث عن القيم الأخلاقية لكي نعيد ترتيبها لتكون دائماً في حالة الاعتدال وهو عين الفضيلة ، وخير الأمور أوسطها ولوصول لهذا بحاجة ماسة إلى التحكم في الاعتدال العقلي لضبط السلوكيات الطبيعية فلا إفراط ولا تفريط .

هذا الكتاب يعرفنا على كيفية القدرة على تغيير ما في أنفسنا ويعلمنا فن الممكن وفن اتخاذ القرار ويبحث فينا كيف نقبل الآخرون بنبي مستقبلنا بعزة وكرامة وسُمّو في الأخلاق ... تعالوا معاً نقرأ لنتعلم .